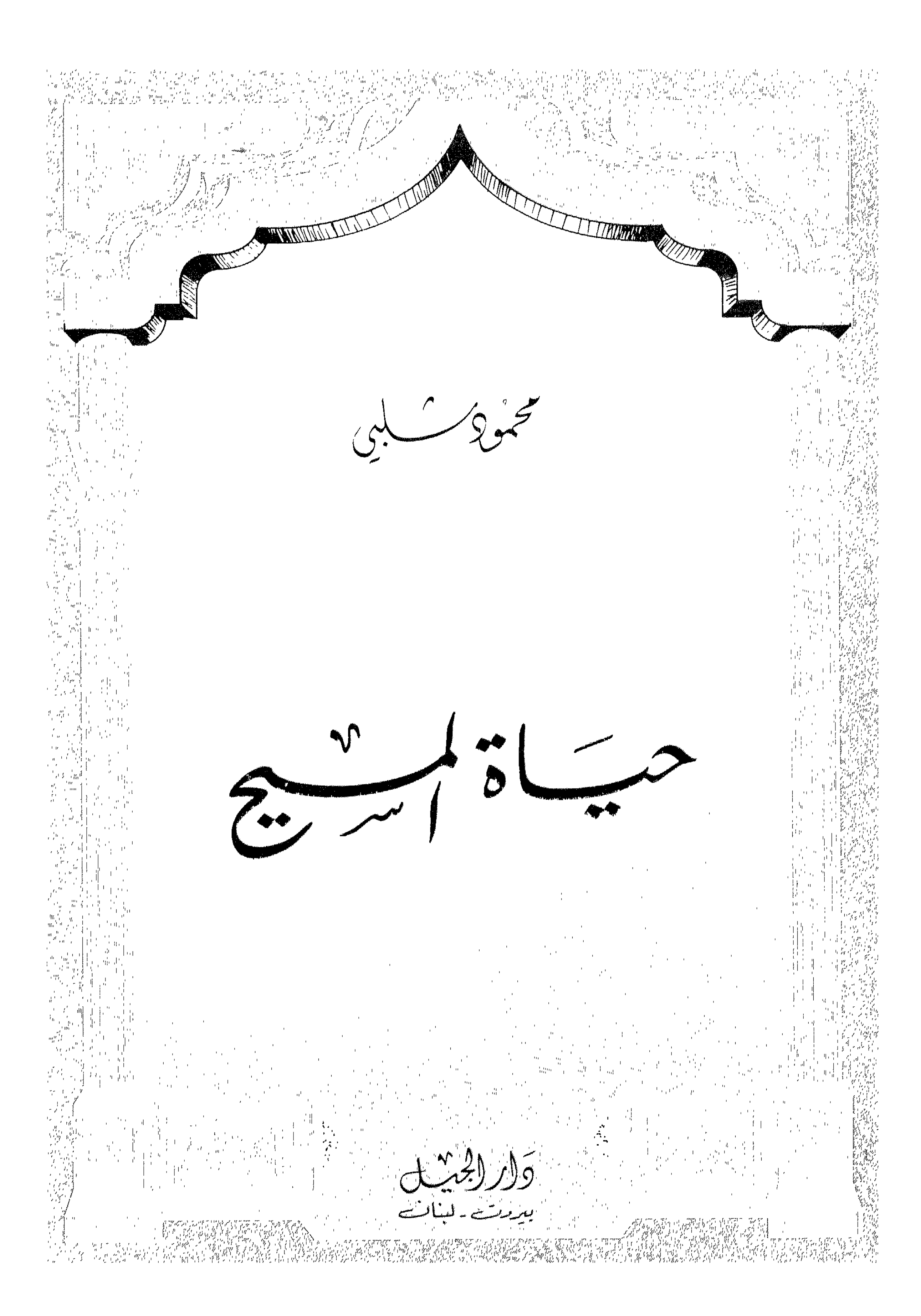

محمود شلبي

حياة المسيح

دار الجيل
بيروت - لبنان



حياة المسيح



محمود شلبي

حياة المسيح

دار الجيل
بيروت - لبنان



الإهداء

اللهم . . . منك . . . وإليك . . .

محمود شابي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . . .

والصلاة والسلام . . . على خاتم النبيين . . .

وبعد . . .

كما كان الأسلوب . . . من « حياة آدم » و « حياة إبراهيم » و « حياة نوح » و « حياة يوسف » و « حياة موسى » و « حياة داود » و « حياة سليمان » و « حياة يحيى » و « حياة مريم » و « حياة رسول الله » .

كما كان الأسلوب . . . في هؤلاء جميعاً . . . عرضاً سهلاً . . . أخاذاً جذاباً . . .

ينظر إلى أنبياء الله . . . من خلال أنوارهم المقدسة . . .

فإن الأسلوب من هذا الكتاب « حياة المسيح » . . . يمضي على نفس الطريق . . .

« حياة المسيح » . . . عيسى بن مريم . . . عليه السلام . . .

كما تحدث عنها ... كتاب الله ... الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

وكما ورد عنها من أحاديث نبوية صحيحة ...

وكما صحَّ من روايات معتمدة ... في سيرته ... عليه السلام ...

إلاّ أن هذا كله ... لا يغني عني شيئاً ...

إلاّ إذا مَنَّ الله عليَّ ... بالتوفيق... وهداني إلى سواء السبيل ...

ذلك أن المسيح ... عليه السلام ... اختلف فيه الأولون والآخرون ...

وأثارت شخصيته الشريفة ... جدَلاً ... ما زال ثائراً ! ! !

فلا سبيل أمامي ... إلاّ أن أسجد لله رب العالمين ... وأسأله ووجهي على التراب :

اللهم ... فاطر السماوات والأرض ... عالم الغيب والشهادة ... أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ...

اللهم ... إني جاهل ... فعلمني ...

اللهم ... إني ضال ... فاهدني ...

اللهم ... اهدني ... لما اختلف فيه من الحق ... بإذنك ...

لا إله إلاّ أنت ...

ولا حول ... ولا قوة ... إلاّ بالله ! ! !

القاهرة ١٤٠٢ هـ　　　　محمود شلبي

١٩٨٢ م

وآل عمران

على العالمين



قال عزّ ثناؤه :

« إنَّ الله اصطفى . . .

« آدمَ ونوحاً . . .

« وآلَ إبراهيمَ . . .

« وآلَ عِمْرانَ . . .

« على العالمين » ! ! !

اختيار . . . واستخلاص . . . إلهي . . .

آدم . . . جُمّاع الصفات العليا . . . في الجنس البشري كله . . .

أصل الشجرة كلها . . . إلى يوم القيامة . . .

فتحتّم أن تتجمع فيه خصائص الصفات العليا . . . التي سوف تنتشر في بنيه . . . بني آدم ! ! !

ونُوحاً ؟ ! ! . . . الأب الثاني للبشرية . . . من الحتم أن يكون فيه ما في آدم من خصائص . . . فمنه سوف تكون هذه البشرية مرة أخرى ! ! !

وآل إبراهيم ؟ ! ! . . أبو الأنبياء جميعاً من بعده . . . « **وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب** » . . . أصل الشجرة الطيبة ... التي سوف تثمر جميع النبيين . . . وتنزل عليهم جميع الكتب السماوية ! ! !

وآل عمران ؟ ! ! . . الذي سوف تنبثق عنه « مريم » . . . وما أدراك ما مريم ؟ ! ! . . .

التي سوف ينبثق عنها . . . عيسى . . . ابن مريم . . . وما أدراك ما عيسى ؟ ! !

هؤلاء جميعاً . . . اصطفاهم الله . . . ليكونوا نواة الشجرة المقدسة . . . شجرة الأنبياء . . .

نواة الكلمة الطيبة . . . تؤتي أُكلها . . . كل حين . . . بإذن ربها . . .

أصلها . . . ثابت . . .

وفرعها . . . في السماء ! ! !

فماذا كان . . . من ثمار مقدسة . . . من آلِ عِمْران ؟ ! !

رب

اني نذرت لك

ما في بطني

محرراً



هذا هو الموج . . .

الشعشعاني . . . الذي تخلقت منه . . . مريم . . . عليها السلام ! ! !

امرأة . . . تنادي . . . لا يعلم نداءها . . . إلاّ مَن تناديه ! ! !

« إذْ قالتِ امرأتُ عِمرانَ . . .

« ربِّ . . .

« إني نذَرتُ . . .

« لكَ . . .

« ما في بطْني . . .

« محرَّراً . . .

« فتَقَبّلْ مني . . .

« إنكَ أنتَ السميعُ العليمُ » ! ! !

محرَّراً ؟ ! !

محرراً . . . مما سواك . . . عبداً لك وحدك . . . منقطعاً لخدمة بيتك ! ! !

فتقبّلْ منّي ؟ ! !

أخلصت . . . النية . . . وإنما الأعمال بالنيّات . . .

فكان الجواب :

«فتقبلها» ! ! !

عليمَ . . . إخلاصها . . . فلبّاها . . . وأعطاها . . . وزادها . . . مما لم يخطر على بالها ! ! !

ودعاء هؤلاء . . . لا نستطيع نحن الأقزام . . . أن ندرك شيئاً من أسراره . . .

وإنما هو الإخلاص . . . سرٌّ بين العبد وربه ! ! !

لقد تخلقت . . . من أمواجه . . . آية من آيات الله في خلقه . . .

« وجعلناها . . .

« وابنها . . .

« آيةً للعالمين » ! ! !

وإني

سميتها

مريم ...؟!



مَرْيَم ؟ ! !

الوحيدة . . . من النساء قاطبة . . . التي ذُكرت . . . باسمها . . . في كتاب الله العظيم . . .

ليس مرّة . . . ولا عدة مرات . . .

ولكن **أربعاً وثلاثين** . . . مرة . . . أو تزيد . . . إن خانتني الذاكرة ! ! !

فلماذا تنفرد مريم . . . بذكر اسمها . . . صريحاً . . . في كتاب الله . . . أكثر من ثلاثين مرّة ! ! !

لماذا هذا الشرف . . . من دون النساء جميعاً ؟ ! !

لأنها . . . انفردت . . . من بينهن جميعاً . . . بحمل أشق تجربة . . . تمرّ . . . على عذراء ! ! !

فتوازى شرفها . . . مع بلائها . . . وتلك سُنّة من سنن الله . . . في عباده ! ! !

إذا ذُكرت امرأة غيرها في كتاب الله . . . قيل مثلاً :

« **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً . . .** »

أو « **وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها** » .

أو « **وقالت امرأة فرعون . . .** »

أو « **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ . . .** »

حتى حين جمعها مع امرأة مؤمنة غيرها ... كمثال للذين آمنوا ... ذكر مريم باسمها ... والأخرى بأنها امرأة فرعون ! ؟ !

« وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون ... »

هذا عن المؤمنة العظيمة ... آسية زوجة فرعون ...

أما ... مريم ... فباسمها تُذكر ! ! !

« ومريمَ ابنتَ عمرانَ التي أحصنت فرجَها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » ؟ ! !

أما سائر النساء ... فيُذكرن بغير أسمائهن ! ! !

سارّة ... **« وامرأته قائمة فضحكت » ! ! ! ...**

أليصابات ... **« وامرأتي عاقر ... »**

وهكذا ... فما معنى هذا ؟ ! !

معناه عميق ... عميق ... قرار سحيق ! ! !

أن ... مريم لم تصطف مرة واحدة ... ولكن ثلاث مرات ! ! !

إحداهن ... **« وآلَ عِمران على العالمين » ! ! !**

والثانية ... **« ... يا مريم ... إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطهّرَكِ ... » ! !**

والثالثة ... **« واصطفاكِ على نساء العالمين » ! ! !**

ثلاث مرّات ...

اصطفاء ... من اصطفاء ... من اصطفاء ...

لماذا ! ؟ ! !

لأن ما سوف يُلقى عليها . . . لا تحتمله نساء العالمين . . .

فتحتم أن تكون أعلى . . .

لأنها ستحمل . . . ما لم يحملن ! ! !

« وكلمته . . .

« ألقاها . . .

« إلى مريمَ . . . » ! ! !



فلما

وضعتها



قال سبحانه :

« فلمّا وضَعَتْها . . .

« قالتْ : ربّ إنّي وضَعْتُها أنثى . . .

« واللهُ أعلم بما وضَعَتْ . . .

« وليس الذكَرُ كالأنثى . . .

« وإني سميتُها مَرْيَم . . .

« وإني أُعيذُها بكَ وذريّتها مِنَ الشيطانِ الرجيمِ » ! ! !

كانت ترغب أن يكون المولود ولداً . . . ذكراً . . .

ولكن جاء أنثى . . .

فجعلت تتحنن إلى ربها « إني وضعتها أنثى » ؟ ! !

هي تنظر إليها . . . على أنها مجرد طفلة . . . وما أكثر ما يولد من البنات . . .

ولكن الله وحده . . . هو الذي يعلم المكنون من الأسرار والأقدار . . . في هذه الطفلة **« واللهُ أعلمُ بما وضَعَتْ » ! ! !**

لا تدري أمّها حتى الآن . . . شيئاً عن هذه الطفلة . . . كل رجائها أن يتقبلها الأحبار . . . نَذْراً . . . لخدمة الهيكل وبيت الله . . .

هذا أقصى ما تتمنى ! ! !

ولكن الله ... يعلم ... مكنونات هذه الأنثى ... وما سوف يكون منها !!

وإنّي ... سمّيتُها ... مريمَ ؟ ! !

تيمناً باسم مريم ... المرأة الصالحة ... أخت هارون وموسى ! ! !

وإنّي أعيذها بك ... وذرّيتها ... من الشيطانِ الرجيم ؟ ! !

وقد كان ... واستجاب الله دعاءها ... فلم تكن مريم ... إلاّ منقطعة لربها ...

ولم يكن لعيسى ... من خطيئة ! ! !

كلما دخل عليها

زكريا المحراب

وجد عندها رزقاً



مات عمران . . .

فقامت امرأته . . . بتربية ابنتها مريم . . . خير تربية . . . في الناصرة . . .

فلما ترعرعت . . . قدمتها إلى الهيكل . . . في أورشليم . . . وفاء لنذرها . . .

فجعل الأحبار يتنافسون . . . أيهم يكفل مريم ؟ !

وأخيراً لجأوا إلى القرعة . . .

وقالوا : نلقي أقلامنا في النهر . . . فأينا جرى قلمه على خلاف جريه فهو صاحبها . . .

وجاء كل منهم بقلم معروف به . . .

وذهبوا إلى النهر . . . وألقوا أقلامهم . . . فسارت جميع الأقلام مع التيار . . . إلاّ قلم زكريا . . . فقد جرى على خلاف جريه في الماء . . .

فكفلها زكريا . . . زوج اليصابات . . . خالة مريم . . .

وأخذها لتكون خادمة من خدام المعبد . . . وخصص لها مكاناً للعبادة . . .

قال تعالى :

« فتَقَبّلَها رَبّها بقَبُولٍ حَسَنٍ . . .

« وأنْبتَها نَباتاً حَسَناً . . .

« وكفّلَها زكريّا . . .

«كُلَّما دخَلَ عليها زكريّا المحرابَ وجَدَ عندها رِزْقاً . . .

« قالَ يا مريمُ أنّى لكِ هذا . . .

« قالت هو من عندِ اللهِ . . .

« إنَّ اللهَ يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حساب » ! ! !

فتقبّلها ربها بقبول حَسَنٍ . . . أي بأحسن قبول . . .

وأي قبول هو أحسن من اختيارها لتكون هي وابنها . . آية للعالمين ؟ !

وأنبتَها نباتاً حَسَناً . . . أي أحسَن إنبات . . .

طفولتها . . . في رعاية أمها الصالحة . . . في الناصرة . . .

وسنوات من بعدها . . . في الهيكل . . . في كفالة زكريا ! ! !

فلما أسلمتها أمها . . . إلى الهيكل . . . وأخذها زكريا في كفالته . . .

عكفت في محرابها . . . أي في معبدها . . . المخصص لها . . . تتعبد . . . وتتأمل . . . وتركع وتسجد . . .

ومن حولها في كل مكان . . . الترانيم والتسابيح والصلوات ! ! !

يقول تعالى :

« ذلك من أنباءِ الغيْبِ نُوحيهِ إليكَ . . .

« وما كنتَ لديهم إذْ يُلْقُونَ أقلامَهُمْ أيّهُمْ يكفل مريمَ وما كنتَ لديهم إذ يختصمُونَ » ! ! !

وفي هذه المرحلة . . . من حياة مريم . . . مرحلة الاعتكاف في الهيكل . . . في محرابها . . . أي في معبدها . . .

كانت مريم في أعلى مراتب التقرب إلى ربها . . .

فلمّا ... تحررت له ... وقطعت علائقها بالخلْق ...

تولاّها ... وأرسل إليها ... لطائف عطاياه ...

وبدأت اللطائف ... تتتابع ... وتتوالى ...

ولا أحد يعلم عنها شيئاً ...

«كُلّما دخَلَ عليها زكريّا المحرابَ ...

«وجَدَ عندَها رزْقاً» ...؟!!

كل مرة ... يدخل عليها محرابها ... ليتفقد شئونها ... يفاجأ بعجائب لا تخطر على باله !!!

فاكهة ... ليست كفاكهة الدنيا ... رزْقاً ؟!! .. لا يخطر على قلب بشر ...

هو يطعمها ... ويسقيها !!!

وتكرر ذلك المشهد ... كلما دخل عليها ...

وأخيراً ... اضطرّ أن يسألها ...

فماذا كان السؤال ؟!!



يا مريم

أنى

لك

هذا ..؟!



« ... قال ...

« يا مريَمُ ...

« أنّى لكِ هذا ... » ؟ ! !

زكريا يريد أن يعرف ...

أنّى ... من أين لك هذا الذي بين يديك يا مريم من اللطائف ؟ ! !

ومتى ... جاءك هذا ... ومَن يأتيك به إلى هنا ؟ ! !

ونظرت إليه العذراء ... التي لم تبلغ المحيض بعد ... في براءة أعلى الملائكة ... وأطهر من القديسين ...

« قالتْ ...

« هوَ ... مِنْ ... عندِ الله ... » ! ! !

ثم زادته ... علماً ... على علم ...

« إنَّ اللهَ يرزُقُ ...

« مَن يشاءُ ...

« بغيرِ حسابٍ .. » ! ! !

فدوّت كلماتها ... في كيانه كله ...

وانفتحت أمامه ... أبواب السماء ... وأبواب الرجاء ...

كان زكريا جاوز المائة . . . وامرأته . . . عجوزاً عاقراً هي الأخرى . . .

فنبّه مشهد مريم . . . منه . . . الأمل في الله . . .

أن يحقق له . . . مستحيلاً . . .

ولا استحالة في قدرة الله ! ! !

هنالك

دعا زكريا

ربه



وقبل أن يغادر المكان . . .

وقبل أن يغلق عليها المحراب . . .

هُنالك ؟ ! !

في نفس اللحظة التي شاهد فيها . . . آثار قدرته تعالى . . .

وفي نفس المكان . . . ناداه . . .

« هُنالكَ . . .

« دعَا زكريّا ربَّهُ . . .

« قالَ ربّ هبْ لي . . .

« مِن لدُنكَ . . .

« ذُريّةً طيبةً . . .

« إنّكَ سميعُ الدّعاء » ! ! !

ذرية طيبة ؟ ! !

كهذه المباركة المكرمة ! ! !

وفي موضع آخر . . . من القرآن العظيم . . . تفصيل لهذا الدعاء :

« ذكرُ رحمت ربكَ عبدَه زكريّا .

« إذ نادى ربّه نداءً خفيّاً .

«قال ربّ اني وَهَنَ العظمُ منّي واشتعل الرأس شَيْباً ولم أكن بدعائك ربّ شقيّاً .

« وإني خفتُ المواليَ مِن ورائي وكانتِ امرأتي عاقراً فهبْ لي مِن لدُنكَ وليّاً .

« يرثني ويرِثُ مِن آل يعقوب واجعلهُ ربّ رضيّاً » ! !

وفي موضع آخر ... تفصيل يتكامل به الدعاء :

«وزكريّا إذ نادى ربّهُ ربّ لا تذَرْني فرْداً وأنتَ خيرُ الوارثينَ .

« فاستجبْنا لهُ ووهبْنا لهُ يحيى ... » ! ! !

ودعا زكريا ربه ... بما شاء ... وتحنن إليه طويلاً ...

كأنه يرفع دعاءه ... من خلال موج مريم ... تبركاً بها ... وما شاهد من عجائب قدرة ربه ! ! !

واذ قالت

الملائكة

يا مريم



أغلق زكريا المحراب . . .

على مريم . . . ومضى . . . يؤدي ما وُكل إليه من شئون الهيكل . .

وعادت مريم . . . إلى وحدتها . . . في محرابها . . .

ترتل من أسفار التوراة حيناً . . .

أو تسبح ربها حيناً . . .

أو تتأمل . . . وتشكر حيناً . . .

وكانت مستغرقة في التوجه إلى ربها . . .

وفجأة :

« **وإذْ قالتِ الملائكةُ** . . .

« **يا مَرْيَمُ** . . . » ؟ ! !

فعجبت مريم . . . ماذا وراء نداء الملائكة لها ؟ ! !

« **إنَّ اللهَ اصطفاكِ** » . . . ! ! !

أنا . . . أمة الله المسكينة . . . الله يصطفيني ؟ ! !

« **وطَهَّرَكِ** . . . » تطهيراً خاصاً . . . وأعَدَّكِ إعداداً خاصاً ! ! !

فسرى في كيانها الطاهر . . . السرور بنعمة الله عليها . . .

« **واصطفاكِ** » اختاركِ أنت بالذات لأمر يريده . . .

«على نساء العالمينَ» على جميع نوع النساء ! ! !

فاشتدت دهشة العذراء . . .

وازداد شعورها . . . بنعمة الله عليها ! ! !

فقالت الملائكة لها :

«يا مَريمُ . . .

«اقنُتي لربِّكِ . . .

«واسجُدي . . .

«واركَعي مع الراكعينَ» ! ! !

مشهد إلهي . . . مقدس . . .

الملائكة تفجأ العذراء . . . الفتاة الصغيرة . . . بالبشرى الجميلة . . .

وفي صوت ملائكي . . . **يا مريمُ . . . إن اللهَ اصطفاكِ . . . وطهّرَكِ . . . واصطفاكِ . . . على نساءِ العالمينَ ! ! !**

لم تظفر عذراء كانت أو تكون . . . بمثل ذلك المشهد ! ! !

فلما آنسوها . . . بما آنسوها . . .

قالوا لها :

يا مريمُ . . . اقنُتي لربِّكِ ! ! !

توجّهي . . . بكُلّكِ . . . وظاهرك وباطنك . . . وسرّكِ . . . لربّكِ ! ! !

لا تلتفتي . . . إلى ما سواه ! ! !

واسجُدي ... ظاهراً وباطناً ... ليلاً ونهاراً ...

واركعي مع الراكعين ... ومجّدي ... وعظّمي ... وكبّري ...

مع الذين يمجدون الله ...

فإن ما أنعم الله به عليكِ ... لم يُنعم به على أحد من نساء العالمين !!!



فنادته

الملائكة

وهو قائم يصلي



أمّا ... زكريّا ...

فذهب إلى نوبته في الهيكل ... يؤدي الشعائر الموكولة إليه ...

فكانت المفاجأة :

« **فنادَتْهُ الملائكَةُ ...**

« **وهو قائمٌ يُصلّي في المحراب ...**

« **إنَّ اللهَ يبشِّرُكَ بيحيى ...**

« **مُصَدِّقاً بكلمةٍ مِنَ اللهِ ...**

« **وسَيّداً ...**

« **وحصُوراً ...**

« **ونبيّاً منَ الصالحينَ » ! ! !**

كانت الاستجابة ... أسرع من تفكير زكريا ...

وأكبر مما يتصوّر [1] !!!

كان الذي يناديه هنا ... وهو قائم يصلي ... جبريل ... عليه السلام..

« **يا زكريّا إنّا نُبشِّرُكَ بغُلامٍ اسمُهُ يَحْيى ...**

« **لم نجْعَل لهُ مِن قبْلُ سَمِيّاً » ! ! !**

---

(۱) راجع تفصيل ذلك ... في كتاب « حياة يحيى » ...

ولما كان الأمر . . . فوق العقل . . .

قال زكريا :

« قالَ ربّ أنّى يكونُ لي غُلامٌ . . .

« وكانتِ امرأتي عاقِراً . . .

« وقَدْ بلغتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً ؟ ! ! !

استحالتان . . .

امرأته عاقر . . . لا تلد أصلاً . . . قاربت على المائة . . .

وهو شيخ تجاوز المائة . . . ولم يُنجب من قبل . . .

فكيف يمكن ذلك . . . وما السبيل إليه ؟ ! !

الجواب يقدمه الروح القُدُس . . . جبريل . . . عليه السلام :

« كذلِكَ . . .

« اللهُ يفعلُ ما يشاءُ » ! ! !

فماذا كان من زكريا ؟ ! !

« قالَ ربّ اجعَل لي آيةً » ! ! !

اجعل لي علامة . . . اعلم بها وقوع ذلك الأمر العجيب ! ! !

« قالَ آيتُكَ . . .

« ألاّ تُكلّمَ الناسَ ثلاثةَ أيامٍ إلاّ رَمْزاً . . . » ! ! !

عندما تمسك لسانك عن الكلام . . . فاعلم أن ذلك قد وقع ! ! !

« فخَرَجَ على قومه من المحراب . . .

« فأوحى إليهمْ . . . » ! ! !

فأشار إليهم . . . لعجزه عن النطق والكلام . . .

« أن سبِّحوا بُكرةً وعشِيّاً » ! ! !

وحملت أليصابات . . . بيحيى . . .

ووقعت المعجزة ! ! !

إلاّ أن معجزة أكبر . . . سوف تكون ! ! !



يا مريم

ان الله يبشرك

بكلمة منه



هذه هي البشرى الثانية . . .

أما الأولى . . . فقد مضت . . . وهي « إن الله اصطفاكِ . . . وطهّركِ . . . واصطفاكِ على نساء العالمين » . . . وكانت تمهيداً وإعداداً . . . لتلقّي الواقع الذي سوف يكون . . .

وها هو . . . يكون ! ! !

قال تعالى :

« إذْ قالتِ الملائكةُ . . .

« يا مريمُ . . .

« إن اللهَ يُبَشّرُكِ . . .

« بكلمةٍ مِنهُ . . .

« اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ . . .

« وجيهاً في الدنيا والآخرةِ ومِنَ المقربينَ » ! ! !

البشرى الثانية . . . يا مريمُ . . . إن اللهَ يبشركِ ! ! !

جبريل . . . عليه السلام . . . يزف إليها البشرى . . .

وممن ؟ ! ! . . من الله . . . إن الله يبشركِ ! ! !

وتطلعت العذراء . . . بكل سرّها . . . فقال جبريل . . . عليه السلام :

« بكلمةٍ . . . مِنهُ . . . » ! ! !

ما هذه الكلمة ؟ ! !

وما هي كلمات الله ؟ ! !

كل شيء . . . إنما هو كلمة . . . من كلمات الله . . .

كل كائن . . . من أعلى الكائنات . . . إلى أدناها . . . كلمة . . .

« قل لو كانَ البحرُ مداداً لكلماتِ ربي لنفِدَ البحرُ قبلَ أن تنفدَ كلماتُ ربّي ولو جئنا بمثلِهِ مدَداً » ! ! !

وإذا كان كل شيء كان أو يكون . . . إنما هو كلمة من كلمات الله ...

فما هو الجديد هاهنا . . . في هذه الكلمة ؟ !

الجديد . . . شيء عجيب رهيب غريب ! ! !

لم يحدث قبل قط . . . ولن يحدث بعد قط . . .

تجربة منفردة . . . لتزلزل العقول . . . وتهز أعماق البشر . . .

لقد تجمدت عقول الناس . . . وتحجرت أفكارهم . . . على الناموس السائد فيهم وفي آبائهم وأبنائهم . . .

انه مستحيل . . . أن يُخلق إنسان . . . إلاّ من ذكر وأنثى . . . إلاّ بتلقيح من الذكر للأنثى . . .

فاضمحلت بإلف هذا القانون أحاسيس الناس نحو قدرة ربهم . . .

لأن إلف الشيء يُنسي الإنسان قيمته . . .

فلا بد من زلزلة . . . تزلزل هذه العقول . . . لتفهم أن الله يخلق ما يشاء . . . كيفما شاء . . . وأن اطراد هذا الناموس . . . ناموس التناسل عن طريق الذكر والأنثى . . . ليس هو وحده الأسلوب الوحيد عند الله . .

بل إن شاء . . . خـَلـَق . . . بأساليب لا تخطر على بالنا . . . ما شاء ! ! !

وها هي « كلمة » . . . « منهُ » . . . سيكون منها . . . كائن . . . بشَر . . . بغير أب من البشر . . . بغير تلقيح من ذَكر ! ! !

ولما كان الأمر جديداً . . . لا تحتمله أنثى . . .

كان لا بد من إعداد مريم . . . لتتحمله عند وقوعه . . .

فبُشّرت من قبل . . . إنها مصطفاة على نساء العالمين . . .

ثم ها هي تُبشَّر . . . بكلمةٍ منهُ ! ! !

مِنهُ ؟ ! ! !

ها هنا مفتاح الأمر كله ! ! !

العطايا الإلهية . . . مراتب ثلاث . . .

عطاء . . . « مِنهُ » . . .

وعطاء . . . « مِن لدُنهُ » . . .

وعطاء . . . « مِن عنده » . . .

وأعلاها . . . عطاء . . . « مِنهُ » . . .

منهُ . . . رأساً . . . بلا أسباب . . . وبلا قوانين طبيعية . . .

وإنما . . . كن . . . فيكون . . .

وتجد ذلك مكنوناً في قوله سبحانه :

« إنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ . . .

« كمَثَلِ آدمَ خلَقَهُ مِن تراب . . .

«ثم قالَ لهُ كنْ فيكونُ .

«الحقّ مِن ربِّكَ فلا تكُن مِن الممترينَ» ! ! !

هاهنا المفتاح كله ! ! !

ما حقيقة المسيح عيسى بن مريم ؟ ! !

ما سرّه . . . ولماذا هو بالذات . . . ينفرد من بين الأنبياء بذلك ؟ ! !

واختصمت فيه البشرية . . . وما زالت تختصم . . .

أما الذين كفروا من اليهود . . . فهو عندهم ابن يوسف النجار . . . وأن ما تزعم مريم فيه إنما هو تغطية لفعلتها المنكرة ! ! !

وأما الذين افتتنوا به . . . فمن قائل . . . هو الله ... ومن قائل إله من ثلاثة . . . ومن قائل ابن الله . . .

وأما المسلمون . . . فهو رسول الله . . . خلقه بقدرته ! ! !

وإنما حيّرت شخصيته الناس لانفراده بظاهرة خاصة به . . . من دونهم جميعاً . . . وهي مولده بغير أب . . .

ولما كان القرآن هو آخر كتاب من الله إلى الناس . . .

ولما كانت قضية المسيح . . . هي من كبرى قضايا الناس . . .

كان من مقتضى الرحمة الإلهية أن يقول للناس . . . الحقّ . . . من أمر المسيح . . . «الحقُّ مِن ربّكَ» ! ! !

وضرب لهم مثلاً . . . يقرب إلى أفهامنا مسألة المسيح . . .

إنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ . . . أي شأنه . . . وقصته الغريبة . . . والخارقة للعادة . . . وهي وجوده بلا أب . . .

« كَمَثَلِ آدمَ » . . . وشأنه . . . في إبداء الله إياه . . . وإيجاده . . .
بل قصة آدم أغرب من قصته . . . إذ لا أب له ولا أم . . . بل . . .

« خلقه » . . . أي قدّره . . . وصوّره . . . سبحانه . . .

« من تراب » جماد جامد . . .

« ثم قال له كُن » بشَراً . . . حيّاً . . . « فيكون » . . . بالفور . . .
حيواناً . . . ذا حس وحركة إرادية . . . وإدراك . . . وفهم ! ! !

فأي العجيبتين أعجب من أختها ؟ ! !

إنسان . . . بلا أب . . .

أم إنسان . . . بلا أب . . . وبلا أم ؟ ! !

المنطق يقول : آدم أعجب . . . من عيسى . . .

لأن آدم . . . لا أم له تحمله وتضعه . . . ولا أب شارك في تلقيحه . . .

أفإن جاء عيسى من أم طبيعية . . . ونفخة فيها . . . يُحدث هذه الزلزلة المستمرة في عقولكم ؟ ! !

من أجل هذا . . . وما أحدثته تجربة خلق عيسى . . . من حيرة في عقول الناس . . . لم تتكرر تلك التجربة . . .

« وما مَنَعَنا أن نُرسلَ بالآياتِ إلاّ أن كذَّبَ بها الأوّلونَ » ؟ ! !

نعم . . . يكفي هذا . . . لقد فقد كثير من الناس عقولهم . . . أمام آية خلق عيسى . . .

فكيف . . . إذا كرَّرناها . . . بأساليب من إيجاد المخلوقات . . .
بما هو أعجب من أسلوب إيجاد عيسى ؟ ! !

لا شك أن الناس سيفقدون البقية الباقية من عقولهم ! ! !

إذن . . . من مقتضى الرحمة . . . إيقاف هذا الأسلوب . . . وقد كان...

فلم يتكرر بعد عيسى ! ! !

لأن أفعال الله . . . تأتي على مقتضى الحكمة . . .

فالفعّال لما يريد . . . هو الموصوف بالحكيم . . .

أراد الله أن يكون أمر خلْق عيسى . . . آية للناس . . . دالة على قدرته أن يخلق ما يشاء . . . كيفما شاء . . .

« وجَعَلْناها . . . وابنَها . . . آيةً للعالمينَ » ! ! !

فماذا كان من كثير من الناس ؟ ! !

هل جعلوها . . . دليلاً على قدرة الله ؟ ! !

كلا . . . وإنما افتتنوا بها ... وقالوا بل هو الله . . . بل هو أحد ثلاثة . . . بل هو ابن الله ! ! !

إذن . . . لا تكرار لمثل هذا الأسلوب . . .

لقد كان اختباراً لعقول الآدميين . . . أما وقد رسبوا في الامتحان . . . فمن مقتضى الرحمة بهم . . . أن تُكفّ عنهم مثل تلك الأسئلة الصعبة ! ! !

بكلمةٍ . . . منهُ ؟ ! ! !

تُلقى . . . منه . . . رأساً . . .

إلى مريم . . . فتتحول فوراً . . . إلى جنين . . . يتقلب في أحشائها ! ! !

« إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ . . .

« رسولُ اللهِ . . .

« وكلمتُهُ ...

« ألْقاها ...

« إلى مريمَ ...

« وروحٌ مِنهُ ... »

وكلمته ... ألقاها ... رأساً ... إلى مريم ...

وهذا هو سرّ قوله « منهُ » ...

فالمتخلق من نطفة ذَكَر ... هو أيضاً ... كلمة من كلمات الله ...

ولكن عيسى ... كلمة ... منهُ ... رأساً ...

لا تمرّ على مراحل قذف المنيّ وتخصيب البويضة إلى آخر هذه الأسباب ...

ولكن « منهُ » ... رأساً ... كُن ... فيكونُ ...

أُلقيت ... الكلمة ... إلى مريم ...

لتتحول فوراً ... إلى جنين ... بدون الأسباب المألوفة ...

ولما كان إلقاء الكلمة رأساً ... إلى مريم .. بدون وسائط قد يعرض مريم لشدة المفاجأة ... كان مقتضى الرحمة ... أن تُبشَّر بما سوف يكون ... لتتأهل لإلقاء الكلمة ...

وكان هذا هو الدور الذي قام به ... الروح القُدُس ... جبريل ... عليه السلام ...

حمل البشرى ... إلى مريم ... لتتأهل للمفاجأة إذا وقعت ...

ونفخ الكلمة ... لأنه الروح القدُس ... وكلمة الله ... روح ...

وتمت العملية . . . بإلقاء هذه الكلمة . . . قام بالإلقاء . . . جبريل . . .
الذي هو . . . الروح القدُس . . .

وهذا الإلقاء . . . تم بالنفخ . . .

« فَنَفَخْنا . . . فيها . . . مِن رُوحِنا . . . » ! ! !

من الروح الأمين . . . من جبريل . . . عليه السلام . . .

وإياك إياك . . . أن تتوهمن أن النفخ هنا كالنفخ في الكير . . .

كلا . . . إنما هو تقريب لعقولنا . . . لتستطيع أن تدرك . . . إرادة
الحياة . . . إذا أرادها الله . . . كُن . . . فيكونُ ! ! !

ولما كان ظهور جبريل لها . . . على صورته الحقيقية . . . لا تحتمله . . .
فكان مقتضى الرحمة بها . . . أن يتمثّل لها بَشَراً سويّاً . . . شاباً جميلاً . . .
فتظن به الظنون . . .

ثم يكشف لها مهمته « **إنّما أنَا رسولُ ربّكِ . . .**

« لأهَبَ لكِ غُلاماً زكيّاً » . . .

ثم كان ما كان . . .

ونفخ جبريل . . . في العذراء . . .

« فَحَمَلَتْهُ . . . » ؟ ! !

و

روح

منه



هاهنا مصدر الفتنة الكبرى . . .

في عقول كثير من الناس ! ! !

قال تعالى :

« وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ . . .

« وروحٌ مِّنْهُ . . . »

إذن المسيح . . . روحٌ من الله . . . من هنا افتتن الكثير . . .

وأخرى أشد إثارة للافتتان . . .

« فنَفَخْنا فيها مِن روحنا . . . » ! ! !

إذن المسيح . . . روح الله ! ! !

وأخرى أعجب من هاتين . . .

« . . . فأرسَلْنا إليْهَا رُوحَنا فتَمثّل لها بشراً سويّاً » ! ! !

وأخرى . . .

« ومريمَ ابنتَ عمرانَ التي أحصنَتْ فرْجَها فنفخْنا فيهِ مِن رُّوحِنا ».!

هاهنا المنزلق . . . الذي زلقت فيه الأقدام . .

وهاهنا الفتنة . . . التي أزاغت كثيراً من العقول . . .

وكان الأجدر بالعقول ... لولا الهوى ... أن ترتفع إلى ما ينبغي عليها ... من تنزيه لله ... وإقرار بقدرته ...

جبريل ... عليه السلام ... هو حامل ... الكلمة ... إلى مريم ...

وهو المأمور ... بنفخها ... فيها ...

« إنما أنا رسولُ ربِّك ...

« لأهَبَ لكِ غُلاماً زكيّاً » ! ! !

فهو مأمور ... وليس بآمر ...

ولا يستطيع هو ... أو مَن هو أكبر منه ... من الخَلْق ... أن يأمر بشيء ... أو يفعل شيئاً ... إلاّ بإذن الله ...

« لا يَعصونَ اللهَ ما أمَرَهم ...

« ويفعلونَ ما يُؤمَرونَ » ! ! !

كل الملائكة ... مأمورون ... بدءاً من جبريل ... فما دون ...

وهذا هو معنى « إنما أنا رسولُ ربِّك ... » مجرد رسول ... مجرد مأمور ...

« لأهبَ لكِ » أمرني ربي ... أن أهَبَ لك ...

ما يملك جبريل أن يهب ... وإنما أُرسل ليهَب ... مأمور ...

وأوضح من ذلك ... قوله تعالى :

« كذلكِ ...

« قال ربّكِ ...

« **هو عليَّ هينٌ** . . .

« **ولنجعلَهُ آيةً للناسِ** . . .

« **ورحمةً منّا** . . .

« **وكان أمْراً مقْضيّاً** » ! !

وبعدها مباشرة :

« **فحَمَلَتْهُ** . . » ! ! !

كذلكِ . . . يا مريم . . . قال ربُّكِ . . .

وكان قوله هذا . . . أمراً . . . مقضيّاً . . .

يتحتم وقوعه . . . كما أراد . . .

فليس لي . . . أن أزيد فيه أو أنقص . . . وما أستطيع ! ! !

وليس لكِ . . . إلاّ التسليم ! ! !

أنا مأمور . . . وأنتِ مأمورة ! ! !

فلما صارت العذراء . . . في تمام التسليم والرضا . . . كان ما كان . . .

ولما كان جبريل هو الروح الأقدس « **برُوحِ القُدُس** » . . .

أي الروح الأقدس . . . أي الأعلى مرتبة من الملائكة وكلهم مقدسون أي مطهرون . . . « **ونُقدّسُ لكَ** » . . . لأنهم أنوار . . .

وكان هو النافخ . . . وهو الحامل للكلمة . . . ليلقيها إلى مريم . . . بالنفخ فيها . . . « **فنَفَخْنا فيها مِن رُوحِنا** » . . . أي من جبريل . . .

امتاز عيسى عن غيره . . . بأن جبريل هو النافخ . . .

أما سائر الناس ... فتقوم الملائكة الموكلون بالأرحام بنفخ أرواحهم فيهم ...

وشتان بين نفخ جبريل ... الروح القدس ... وبين نفخ الملائكة الموكلة بالأرحام ... لأن مرتبتها أدنى كثيراً من مرتبة جبريل ... الروح القدس ... أي أعلى الملائكة ... أي أقدسهم ... وأعظمهم ...

وهاهنا ... السر الأعظم ... من تكوين المسيح ... ومعجزات المسيح ...

كل إنسان فيه نسبة ما من المادة أي الجسم ... ونسبة من الروح ...

وهذه النِسَب مقدرة تقديراً دقيقاً ... بحيث تحفظ استمرار التوازن مدى حياة الإنسان ...

فلما كان المسيح ... وأُلقيت كلمته ... إلى مريم ...

عن طريق جبريل ... الروح القدس ... رأساً ... « فنفخنا فيها من رُوحِنا ... » عن طريق جبريل ...

كانت النسبة الروحية في المسيح ... أضخم من النسبة الروحية المعتادة في تكوين كل إنسان ...

فلما زيدت النسبة الروحية في عيسى ...

غلبت عليه صفات الروح ...

وظهرت منه ... تلك الخوارق التي أثارت خلخلة ... وجلجلة ... في عقول الكثيرين ! ! !

فأخذ عيسى بسبب نفخة جبريل أعلى المراتب الروحية ...

وكل ذلك مكنوناً في قوله تعالى :

«وآتَينا عيسى ابنَ مريمَ البيناتِ وأيّدْناهُ برُوح القُدُس ...» !!!

آتيناه المعجزات ... من أين له هذا ... الجواب «وأيّدْناه بروح القُدُس» ... تأتى له هذا من خصائص أعلى مراتب الأرواح ...

«اذكُرْ نعمتي عليكَ وعلى والدَتِكَ ...

«إذْ أيدتُّكَ برُوحِ القُدُسِ ...»

أيدتك بجبريل ... أعلى ... وأقدس ... مراتب الأرواح ...

وانظر إلى الربط بين الأمرين في الآية :

«وآتينا عيسى ابن مريم البينات ...

«وأيّدناه برُوحِ القُدُسِ ...» !!!

هناك ربط بين البينات ... المعجزات ووقوعها منه بكثرة ...

وبين روح القُدُس ... وبين جبريل وصفاته ...

أي تيسرت له هذه المعجزات ... لأنها من صفات الأرواح ... فكيف وهو آخذ ... من أعلى مراتب الأرواح ... مرتبة نفخة جبريل !!!

فالسر الأعظم ... أن النسبة الروحية في عيسى أضخم من النسبة المعتادة في الناس ...

فغلبت صفات الروح فيه ... على صفات الجسد ...

ولما كانت هذه النسبة الزائدة نُفِخَت عن طريق جبريل ... الروح القدُس ... فقد جاءت من مرتبة هي أعلى مراتب الأرواح ... التي لها أن تفعل ما تشاء ...

وهذا ما يكون في حياة الجنّة :

« **لهم ما يشاءونَ فيها ...** »

« **ولهم ما يدّعونَ** » ...

فجاء عيسى ... وفيه صفات أعلى نوع من الأرواح ... الذي يفعل ما شاء ...

وهذا هو سر الطلسم كله ... من أمر عيسى ...

فهو يُحيي الموتى ...

ويمشي على الماء ...

ويمشي في الهواء ...

ويخلق الطير فيكون طيراً ...

ويُبرىء الأكمه والأبرص ... بمجرد اللمس ...

ولا يحتاج إلى طعام وشراب ... لأن الروح لا تطعم ولا تشرب ... فكيف بنفخة الروح القدس ... وهو آخذ من مرتبته ...

وهو يستطيع أن يتمثل فيما شاء من الهيئات والصور ... لأن هذا من صفات الأرواح ... وقد ثبت هذا عنه في أكثر من موضع ... أن هيئته كانت تتغير إلى هيئة أخرى ... « **ولكن شُبِّه لهُمْ** » ...

وهو ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون ... وهذه صفة من صفات الأرواح. تعلم من الغيوب إلى مسافات بعيدة في المكان والزمان ...

وهكذا ينحل الطلسم ... وينحسم الخلاف ...

أن المسيح ... كلمة ... نفخها جبريل ... الروح القُدُس ... بإذن الله ...

فجاء المسيح ... يحمل صفات روحية أضخم من المطلوب للإنسان الطبيعي لإدارة جسده ...

فجاء جسده مجرد غلاف لطيف تستتر به ... روحه العلوية القُدُسية ...

وكانت روحه تلك أضخم جداً من المطلوب لجسده ...

فكانت الروح هي المسيطرة والغالبة في كل ما كان منه ...

وجاءت تعاليمه كلها ... روحية ... لا تلتفت إلى الجسد ... إلاّ بنسبة جسده إلى روحه ! ! !

وجاءت تعاليمه تدعو إلى ملكوت السماء الأبدي ... حيث تنعم الأرواح تمام نعيمها ... لأنها هنا مقيدة بغلاف أجسامها ... فمن الخير الخلاص من هذا الغلاف ... والانطلاق ...

فيمكن أن يقال ... إنه يشبه صفات الملاك ... عاش فترة في جسد إنسان ... كما تمثّل جبريل ... بشَراً سويّاً ... لمريم ...

فجبريل روح ... ظهرت في تلك اللحظة في صورة بشر ...

وهاهنا سرّ عجيب ...

انفجر الآن فقط ! ! !

أنّ ... جبريل ... تمثّلَ لمريم ... بشَراً سويّاً ... أي إنساناً ... أي شاباً جميلاً ... على صورة ما ... لم ترها مريم من قبل ...

وربما كانت هذه الصورة ... هي صورة المسيح ... عندما يكتمل نموه ... ويكون شاباً ... ونبيّاً ... ورسولاً ...

لتفهم مريم من هذه التجربة ...

أنه كما استطاع جبريل ... أن يتمثل بشراً هكذا ...

فإن الكلمة التي سوف تنفخ فيك يا مريم . . . ستكون لها نفس هذه الصورة فيما بعد . . .

ولا تعجبي أن تتحول الكلمة إلى إنسان سوِيّ . . .

فها أنا جبريل أمامكِ . . . وقد ظهرتُ في صورة بشر ! ! !

فكانت تجربة . . . لمريم . . .

أن ترى صورة المسيح . . . مقدماً . . . حين تمثّل لها جبريل في هذه الصورة ! ! !

والله أعلم ! !

ولو نشاء

لجعلنا منكم

ملائكة



لماذا تمثّل جبريل . . .

لها بشراً سويّاً ؟ ! !

لماذا كان أول شيء في المفاجأة . . .

أن يتمثل لها جبريل . . . شاباً جميلاً ؟ ! !

لترى بداية الشريط السينمائي . . . ونهايته . . . من أول لحظة . . .

فالبداية . . . « كلمة » . . .

« في البدء كانت الكلمة » . . .

والنهاية . . . أن تكون الكلمة . . . واقعاً . . . « **اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ » ! ! !**

وهاهو أمامكِ الآن . . . يا مريم ! ! !

ها هو المسيح عيسى ابن مريم . . .

هكذا سيكون من حيث الصورة . . .

فرأت مريم أول ما رأت . . . تحقق هذا المستحيل . . . أمامها . . .

رأت صورة المسيح الذي يبشرها به . . . معروضاً أمامها . . . « فتمثّلَ لها بشراً سويّاً » . . . أخذ مثال المسيح الذي سوف يكون . . .

هكذا يا مريم . . . طبق الأصل مما ترين ! ! !

فإن كنتِ تسألين : أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشَر ؟ ! !

فها هو غلام . . . بل شاب مكتمل الشباب . . . جميل الخلقة . . . يقف أمامك . . . فمن أين كان هذا الشاب . . . الذي ليس له أب ولا أم ؟ ! !

« **كذلك . . . قالَ . . . ربُّكِ ! ! !**

كذلكِ . . . كما ترين الآن . . .

سوف يكون ابنك . . . طبق الأصل . . .

لعل هذا سر المفاجأة :

« **فأرسَلْنا إليها رُوحَنا . . .**

« **فتمثّلَ لها . . .**

« **بشَراً سويّاً » ! ! !**

لتفهم . . . بالنموذج العملي المحسوس . . . فتزداد يقيناً على يقينها ! ! !

وتجد الإشارة إلى كل ذلك مكنونة في قوله تعالى :

« **ولمّا ضُرِبَ ابنُ مريمَ مَثَلاً إذا قومُكَ منهُ يصِدّون » ! ! !**

ثم يقول :

« **إنْ هوَ إلاّ عبْدٌ أنْعمْنا عليهِ وجعلناهُ مثَلاً لبني إسرائيل .**

« **ولو نشاءُ لجعَلْنا منكمْ ملائكةً في الأرضِ يخْلُفُونَ .**

« **وإنّهُ لعِلْمٌ للساعةِ فلا تمترُنَّ بها واتبعونِ هذا صراطٌ مستقيمٌ » .**

هاهنا . . . في هذا السؤال . . . نجد السر . . .

ما هو وجه الارتباط بين قوله « إن هو إلاّ عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه

مثلاً لبني إسرائيل » . . . وبين قوله « ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلُفُون » ؟ ! !

وجه الارتباط . . . كأنه يراد أن يقال : إن عيسى هذا الذي ذهبتم فيه المذاهب . . . من مكذب إلى مؤله له . . . إن هو إلاّ عبدٌ . . .

فإن جاءتكم الفتنة . . . من كونه جاء من غير أب . . . وأنه يُحيي الموتى . . . ويشفي المستعصي من المرضى . . . فاعلموا أنه ذو روح زائدة عنكم . . . تعطيه هذه الخصائص . . . فهو أشبه بمَلَك في صورة بشر . . .

وليس هذا عجيباً في قدرتنا . . .فلو شئنا . . . أن نجعل منكم ملائكة في صورة بشَر يمشون في الأرض . . . ويخلف بعضهم بعضاً لفعلنا . . . ولكن يكفيكم مَثَلاً واحداً . . . هو عيسى . . . « **وجَعَلْناهُ مَثَلاً** » . . .

فهو مثال . . . أمامكم . . . لتفهموا صفات الأرواح . . . إذا كان لها السلطان على أجسادها . . . وماذا تستطيع أن تفعل . . . إنها تفعل ما تشاء . . .

« **وإنّهُ** » وإن عيسى . . . وأحواله . . . وما يصدر عنه من آيات . . .

« **لعِلمٌ** » عظيم . . . تتعلمون منه . . . كيف الحياة في العالم الآخر . . . في الجنّات . . . حين يكون السلطان للروح . . . فتظهر صفات الروح إلى مداها . . .

« **للسّاعةِ** » كيف يكون الأمر هناك . . . وها هو المسيح مثالاً لإنسان الجنّة . . . إنسان الملكوت الأبدي . . .

وهذا هو السر فيما بشّر به المسيح . . . بملكوته الأبدي . . . هناك . . . وليس هاهنا في الدنيا . . .

لأنه هو نفسه نموذج . . . لإنسان هذا الملكوت ! ! !

أمور عجيبة . . . ورموز غريبة . . . في ثنايا الآيات ! ! !

« فتَمثَّلَ لها بشَراً سوِيّاً » ! ! !

ها هو جبريل . . . الروح القُدُس . . . هاهو بشَراً . . .

مَن أبو . . . هذا البشر ؟ ! !

بل . . . مَن أمّه ؟ ! !

لا أب له . . . ولا أم ! ! !

إذاً هذه صفة من صفات الأرواح . . . أن تتمثل فيما شاءت من الصور ! !

فكيف تعجبين . . . أن تتحول كلمة من الله . . . إلى بشر . . . اسمه المسيح عيسى ابن مريم ؟ ! !

لقد أريناك عملياً . . . ما منه تعجبين ! ! !

ثم المرموز الآخر . . . « ولما ضُربَ ابنُ مريم مَثَلاً » ثم « ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض » . . . لكررنا تجربة عيسى . . . فما هو إلاّ روح علوية قدسية . . . في جسد مادي . . .

ومهما كان من أمره . . .

ومن اختلافكم فيه . . .

« إنْ هُوَ إلاّ عبْدٌ . . .

« أنْعَمْنا عليْهِ . . . » ! ! ! !

اسمه

المسيح

عيسى بن مريم



وواصل جبريل . . . عليه السلام . . . حديثه الملائكي المقدس :

« يا مريمُ . . .

« إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ . . .

« بكلمةٍ منهُ . . . » ! ! !

ثم ماذا ؟ ! !

« اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ . . . » ! ! !

ليس فقط يزف إليها البشرى . . .

ولكن يخبرها مقدماً . . . باسمه . . .

اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريم ؟ ! !

فما معنى هذا ؟ ! !

معناه أن الذي سماه هو الله . . .

وأن الذي أخبرها بذلك هو الله . . .

وأن الذي أمر جبريل أن ينبئها بذلك هو الله . . .

ثم ماذا ؟ ! ! . . . ثم يقول جبريل :

« وجيهاً في الدنيا والآخرةِ ومِنَ المقربينَ » ! ! !

وجيهاً ؟ ! !

سيداً . . . وشريفاً . . . وعظيماً . . . يتوجه إليه الناس . . . ليشهدوا من عجائبه . . . ويسمعوا بدائع حكمته ! ! !

« في الدنيا » ما دام حيّاً . . . وبعد مماته . . . تخلد رسالته . . . لخلود مبادئها . . . وسمو ما فيها . . .

« والآخرة » وجيهاً . . . وعظيماً في الآخرةِ . . . في ملكوت السماء . . .

« ومن المقربين ومن قمم المقربين إلى الله . . . وساداتهم ! ! !

ثم ماذا من هذه البشرى الخالدة ؟ ! !

« ويكلّمُ الناسَ في المهْدِ وكهلاً ومِنَ الصالحينَ » ؟ ! !

سوف ينطق هذا الغلام يا مريم رضيعاً . . . آية من الله . . . ينطق بحكمة الكبار . . .

وسوف يكلم الناس حين يبعثه الله إليهم رسولاً . . . عندما يكون كهلاً . . . في مطلع الرجولة . . .

وهو دائماً من أعظم عظماء الصالحين . . . لإصلاح الناس . . . وإصلاح نفوسهم . . . وتوجيهها إلى حب الله ! ! !

« قالتْ

« ربّ أنّى يكونُ لي ولدٌ ولم يمسَسْني بَشَرٌ . . . » ؟ ! !

عقلها تشعشع عجباً ! ! !

أنّى . . . يكونُ لي ولدٌ . . .

لا تدري العذراء كيف يكون ذلك . . . ولا متى ؟ ! !

ولم يمسَسْني بشَرٌ ! ! ! . . . قط . . . وأنت تعلم ! ! !

« قالَ كذلِكِ . . .

« اللهُ يخلُقُ ما يشاءُ . . . »

فازدادت عجباً ! ! !

فزادها جبريل . . . علماً ونوراً :

« إذا قَضى أمْراً . . .

« فإنّما يقولُ لهُ كُن فيكونُ » ! ! !

فأسلمت العذراء وجهها لله . . .

وأسلمت قلبها لربها . . .

فجعل جبريل يتمم لها البشرى فقال :

« ويُعَلِّمُهُ الكتابَ والحكمةَ والتوراة والإنجيلَ » ! ! !

البشرى تدخل إلى ما سوف يحدث تفصيلياً لعيسى . . .

« ويعلمه » الله . . .

« الكتاب » سائر الكتب الإلهية السابقة عليه . . .

« والحكمة » ويكون كلامه حكمة تتناقلها الأجيال . . .

« والتوراة » ويعلمه كل ما في التوراة . . . التي هي أم الناموس والتشريع عند بني إسرائيل . . .

« والإنجيل » وينزل عليه كتاباً اسمه الإنجيل . . . أي البشارة ! ! !

هل هذا فقط . . . كلاّ بل ويخبرها بتفاصيل معجزاته الخارقة التي سوف تكون على يديه :

« ورسولاً إلى بني إسرائيلَ . . .

« إنّي قدْ جئتُكُم بآيةٍ مِن ربِّكُمْ » ! ! !

ويكون رسولاً إلى بني إسرائيل جميعاً . . .

ويقول لهم حين يكذبونه ... إني قد جئتكم بآية من ربكم . . . مولدي آية . . . وسوف آتيكم بآية بعد الأخرى . . . لتصدقوا أني رسول الله إليكم ...

« أنّي أخلُقُ لكُم مِنَ الطينِ كهَيْئةِ الطيرِ . . .

« فأنْفُخُ فيهِ فيكونُ طَيْراً بإذنِ اللهِ . . . »

ويقول لهم : إني أخلُقُ لكم من الطين كهيئة الطير . . . أصنع من أجلكم . . . من الطين . . . كصورة الطائر الذي أريد إيجاده وخلقه . . .

كهيئة الطير . . . وصورته . . . أي مثالاً لا حس له ولا حركة . . .

لكم ؟ ! . . . بين أيديكم باقدار الله إياي . . .

« فأنفخ فيه » بعد تكميل الصورة . . .

« فيكون طيراً » طياراً . . . ذا حس وحركة إرادية كسائر الطيور . . . وبالجملة ذلك التقدير والنفخ يصدر عني . . .

« بإذن الله » وبمقتضى قدرته الشاملة وإرادته الكاملة . . .

ثم ماذا سوف يكون ؟ ! !

« وأبْرِيءُ الأكْمَه والأبْرَصَ وأُحْيِ الموْتى بإذْنِ اللهِ . . . » !!!

« وأبرىء الأكمه » المكفوف العينين . . . الممسوح العينين . . . والذي وُلد أعمى . . . المستحيل عودة بصره إليه . . .

« والأبرص » الذي لا يُرجى برؤه . . . وهجره الناس مخافة العدوى ...

« و » أعظم من ذلك أني . . .

« أحيي الموتى » القديمة . . . الذين تفتتت عظامهم . . . أو ماتوا حديثاً أو من بعيد . . .

« بإذن الله » وكمال قدرته الشاملة . . . وإرادته الكاملة . . .

« وأنَبِّئُكم بما تأكلونَ وما تدَّخرونَ في بيوتكُمْ . . .

« إنَّ في ذلكَ لآيةً لكم إن كنتُم مؤمِنينَ » ! ! !

« وأنبئكم » وأخبركم . . .

« بما تأكلون » في بيوتكم أو غيرها من الأماكن . . .

« وما تدخرون » منها . . .

« في بيوتكم » حيث لا يعرفها سواكم . . .

« إن في ذلك » المذكور من المعجزات والخوارق التي ما جاء به أحد من الأنبياء . . .

« لآية » ظاهرة . . . دالة على نبوتي ورسالتي . . .

« لكم » لإرشادكم وهدايتكم . . .

« إن كنتم مؤمنين » بالله . . . وبإرساله الرسل . . . وإنزاله الكتب . . .

«ومُصَدّقاً لما بيْنَ يدَيَّ مِنَ التوراةِ ولأحِلَّ لكُم بعضَ الذي حُرّمَ عليكمْ وجئتُكم بآيةٍ مِن ربّكم فاتّقُوا اللهَ وأطيعونِ .

« إنَّ اللهَ ربّي وربّكُمْ فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيمٌ » ! ! !

« ومصدقاً لما بين يدي من التوراة » المشتملة على ظواهر الأحكام . . .

بل لجميع الكتب المنزلة على عموم الأنبياء والرسل الماضين . . . ولعموم

أديانهم وشرائعهم . . . إذ من جملة إمارات النبوة والرسالة تصديق الأنبياء والرسل الذين مضوا . . . والكتب التي جاءوا بها من قبله سبحانه . . .

« ولأحلّ لكم » في دينكم وملتكم . . . المنزل من عند الله عليّ . . .

« بعض الذي حرّم عليكم » في الأديان الماضية . . . ومن سنته سبحانه نسخ بعض الأديان ببعض . . . وإن كان الكل نازلاً من عنده . . .

وذلك كنسخ المسيح ليوم السبت . . . الذي كان محرماً على اليهود ! ! !

هذه هي البشرى التي زفّها جبريل . . . إلى العذراء . . .

وقد اشتملت على حياة المسيح . . . من أولها إلى آخرها . . . وعلى حقيقته . . . وعلى رسالته . . . وعلى معجزاته . . . لتستيقن العذراء . . . وتزداد تصديقاً بكلمات ربها وكتبه :

« وصدّقت بكلمات ربّها . . .

« وكُتُبه . . .

« وكانت من القانتين » ! ! !

فنفخنا

فيها

من روحنا



إنما هي لحظة . . . تعدل الزمان . . . من الأزل . . . إلى الأبد . . .

نالت فيها العذراء . . . شرفاً لم تنله أنثى . . . قبلها ولا بعدها ! ! !

لحظة . . . « فنفخنا . . . فيها . . . من روحنا » ! ! !

فكيف كان . . . الذي كان ؟ ! !

قال تعالى :

« واذْكُرْ في الكتابِ مريمَ إذِ انتبذَتْ مِنْ أهلِها مكاناً شرْقيّاً .

« فاتّخذَتْ مِن دونهم حجاباً فأرسَلْنا إليْها رُوحَنا فتمَثّلَ لها بشَراً سويّاً .

« قالتْ إني أعوذُ بالرحمنِ منكَ إن كنتَ تقيّاً .

« قالَ إنّما أنا رسولُ ربّكِ لأهَبَ لكِ غُلاماً زكيّاً .

« قالتْ أنّى يكونُ لي غلامٌ ولم يمسَسْني بشَرٌ ولمْ أكُ بغيّاً .

« قالَ كذلكِ قالَ ربُّكِ هو عليَّ هيّنٌ ولنجعلَهُ آيةً للناسِ ورَحْمَةً منّا وكانَ أمْراً مقضيّاً .

« فحمَلَتْهُ . . . » ! ! !

« واذكر » يا أكمل الرسل . . . وضَعْ في سجل الخلود . . .

« في الكتاب » الذي ليس كمثله كتاب . . . أي القرآن المنزل إليك . . . سيدة النساء . . .

« مريم » عليها السلام . . . أي قصتها العجيبة الشأن . . . التي هي أعجب وأغرب من قصة ولد زكريا عليه السلام . . . اذكُر وقت . . .

« إذ انتبذت » أي اعتزلت وتباعدت . . .

« من أهلها » حين حاضت . . . وطهرت . . . وأرادت الاغتسال . . . حسب طهارتها الفطرية . . . ونجابتها الجبلية . . . فاختارت الخلوة والستر . . .

« مكاناً شرقياً » أي قِبَلَ مشرق الشمس . . . ومع كونه مكاناً بعيداً خالياً عن الناس . . .

« فاتخذت » وأسدلت لغاية الاحتياط في التحفظ والتستر . . .

« من دونهم حجاباً » يسترها ويحفظها . . . عن أعين الناس . . . إن وصلوا بغتة . . .

« فأرسلنا إليها روحنا » وحامل وحينا . . . وهو جبريل . . . عليه السلام . . . إظهاراً لكمال قدرتنا وحكمتنا . . . وإنفاذاً لحكمنا الذي قد حكمنا به في سابق علمنا . . .

« فتمثل لها بشَراً سويّاً » شاباً صبيحاً . . . لئلاّ تستوحش . . . ومع ذلك قد استوحشت . . . وارتهبت رهبة شديدة . . . ومن شدة خوفها منه واضطرابها . . .

« قالت إني أعوذ » وألوذ . . .

« بالرحمن » الذي كفى . . . لحفظ عباده من مطلق الشر وسيما . . .

« منك » أي من شرك . . . ومن شر أمثالك . . . فادفع أنت بنفسك عنّي . . .

« إن كنت تقياً » خائفاً من الله . . . حذراً عن بطشه وانتقامه . . . ثم

لما رأى جبرائيل . . عليه السلام . . . من كمال عفتها وعصمتها ما رأى . . .

أو إن نافية . . . أي ما كنت تقياً . . . إذ تدخل عليّ في هذه الحال ! ! !

« قال » مستحيياً . . . معتذراً . . .

« إنما أنا رسول ربك » قد أرسلني إليك . . . يا سيدة النساء . . .

« لأهب لك » أنا . . . بإذن الله إياي . . .

« غلاماً زكيّاً » طاهراً . . . من عموم الرذائل والآثام . . . مرتقياً في فنون الفضائل والكمالات . . . إلى أقصى الغايـــات . . . مظهراً لأنواع المعجزات والكرامات . . . وأصناف الإرهاصات الخارقة للعادات . . . ثم لما سمعت . . . عليها السلام . . . مقالته . . . وتفطنت بنور الولاية . . . أنه أمر إلهي . . . نازل من قبل الله . . .

« قالت » متعجبة . . . مشتكية . . .

« أنّى يكون لي غلام » ومن أين يحصل لي ولد ؟ ! !

« و » لم يجرِ على أسبابه إذ . . .

« لم يمسسني بشَر » قط بالنكاح . . . مساس مواقعة . . . موجبة للحمل والحبل . . .

« ولم أكُ » أنا في مدة حياتي . . . عاصية لله . . . فاسقة خارجة عن مقتضى حدوده لأكون . . .

« بغيّاً » فاحشة . . . زانية . . . يولد مني ولد الزنا . . .

« قال » جبرائيل . . . عليه السلام . . .

« كذلكِ » قد جرى حكم ربك . . . في سابق قضائه . . . لا تستبعدي . . . ولا تستعسري . . . إذ قد . . .

« قال ربك » الذي رباكِ . . . على العصمة والعفاف . . .

« هو » أي إيجاد الولد لك بلا مساس البشر . . . وسبق الأسباب العادية ...

« عليّ هيّن » سهل يسير . . . إذ لا يعسر علينا شيء . . . ولا تعجز قدرتنا عن مقدور ... بل إذا أردنا شيئاً . . . نقول له كن فيكون بلا سبق سبب وعلة . . .

« و » إنما نظهره ونوجده . . .

« لنجعله آية للناس » دالة على كمال قدرتنا . . . وبدائع صنعتنا وحكمتنا . . .

« ورحمة » نازلة . . .

« منّا » على كافة عبادنا . . . سيما عليكِ يا مريم . . .

« و » بالجملة قد . . .

« كان » خلْق عيسى . . . وظهوره . . . بلا أب . . . في العالم . . . وعروجه إلى السماء . . .

« أمراً مقضيّاً » محكوماً به . . . كائناً مثبتاً في لوح القضاء . . . وحضرة العلم الإلهي . . .

« ثم لما سمعت مريم ما سمعت . . . قد نفخ جبرائيل . . . عليه السلام . . . نفخة في درعها . . . فوصلت أثرها إلى جوفها . . . فحبلت . . .

« فحملتْهُ » وصارت حاملة بعيسى ... فجأة ! ! !

هذا شيء مما عند المفسرين . . .

فماذا مما عند أهل الكتاب ؟ ! !

قالوا في مراجعهم :

« مرت ستة أشهر على ظهور الملاك لزكريا وإذا به ينزل من جديد إلى الأرض . . . يحمل إلى اليهودية رسالة ثانية من قبل الله . . .

« لكنه لم يتوجه هذه المرة إلى الهيكل ولا إلى أورشليم لكن إلى بيت صغير في مدينة حقيرة من مدن الجليل تسمى الناصرة .

« أرسل الله جبرائيل الملاك إلى شابة عذراء اسمها مريم خطيبة رجل نجار اسمه يوسف وكلاهما من بيت داود واسم أبي العذراء وأمها يواكيم وحنة فدخل إليها مختلية تصلّي في مخدعها وحياها قائلاً : السلام عليك يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنتِ في النساء .

« عجبت مريم واضطربت لا من رؤية الملاك لكن من كلامه لأنها سمعت منه سلاماً فيه مديح لم يُسمع مثله قط على الأرض فارتاع لسماعه قلبها الوضيع . حينئذ سكن روعها وقال لها بأنها قد نالت من عند الله نعمة عظيمة فإنها سوف تحبل وتلد ابناً تسميه يسوع وهو يكون عظيماً . . .

« ففهمت مريم معنى كلام الملاك . . . لكن هناك أمراً لم تدرك كيف يتم فعرضته على مرسل الله لا شكاً لكن استفهاماً . كانت مريم قد نذرت حياتها لله وعزمت حباً به أن تبقى بتولاً وقد أحست بأن الله قد رضي بنذرها ثم قبل أن تقبل يوسف لها خطيباً كانت قد أخبرته بما وعدت به الله ورضي به هو أيضاً . فكيف إذن تكون أماً وهي بتول مكرسة للبتولية الدائمة . فقالت إذن للملاك : كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً . فأجابها مبيناً لها بأن قدرة الله هي التي تعمل فيها هذه الخصوبة بفعل الروح القدس الذي يحل عليها ويُعدّ فيها ما يتكون منه جسد المسيح . . .

« فانحنت مريم أمام الله راضية وضيعة وسلمت إليه تسليماً تاماً إرادتها

وجسدها وقلبها وحياتها كلها وقالت : ها أنا أمة للرب فليكن لي حسب قولك » ! ! !

وقالوا :

« كان الملاك قد أخبر مريم بحبل نسيبتها اليصابات بيوحنا ابنها وبأنها في شهرها السادس فلما انصرف قامت وذهبت مسرعة لزيارتها . . .

« كانت اليصابات إلى ذلك الحين تخفي عطية الله فيها تحت ستار السكوت والعزلة وكذلك أرادت مريم أن تحفظ بكل اهتمام وتواضع سر حبلها . . . لكن الله شاء أن يظهره لاليصابات كما أظهر للعذراء سر نسيبتها . .

« بين الناصرة وعين كرم موطن زكريا واليصابات سفر أربعة أيام . لما دخلت مريم بيت زكريا سلمت على نسيبتها فاهتز يوحنا في بطن أمه وامتلأت هي من الروح القدس وصاحت متأثرة وقالت لمريم : مباركة أنتِ في النساء ومباركة ثمرة بطنك . . .

قالت مريم : تعظم نفسي الرب . . . فها منذ الآن تطوبني جميع الأجيال . لأن القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس . . .

« ومكثت مريم عند اليصابات ثلاثة أشهر ثم عادت إلى الناصرة قبل ميلاد يوحنا » ! ! !

* * *

وقال صاحب كتاب « قصص الأنبياء » :

« وفي إنجيل برنابا في الفصل الأول ما نصه :

(١) لقد بعث الله في هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل إلى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا .

(٢) بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة مع الصوم — يوماً ما وحدها وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلاً : « ليكن الله معك يا مريم » .

(٣) فارتاعت العذراء من ظهور الملاك .

(٤) ولكن الملاك سكن روعها قائلاً لا تخافي يا مريم لأنك قد نلت نعمة من لدن الله الذي اختارك لتكوني أم نبي يبعثه إلى شعب إسرائيل ليسلكوا في شرائعه بإخلاص .

(٥) فأجابت العذراء وكيف ألد بنين وأنا لا أعرف رجلاً ؟ !

(٦) فأجاب الملاك يا مريم إن الله الذي صنع الإنسان من غير إنسان لقادر أن يخلق فيك إنساناً من غير إنسان لأنه لا محال عنده .

(٧) فأجابت مريم إني لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته .

(٨) فقال الملاك كوني حاملاً بالنبي الذي ستدعينه يسوع .

(٩) فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس لأن الطفل قدوس الله .

(١٠) فانحنت مريم بضعة قائلة ها أنا ذا أمة الله فليكن بحسب كلمتك ».

والخلاصة . . . أن جبريل . . . عليه السلام . . . نفخ فيها . . .
« **فحملته** . . . » ! ! !



فاستجبنا له

ووهبنا له

يحيى



قال عزّ ثناؤه :

« وزكريّا إذْ نادى ربّهُ . . .

« ربّ لا تذَرْني فرْداً . . .

« وأنتَ خيرُ الوارثينَ » ! ! !

فجاءته البشرى . . . وهو قائم يصلي في المحراب :

« أنّ اللهَ يُبشّركَ بيحيى . . . » ! !

وها هي أيام زوجه . . . اليصابات . . . قـد استتمت . . . وتضع مولودها . . .

« فاستجبْنا لهُ . . .

« ووهبْنا لهُ . . .

« يحيى . . .

« وأصلحْنا لهُ زوجَهُ . . . » ! ! !

وفي مراجع أهل الكتاب :

« وأما اليصابات فتم زمانها لتلد فولدت ابناً .

« وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها .

« وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي وسموه باسم أبيه زكريا .

« فأجابت أمه وقالت لا بل يُسمى يوحنا .

« فقالوا لها ليس أحد في عشيرتك تَسمى بهذا الاسم .

« ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يُسمى ؟

« فطلب لوْحاً وكتب قائلاً اسمه يوحنا .

« فتعجب الجميع .

« وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله .

« فوقع خوف على كل جيرانهم .

« وتُحدث بهذه الأمور جميعها .

« فأودعها جميع السامعين في قلوبهم قائلين أترى ماذا يكون هذا الصبي .

« وكانت يد الرب معه .

« وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ . . . »

ثم ماذا ؟ !

« أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح وكان في البراري إلى يوم ظهوره »

ثم ماذا قالوا كذلك ؟ !

« في أيام رئيس الكهنة حنّان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية .

« فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » .

وقالوا :

« . . . لهذا جُعل يوحنا أن يبشر بمجيء المسيح ويدل عليه مظهراً إياه لليهود وأن يهيء القلوب إلى قبول تعاليمه والإيمان به معمداً إياهم بعمودية التوبة .

« صار يوحنا ينمو ويتقوى والروح القدس ماكث فيه فلما ترعرع ذهب إلى البراري الواقعة بين سلسلة جبال اليهودية والبحر الميت فانفرد هناك وعاش بعيداً عن الناس إلى يوم ابتدائه بكرازة التوبة فاستعد بالصلاة والصوم والاختلاء لمباشرة أعمال رسالته » ! ! !

ثم ماذا ؟ !

ثم كل هذا يقع تحت ظلال قوله تعالى :

« يا يحيَى . . .

« خُذِ الكتابَ بقُوَّةٍ . . .

« وآتيناهُ الحُكمَ صبيّاً » ! ! !

ثم ماذا ؟ !

ثم نعود . . . مرَّة أخرى . . . إلى مريم . . . عليها السلام ! ! !



فحملته



قال ... وقوله الحقّ :

« فحَمَلَتْهُ ...

« فانتبذَتْ بهِ ...

« مَكاناً قَصِيّاً » ! ! !

« فحملته » فصارت حاملة بعيسى ... بمجرد ... نفخ جبريل . . .فيها ..

« فانتبذتْ » به . . . فاعتزلت به . . . لسبب حدوث هذا الأمر . . . وتباعدت منفردة . . .

« مكاناً قصيّاً » بعيداً . . . نائياً عن الناس . . . عن أهلها . . .

أين ذهبت مريم . . . وما هو هذا المكان القصيّ . . . البعيد ؟ ! !

قال أهل الكتاب في مراجعهم :

« في تلك الأيام صدر أمر من أوغسطوس قيصر روما أن تكتتب جميع المسكونة فقام يوسف وترك الناصرة وانصرف إلى بيت لحم ليكتتب فيها لأنه كان من بيت داود ومن عشيرته . وكان من الضروري أن ترافقه إليها مريم لأنها كانت خطيبته ومن نسل داود .

« إن مريم ويوسف بامتثالهما لأمر قيصر أتمّا ما كان الله قد رسمه وهو أن ميلاد المسيح ابن داود يكون في بيت لحم مدينة داود .

« ها يوسف ومريم يسيران على الطريق المؤدية إلى المدينة المقدسة ومنها

إلى بيت لحم . بين الناصرة ومدينة داود سفر أربعة أو خمسة أيام وهي تبعد عن أورشليم ساعتين تقريباً .

« فلما وصلا لم يجدا لهما هناك مسكناً ينزلان إليه لا عند الأقارب والمعارف ولا في الفندق لأنهما كانا فقيرين والعالم عبد للغنى والأغنياء .

« لكن كان لا بد ليوسف أن يجد منزلاً يأويان إليه هو ومريم تلك الليلة فقد قرب للعذراء زمان ولادتها .

« فلم يجد لهما إلا مغارة وكان في المغارة مذود للحيوانات .

« المغارة هي البلاط الملوكي الذي فيه وُلِد . . . والمذود المضجع الذي فيه رقد .

« في سكوت المغارة وهدوء عزلتها تم السر العظيم . . .

« حبلت مريم بيسوع وهي بتول وفي البتولية ولدته فهي التي قبلته بين ذراعيها ولفته بالقمط وأضجعته في المذود مهده الملوكي .

« بتول هي إذن قبل الولادة وعند الولادة وبعد الولادة حسب تعليم إيماننا المقدس لذلك نسمي مريم ببتوليتها إذ ندعوها العذراء لأنها وحدها بتول وأم معاً : أعجوبة البتولية والأمومة » ! ! !

ومن هنا نفهم . . . أن« **فانتبذَتْ . . . به . . . مكاناً . . . قَصيّاً** » . . هو هذا المكان . . . هو « بيت لحم » . . . حيث كانت مفاجأة وضْع المولود . .

وهو بالنسبة إلى الناصرة . . . حيث كانت تقيم مريم . . . **قصيّاً** . . . بعيداً . . . سفر أربعة أو خمسة أيام . . . بأسلوب مواصلات ذلك الزمان ! ! !

سبحان الله ! ! !

« **ذلِكَ الكتابُ . . .**

« **لا رَيْبَ فيهِ . . .** » ! ! !

فأجاءها

المخاض

الى جذع النخلة



هاهي اللحظة المقدسة ! ! !

اللحظة التي بدأ منها المسيح . . . حياته المباركة . . . في الأرض . . .

اللحظة التي كانت بدء التاريخ الميلادي . . . في العالم كله . . .

فيقال . . . قبل الميلاد . . . وبعد الميلاد ! ! !

قال عزّ من قائل :

فأجاءها المخاضُ إلى جِذْعِ النّخْلَةِ . . .

« قالتْ يا لَيْتَنِي مِتّ قبْلَ هذا وكنتُ نسْياً مَنْسِيّاً » . ! ! !

« فأجاءها » أي . . . جاء بها . . . وألجأها . . . وهو من حيث يقال : جاءت بي الحاجة إليك . . .

وأجاءتني الحاجة إليك . . .

« المخاض » هو تمخض الولد في بطن أمّه . . . أي تحركه للخروج . . .

« إلى جِذْع النخلة » أصلها . . . قيل . . . كانت نخلة يابسة . . . وكان جذعاً منها مقطوعاً . . .

ولعل الرعاة قد اتخذوه مذوداً لغنمهم . . . كما يفعل كثير من المزارعين !

قال صاحب « قصص الأنبياء » :

« قال برنابا في الفصل الثالث :

(١) كان هيرودس في ذلك الوقت ملكاً على اليهودية بأمر قيصر أوغسطس .

(٢) وكان « بيلاطس » حاكماً في زمن الرياسة الكهنوتية لحنان وقيافا .

(٣) فعملاً بأمر قيصر اكتتب جميع العالم .

(٤) فذهب إذ ذاك كل إلى وطنه وقدموا أنفسهم بحسب أسباطهم ليكتتبوا .

(٥) فسافر يوسف من الناصرة إلى إحدى مدن الجليل مع امرأته وهي حبلى ذاهباً إلى بيت لحم (لأنها كانت مدينته وهو من عشيرة داود) ليكتتب عملاً بأمر قيصر .

(٦) ولما بلغ بيت لحم لم يجد فيها مأوى إذ كانت المدينة صغيرة وحشد جماهير الغرباء كثيراً .

(٧) فنزل خارج المدينة في نزل جعل مأوى للرعاة .

(٨) وبينما كان يوسف هناك تمت أيام مريم لتلد .

(٩) فأحاط بالعذراء نور شديد التألق .

(١٠) وولدت ابنها بدون ألم .

(١١) وأخذته على ذراعيها .

(١٢) وبعد أن ربطته بأقمطة وضعته في المذود .

(١٣) إذ لم يوجد موضع في النزل .

(١٤) فجاء جوق غفير من الملائكة إلى النزل بطرب يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفي الله .

(١٥) وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع وقاما على تربيته بأعظم سرور » ! ! !

والجديد في هذه الرواية قوله « فنزل خارج المدينة في نزُل جعل مأوى للرعاة » . . . أي . . . « مكاناً قصيّاً » . . . بالنسبة إلى بيت لحم كذلك . . . وعلى هذا يكون قوله تعالى « فانتبذت به مكاناً قصيّاً » . . . يشير إلى أن بيت لحم كان مكاناً قصياً بالنسبة إلى الناصرة . . . والمكان الذي نزلت به في خارج بيت لحم . . . هو كذلك . . . مكاناً قصياً . . . بالنسبة إلى بيت لحم ذاتها ! ! !

هاهي العذراء . . . وحدها . . .

وتلك مرتبتها . . . وهذا مقامها . . .

هاهي . . . في أعراض المخاض . . .

وهاهي تقول قولها الخالد :

يا ليتني . . . مِتّ . . . قبْلَ هذا . . . وكنتُ نَسْياً منسيّاً ؟ ! !

أهو فزَع وجزَع ؟ ! !

كلاّ . . . وحاشاها . . .

وإنما هي تفكر . . . فيما سوف يكون من أمرها . . . بسبب هذا المولود . . سوف تشتهر وتشتهر . . . كلما ذكروه . . . ذكروه منسوباً إليها . . . وسوف تكون حديث الأمم . . . وحديث الأجيال . . . فتمنت لو لم يذكرها أحد . . . ولكن هيهات هيهات . . .

لقد اختارها الله . . . وسوف يخلدها . . . هو . . . ويرفع ذكرها . . .

و . . .

« وجَعَلناها . . . وابنَها . . . آيةً للعالمينَ » ! ! !



فناداها

من

تحتها



منظر جميل . . . جميل . . . جميل ! ! !

مولود . . . لم يتم انفصاله بعد . . . عن أحشاء أمّه . . .

بمجرد أن تم خروجه من الرحم . . .

لم يبْكِ . . . صارخاً . . . كما يفعل جميع الأطفال . . . عند ولادتهم . . .

وإنما نطَق . . . وخاطب أمّه . . . وهي ما تزال في آثار المخاض :

« فناداها . . .

« مِن تحتِها . . .

« ألاّ تحزَني . . .

« قدْ جَعَلَ ربُّكِ . . .

« تحتَكِ سَرِيّاً » ! ! !

ما هذا ؟ ! ! !

هذه هي المعجزة الأولى للمسيح ! ! !

« فناداها » فناداها فوراً . . . بمجرد قولها « يا ليتني متّ قبلَ هذا » . . . قبل أن تتم كلامها . . ناداها . . .

« مِن تحتها » . . . وهو ما زال يُولد . . . بمجرد انفصاله . . . من تحتها . . . من أسفل منها . . .

« ألا تحزني » لا تحزني ! ! !

وشهدت العذراء . . . ابنها . . . يناديها . . .

فناداها . . . فيها إشارة . . . إلى ارتفاع الصوت . . . في صوت عال . . .

لا تحزني ؟ ! !

وشهدت العذراء . . . الآية الأولى . . . من آيات ابنها ؟ ! !

« قد جعل ربُّك تحتَك ِ سريّاً » ؟ ! !

مفاجأة جديدة . . . يفاجىء بها المولود . . . أمّه . . .

إنها في مسيس الحاجة إلى الماء . . . ولكن أين الماء ؟ ! !

سريّاً . . . جدولاً صغيراً . . . يجري بالماء . . . عيناً . . . تجري بالماء . . .

آية أخرى . . .

ونظرت مريم . . . فإذا الماء يترقرق فعلاً . . . أمام عينيها ! ! !

ثم زادها المولود . . . عجباً إلى عجَب ! ! !

فقال لأمّه . . . في صوته الملائكي :

« **وهُزّي إليك ِ . . .**

« **بجذْع ِ النّخْلة ِ . . .**

« **تُساقِطْ علَيْك ِ . . .**

« **رُطَباً جَنِيّاً » ! ! !**

معجزة أخرى . . . أعجب . . . وأغرب . . .

إنه جذع نخلة . . . جاف . . . يابس . . . قد ألقاه الرعاة زهادة فيه . . .

ولكن مريم . . . صدّقَتْ بكلمات ربّها . . . صدّقت بقدرة الله . . .

فمست الجذع بأناملها الرقيقة . . .

فاخضوضر لفوره . . . وتحول إلى نخلة يانعة . . . وصارت كما وصف الله النخيل : « **والنخلَ باسقاتٍ لها طلعٌ نضيدٌ** » ! ! !

هاهو الجذع . . . نخلة يانعة . . . تتدلى منها شماريخ البلح النضيد . . . بل هاهو بلحها قد استوى وصار رطباً جنيّاً . . .

وهو يتساقط عليها . . .

لتأكل منه . . . كيفما شاءت . . .

« **فكُلي . . .**

« **واشربي . . .**

« **وقرّي عيْناً . . .** »

المولود . . . وهو تحتها . . . قريباً منها . . . يقول لها : فكُلي . . . من الرطب الجنّي . . . فهو خير طعام للنفساء . . .

واشربي . . . من ماء الجدول . . . الذي أنبعه الله لكِ بالمـــاء . . . وآغتسلي منه لتطهري . . .

وقرّي عيناً . . . وافرحي بنعمة الله عليكِ . . . ولا تحزني ! ! !

آية . . . من المولود . . . بل آيات . . .

إلى الوالدة . . . التي تجري من أجلها الآيات . . .

فأي الآيات هي أكبر من أختها ؟ ! !

« **إذْ قالَ اللهُ . . .**

« **يا عيسى ابنَ مريمَ . . .**

« اذكُرْ نِعمتي عليْكَ ...

« وعلى والدَتِكَ ...

« إذْ أيّدتُكَ برُوحِ القُدُس ...

« تُكَلِّمُ الناسَ في المهْدِ ... » ؟ ! ! !

وهاهو أول هذا الكلام منه ... في المهد ! ! !

وهاهو تمام هذا الكلام الذي ناداها به :

« ... فإمّا ترَيِنَّ مِن البشَرِ أحَداً ...

« فقولي إني نَذَرْتُ للرحمنِ صوْماً ...

« فلَنْ أكَلِّمَ اليومَ إنسِيّاً » ! ! !

نِعَم ... أنعم الله بها ... لا أول لها ولا آخر ... عليه وعلى والدته ...

« نعمتي عليكَ وعلى والدتِكَ » ! ! !

مكان مهمل ... لا يصلح لشيء ...

يتحول إلى جنّة ... جدول يسري بالماء ...

ونخلة يتساقط منها الرطب الجنيّ ... الشهيّ ... اللذيذ ...

فتأكل ... وتشرب ... وتنعم ... وقرّي عيناً ...

وقرّة عينها الكبرى ... هو هذا الذي وضعته ...

تحتك سريّاً ... سيداً ... عظيماً ... تحفه البركات ... وتصدر عنه المعجزات ! ! !

وهاهو يرسم لها ... كيف تواجه العالم كله ...

« فإمّا ترَيِنَّ من البشَرِ أحداً ...

« فقولي ... إني نذرْتُ للرحمنِ صوْماً ...

« فلَن أكلِّمَ اليومَ إنسِيّاً » .

فأتت به

قومها

تحمله



قال تعالى :

« فأتَتْ بهِ قومَها تحمِلُهُ . . .

« قالوا يا مريمُ لقدْ جئتِ شيْئاً فريّاً . . .

« يا أختَ هارُونَ ما كانَ أبوكِ امرَأ سوْءٍ وما كانتْ أمّكِ بغيّاً .

« فأشارتْ إليْهِ قالوا كيفَ نُكلِّمُ مَن كانَ في المهْدِ صبيّاً » ؟ ! !

« فأتت به قومها تحمله » أي ولدها على صدرها . . . فلما رأوها معه . . . أخذوا في لومها وتقريعها حيث . . .

« قالوا » منادين لها على سبيل التوبيخ واللوم . . .

« يا مريم » الصالحة العفيفة . . . المشهورة بالعصمة في بيت المقدس وفي غيره . . .

« لقد جئت شيئاً فرياً » منكراً . . . شنيعاً . . . في غاية الشناعة والفضيحة . . .

« يا أخت هارون » يا مَن أسمتك أمك « مريم » تيمناً بمريم أخت هارون وموسى . . . ماذا فعلت . . . يا من أخذتِ اسم أخت هارون . . . أهكذا يكون شأن الصديقة . . . التي تتشبه بأخت هارون ؟ ! ! . . .

« ما كان أبوكِ امرَأ سوْء » منسوب إلى الفواحش والزنا . . . والخروج عن الحدود . . . لقد كان عمران رجلاً قديساً . . . فمن أين جئتِ بما ارتكبتِ ؟ ! !

« وما كانت أملكِ بغيّاً » زانية فاجرة . . . بل كلاهما من أصلح القوم وأزكاهم عن الفواحش والفسوق . . . فكيف أنتِ . . . ومن أين اكتسبتِ هذا . . . وبعد ما تمادى تعييرهم وتشنيعهم . . .

« فأشارت » مريم . . .

« إليه » إلى ولدها . . . ولما رأوا إشارتها إليه . . . وتفويضها الجواب نحوه . . .

« قالوا » على سبيل الاستهزاء . . .

« كيف نُكلم من كان في المهد صبيّاً » ؟ ! . . . رضيعاً . . . لم يعهد من مثله التكلم ؟ ! ! . . . قد خجلتِ أنت . . . واستحييت أنتِ . . . تدفعيننا بهذا الرضيع ؟ ! ! . . .

هذا شيء مما قاله أهل التفسير . . .

فماذا مما عند أهل الكتاب ؟ !

« كان في ناحية المغارة التي ولد فيها يسوع رعاة يبيتون في البادية يسهرون على رعيتهم في هجعات الليل فرأوا بغتة ملاك الرب واقفاً بهم وغمرهم نور مجد إلهي فخافوا خوفاً عظيماً فقال لهم الملاك أن لا تخافوا فإني أبشركم بفرح عظيم يكون لكم وللشعب كله لقد ولد لكم اليوم في مدينـــة داود . . . المسيح . . . وهذه علامة لكم انكم تجدون طفلاً ملفوفاً في مذود .

« ثم ظهر فجأة مع الملاك جوق من الملائكة يسبحون الله قائلين : المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام للناس الذين بهم المسرة . . .

« لما وصل الرعاة إلى المغارة وجدوا فيها مريم ويوسف والطفل في مذوده.

« فقصوا ما حدث لهم واقتربوا من الطفل . . . مقدمين له هدايا الفقير

للفقير ثم عادوا إلى رعيتهم فرحين وصاروا يخبرون بما رأوه وسمعوه فكان كل من سمعهم يتعجب مما يقولونه » ! ! !

وقالوا أيضاً :

« لما تمت ثمانية أيام ختن الصبي وسمي يسوع . . . »

وعندهم أيضاً :

« بعد أن مر أربعون يوماً على ميلاد يسوع صعد به يوسف ومريم إلى الهيكل ليقدماه للرب ولتتمم أمه رتبة التطهير حسب الناموس . . .

« قرب الكاهن يسوع إلى الله ولم يعرف من هو لكن قد عرفه سمعان الشيخ وحنة النبية وأعلنا جهاراً بأنه مسيح الرب . . .

« ثم إن سمعان باركهما وقال لمريم : إن هذا الصبي قد جعل لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل وهدفاً للمخالفة . . .

« بعد ذلك تقربت إلى مريم ويوسف حنة النبية ابنة فنوئيل وكانت قد تقدمت في العمر ولها وهي أرملة نحو أربعين سنة قضتها كلها بالأصوام والصلوات والتعبد هي أيضاً صارت حينئذ تمجد الرب وتتحدث عن يسوع بفرح . . . » ! ! !

وعندهم أيضاً :

« بعد أن أتم يوسف ومريم فريضة التطهير والتقدمة تركا أورشليم وعادا إلى بيت لحم . . . » ! ! !

وفي أنجيل لوقا :

« ولمّا تمّت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمّي يسوع كما تسمّى من الملاك قبل أن حُبِل به في البطن -

« ولما تمّت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب . . .

« ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة .

« وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه.

« وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح .

« ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد » ! ! !

هذه مقتطفات تعطينا فكرة سريعة عن الفترة المباركة من حياة المسيح عليه السلام . . . من لحظة مولده ببيت لحم . . . ثم ذهابهم به بعد مرور أربعين يوماً إلى أورشليم . . . ثم عودتهم به إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة ...

والراجح عندي . . . أن المكان الذي كان فيه مشهد « **فأتتْ به قومَها تحمِلهُ** » . . . هو الناصرة . . . عند عودتها بالطفل المبـــارك . . . إلى بلدتها . . . تحمله على يديها . . . فاستقبلها قومها أسوأ استقبال . . . وجعلوا يتهكمون . . . ويسخرون . . . ويقذفونها بالزنى . . . وهي صامتة لا تتكلم ..

« فإمّا ترينَّ من البَشَر أحَداً فقولي إني نذرتُ للرحمنِ صوماً فلن أكلِّمَ اليومَ إنسيـّاً » ! ! !

وهاجموها . . . وسلقوها بألسنة حداد . . . وتغامزوا عليها . . . نساء ورجالاً . . .

وضجّت الناصرة في وجهها . . .

ما هذا الذي تحملين على يديك ! ؟ !

ما هذا الإجرام . . . وما تلك الجريمة . . . وممن تعلمت هذا الاتجاه ...

بعن أبيك ؟ ! . . . لقد كان تقيّـاً ! ! ! . . عن أمّك ؟ ! . . . لقد كانت
ارّة صالحة ! ! ! . . .

لماذا لا تتكلمين ؟ ! !

فتقول : « **إني نذَرْتُ للرحمنِ صوماً فلن أكلّمَ اليومَ إنسيّاً** » **! ! !**

وكأنما قد فجّرت منهم بقولها هذا براكين الثورة . . . فازدادوا لها
تقريعاً وتعنيفاً . . . ورمياً صريحاً بالزنى ! ! !

« **وبكُفْرِهم . . .**

« **وقولِهِمْ على مريمَ بُهتاناً عظيماً** » **! ! !**

والظاهر من عبارة القرآن أنهم رموها بالزنى ! ! !

وكلما ازدادوا ثورة . . . ولجّوا في بهتانهم . . .

ازدادت صمتاً . . .

فلما أصرّوا على اتهامها . . . وذهبوا يؤيد بعضهم بعضاً في البهتان . . .

« **فأشارتْ إليْهِ** » **. . .** أشارت إلى المولود . . .

فضجّوا . . . غيْظاً : إن سخريتها هذه بنا . . . أشد مما فعلت من
منكر ! ! !

« **كيف نُكلّمَ مَن كان في المهدِ صبيّاً** » **. . .** يا مريم ؟ ! !

هنالك . . . وقعت معجزة كبرى . . .

وتكلم المولود . . .

فماذا قال ؟ ! !



قال

ابي

عبد الله



قال تعالى :

« فأشارتْ إليهِ قالوا كيفَ نُكلّمُ مَن كانَ في المهْدِ صبيّاً .

« قالَ إنّي عبْدُ اللهِ آتانيَ الكتابَ وجَعَلَني نبيّاً » ! ! !

انفرد القرآن العظيم . . . بتسجيل هذه المعجزة من معجزات المسيح . . . عليه السلام . . .

« قال » . . . المولود . . .

فكان نُطقه . . . مفاجأة أذهلت الذين كانوا منذ لحظة يضجّون ويعجّون كالبهائم النافرة . . .

كلٌّ . . . يقذفها . . . بما شاء . . . مما هي منه براء ! ! !

فبهتوا جميعاً . . . ونظروا كالخُشُب المسنّدة . . . إلى الطفل . . .

« **إنّي عبدُ اللهِ** » إني عبدُ . . . الله ؟ ! !

لماذا افتتح المولود نُطقه العجيب بإعلان أنه . . . عبد ! ؟ !

إشارة . . . إلى العالم كله . . . إلى يوم القيامة . . .

إشارة . . . إلى الذين سوف يختلفون فيه . . .

إشارة . . . إلى حقيقته . . .

إنّي . . . عبْد ؟ ! !

اعلموا أنتم . . . واعلموا أيها الناس جميعاً . . .

إني . . . عبد . . .

فلا تزعموا المزاعم . . . ولا تذهبوا في المذاهب . . .

إنني . . . عبد ؟ ! ! !

هذه حقيقتي . . . وهذه نسبتي . . .

لست إلهاً . . . ولست ابن الله . . . ولست أنا إله . . .

وأمي . . . أمة . . . لا تزعموا فيها هي الأخرى المزاعم . . .

وإنه لأسمى شرف لي . . . أن أكون عبداً . . . لله . . .

ولا يشرفني . . . أن تجعلوني إلهاً . . . أو ابن إله . . .

لأن هذا . . . كذب . . . وأنا لا أكذب على الله . . .

كأن نطقه هذا . . . يشير إلى قوله تعالى :

« وقالوا اتخذَ الرحمنُ ولَداً . .

« لقَدْ جئتُمْ شيْئاً إدّاً .

« تكادُ السماواتُ يتفطّرْنَ منهُ وتنشقّ الأرضُ وتخِرّ الجبالُ هدّاً .

« أن دَعَوْا للرحمنِ ولَداً .

« وما ينبغي للرحمنِ أن يتّخِذَ ولَداً .

« إن كلّ مَن في السماواتِ والأرضِ إلاّ آتي الرحمنِ عبْداً » ! ! !

كان أول ما نطق به . . . إني . . . عبد . . .

ليعلن أخطر أمر من أموره . . . إلى الناس جميعاً . . . إلى يوم القيامة ...

سرّ . . . عجيب . . .

مكنون فيه . . . ردّ حاسم . . على كل من زعم في المسيح زعماً غير ذلك . . .

وما دام . . . عبداً . . .

فلن يكون إلهاً . . . ولا ابن إله . . . أبداً . . .

لأنه مستحيل أن يكون العبد . . . إلهاً . . .

الألوهية . . . عكس العبودية . . .

أعلن من أول لحظة . . . أشرف الشرف من شرفه . . أنه عبد . . .

« إنْ هوَ إلاّ عبْدٌ .

« أنعَمْنا عليْهِ . . . » ! ! !

إنّي . . . عبدٌ ؟ ! !

ولن أستنكف أن أكون . . . عبداً . . . لله . . .

« لن يسْتَنْكفَ المسيحُ أن يكونَ عبْداً للهِ . . .

« ولا الملائكةُ المقرَّبونَ . . . » ! ! !

هذه هي الحقيقة العظمى . . . من أمر المسيح . . .

نطق بها . . . رضيعاً . . . ابن أيام معدودات . . .

فكان نُطقه خارقة . . . ومعجزة أعجزت الألسن القبيحة . . . التي اتفقت على اتهام العذراء . . .

فبُهتوا . . . وتحيّروا . . .

ثم ازدادوا حيرة . . . حين سمعوه ينطق . . . نُطق الأنبياء . . . وحكمة الحكماء . . .

فإن سلّمنا أنه يتكلم . . . ولكن كيف يتكلم الرضيع بمثل هذا الكلام المحكم ؟ ! !

إن حقيقة المسيح هنا . . . هي التي تتكلم . . .

هي التي تعلن للعالم . : مَن هو ؟ ! . . . إني . . . عبد ! ! !

حتى إذا زعموا فيه فيما بعد . . . المزاعم . . . كان هو بريئاً . . . مما يقولون . . . من أول لحظة من حياته . . . من هذه اللحظة ! ! !

نُطقه هنا . . . فيه آيتان . . .

الأولى . . . دليل على براءة . . . أمه . . . عليها السلام . . .

والثانية . . . دليل . . . يقدمه مقدماً . . . على براءته . . . مما سوف يزعمون فيه ! ! !

كأن لسان حاله يقول : ها قد أعلنت حقيقتي . . . يا ربّ . . . من أول لحظة . . . وأول نُطق لي ! ! !

ثم ماذا ؟ ! !

« **آتانيَ الكتابَ** » . . . الإنجيل . . . كتاباً سوف يؤتنيه الله . . . فضلاً عن سائر الكتب التي أنزلها من قبله . . .

« **وجَعَلَني نبيّاً** » مثل سائر الأنبياء . . .

عناصر ثلاثة . . . إني عبد الله . . . آتاني الكتاب . . . جعلني نبيّاً . . .

العبودية لله وحده . . .

إنزال الإنجيل عليه ...

النبوّة ! ! !

فأي زعم بعد هذا ... الذي أعلنه ... عن نفسه ... فهو بريء منه ! !

وكانت معجزة ...

تشعشعت منها آيات ...

«وجَعَلْنا ابنَ مريمَ ...

«وأمّهُ ...

«آيةً ...» ! ! !



وجعلني

مباركاً

أين ما كنت



قال تعالى :

« وجعلني مباركاً أين ما كنتُ وأوصاني بالصلاةِ والزكاةِ ما دُمْتُ حيّاً .

« وبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقيّاً .

« والسلامُ عليّ يومَ وُلِدْتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حيّاً .

« ذلكَ عيسى ابن مريمَ قولَ الحقّ الذي فيه يمترونَ .

« ما كانَ للهِ أن يتخذَ من ولدٍ سبحانَهُ إذا قضى أمْراً فإنّما يقولُ لهُ كُن فيكونُ .

« وإنّ اللهَ ربّي وربّكُمْ فاعبُدُوهُ هذا صراطٌ مستقيمٌ » ! ! !

حتى هنا . . . انتهى نطق المولود . . . إنه يُصدر إليهم أمراً عجيباً . . .

طفل رضيع . . . يباشر مهمة الأنبياء الكبار . . . ويقول :

« إنّ اللهَ ربّي وربّكم . . .

« فاعبُدُوهُ . . .

« هذا صراطٌ مستقيمٌ » ! ! !

ما هذا ؟ ! . . هذه مهمة الرسل . . . فما شأن هذا الرضيع بمثل هذه الأوامر ؟ ! !

ولكنها المعجزة من أمره . . . ويمكنك أن تتصور طفلاً مولوداً منذ أيام .. تحمله العذراء على يديها الشريفتين . . . وتنظر إليه في حُبٍّ مقدس . . .

وهو يقول للذين احتشدوا من حولها . . . إن اللهَ ربي وربكم فاعبدوه ! !

جمال . . . يبهر القلوب ! ! !

لماذا ختم المولود كلامه بهذا ؟ ! !

تنبيهاً . . . للعالم كله . . . من بعده . . . أنه ليس إلهاً . . . أنه عبد . . . مثلهم . . . مربوب لله . . . كما أنهم مربوبون لله . . .

إشارة إلى ما سوف يكون . . . حين يذهبون إلى مزاعمهم فيه . . .

وهذا من أعجب العجب ! ! !

افتتح كلامه « **انّي . . . عبدُ . . . اللهِ** » ! ! !

واختتم كلامه « **إنَّ . . . اللهَ . . . ربّي . . . وربّكُم . . . فاعبدوهُ** »!

البداية . . . أنه . . . عبد . . .

والنهاية . . . أمرٌ . . . بعبادة الله . . . وأنه مجرد عبد . . . لله ! ! !

سبحان الله . . . ما أعجب هذا ! ! !

هذا سرٌ . . . بديع . . . والله بديع ! ! !

فإذا جاءوا من بعده . . . يقولون أنه . . . ابن الله . . . أو إله . . . فها قد أعلن براءته . . . على مشهد من الجميع ! ! !

وهذا الذي أعلنه . . . الطفل . . . عيسى ابن مريم . . . وهو في المهد ...

هو هو . . . ما سوف يعلنه . . . يوم القيامة . . . على مشهد من الخلق أجمعين ! ! !

«وإذْ قالَ اللهُ : يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناسِ اتّخذوني وأمّي إلهينِ مِن دونِ اللهِ ؟..

«قالَ : سبحانَكَ ... ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحقّ ... إن كنتُ قلتُهُ فقدْ علمتَهُ ... تعلمُ ما في نفسي ... ولا أعلمُ ما في نفسِكَ ... إنّكَ أنتَ علاّمُ الغيُوبِ .

«ما قُلْتُ لهُمْ إلاّ ما أمرتني بهِ ... أن ... اعبُدُوا اللهَ ربّي وربّكُم ...» ؟!!!

عَجَب !!! ... هناك يوم القيامة يُعلن «اعبُدُوا اللهَ ربّي وربّكم ...

وهاهنا ... وهو في المهد ... يعلن «إن اللهَ ... ربّي ... وربّكم .. فاعبُدُوهُ ...» !!!

فأي صدق ... هو أعظم من هذا الصدق ... أليس هذا وحده ... دليلاً عجيباً ... على صدق المسيح ... في طفولته ... وصدقه يوم القيامة !!

ثم أليس هذا ... دليلاً لا يقاوم ... على أن ... القرآن العظيم ... هو كلام الله ... الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ... ولا من خلفه ... تنزيل من حكيم حميد ؟!!

من أنطق ... الرضيع ... بهذا ...

ثم من أنطقه ... يوم القيامة ... بنفس الكلمات ... طبق الأصل ؟!!

مستحيل أن يحدث هذا التطابق محض صدفة ... مستحيل !!!

لأن بين النطقتَيْن ... زماناً ... قد يصل إلى ملايين السنين !!!

ثم إن المشهد كله ... وهو كلام عيسى في المهد ... لا وجود له عند أهل الكتاب ... حتى يزعم زاعمهم أنه أخذ من عندهم ومن كتبهم !!!

لقد انفرد القرآن المجيد . . . بتسجيل هذا النطق الخالد للمسيح . . .

وهذا من دلائل الإعجاز ! ! !

إنه لصِدق عجيب . . . من المسيح . . . وأمانة عجيبة في تبليغ رسالة الله . . . إلى الناس . . .

صِدق . . . شهد الله له به . . . على مشهد من الخلْق يوم القيامة . . .

« **قالَ اللهُ** . . .

« **هذا يوْم ينفَعُ الصادقينَ صِدْقُهُمْ** . . .

« **لهم جنّاتٌ تجري مِن تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً رضيَ اللهُ عنهُمْ ورضُوا عنهُ ذلكَ الفوْزُ العظيمُ** » ! ! !

هذا يوم ينفعُ الصادقين صدقُهُم ؟ ! !

كأنه يراد أن يقال . . . للخلْق أجمعين . . . الذين حُشِروا يوم القيامة . . .

صَدَقَ . . . عبدي . . . وأنا على ذلك شهيد . . . وكفى بالله شهيداً . . .

ثم ماذا ؟ ! . . . ثم نرجع إلى نطق المولود وهو في المهد . . .

« **وجعلني مُباركاً أين ما كنتُ** » . . . نفاعاً . . . كثير الخير والبركة . . . لأهل الصلاح من البرية . . . أينما كنتُ . . . وحيثما توطنت . . . وجلست معهم . . . يصل خيري ونفعي إليهم . . .

« **و** » من كمال تربية الله وتزكيته إياي قد . . .

« **أوصاني** » وأمرني . . .

« **بالصلاة** » والميل التام . . . والتوجه الكامل نحوه . . . بعموم الجوارح والأركان . . .

« **والزكاة** » أي التخلية والتطهير . . . عن جميع الرذائل والخبائث . . .

المتعلقة بالنفوس البشرية . . . المنغمسة بالعلائق الدنيوية . . . المبعدة عن صفاء الوحدة الذاتية . . .

« **ما دمتُ حَيّاً** » بروح الله . . . الذي قد أبدعني منه . . . خالصاً صافياً عن جميع الكدورات . . . وأوصاني بما أوصاني . . . عناية منه . . . لأكون باقياً على صفائي . . . وطهارة لاهوتي . . . بلا كدر من خبائث الناسوت . . .

« **و** » قد جعلني أيضاً . . .

« **بَرّاً** » باراً . . . محسناً . . .

« **بوالدتي** » ممتثلاً بأمرها . . . قائماً بخدمتها . . . خافضاً جناح الذل من الرحمة إياها . . . والحمد لوليه الذي رباني سعيداً . . . على الطهارة الكاملة . . . والصلاح التام . . . وأنواع الكرامة والفلاح . . . والتذلل والتواضع . . . مع عموم عباده . . .

« **ولم يجعلني جبّاراً** » متكبراً . . . متجبراً على الناس . . . بل جعلني عبداً متواضعاً . . .

ومما يؤثر عنه . . . عليه السلام . . .

« تعالوا إليّ . . . يا جميع المتعبين . . . والثقيلي الأحمال . . . وأنا أريحكم . . . احملوا نيري عليكم . . . وتعلموا مني . . . لأني وضيع . . . ومتواضع القلب . . . فتجدوا راحة لنفوسكم . . . لأن نيري هين . . . وحملي ضعيف » ! ! !

« **شقيّاً** » بعيداً عن روح الله . . . مستجلباً لعذابه . . .

« **والسلام عليّ** » أي سلام الله . . . وحفظه دائماً عليّ . . . من لدنه . . .

« **يوْمَ وُلِدتُ** » عن أمي . . . بأن حفظت عن مسّ الشيطان لي . . .

« **ويومَ أموتُ** » سيحفظني من شره ووسوسته أيضاً . . .

« **ويومَ أبعَثُ** » للحشر أكون . . .

« **حيّاً** » . . . كما كنت قبل هذا . . .

« ثم لما سمعوا من عيسى عليه السلام ما سمعوا . . . تاهوا وتحيّروا في أمره . . .

« وصاروا حيارى متعجبين من علو شأنه . . . وشأن والدته . . . وجلالة قدرهما . . .

« فاختلفوا حينئذ . . . وتفرقوا فرقاً وأحزاباً . . .

« فرقة منهم . . . قالت بألوهيته . . .

« وفرقة قالت . . . بابنيته لله . . .

« وفرقة قالت . . . بالأقانيم الثلاثة . . .

« ومنهم من رماه وأمّه . . . بما لا يليق بشأنهما . . .

« لذلك أخبر سبحانه . . . رسوله . . . صلى الله عليه وسلم . . . بما هو الواقع في الواقع . . . والحق الصريح . . . فقال . . .

« **ذلك** » أي القائل بهذه الكلمات . . . والموصوف بهـــذه الصفات المذكورة . . . هو عبدنا . . .

« **عيسى ابنُ مريمَ** » لا ما قالته غلاة النصارى . . . ولا ما قالته طغاة اليهود . . . بل . . .

« **قولَ الحقّ** » هذا . . .

« **الذي** » ذكرنا لك . . . يا أكمل الرسل . . . وهم . . .

« **فيه يمترون** » ويترددون . . . مع أنه لا ريب فيه . . . لا ما قالته النصارى . . . بأنه ابن الله . . . إذ . . .

« **ما كان** » أي ما صح . . . وما جاز . . .

« **لله** » ولا يليق بعلو شأنه سبحانه . . .

« **أن يتّخذَ من ولَدٍ سبحانه** » وهو منزه في ذاته . . . عن الأهل . . . والولد . . . إذ لا تليق بذاته المعاونة والاستظهار بهما . . . تعالى عن ذلك . . . بل من حكمه وشأنه . . . أنه سبحانه . . .

« **إذا قضى** » وأراد . . .

« **أمراً** » من الأمور الكائنة . . . في عالم الأمر . . .

« **فإنما يقولُ لهُ** » حين تعلقت إرادته بتكوينه . . .

« **كُن** » بلا ترتيب في السمع . . . بتقديم الكاف على النون . . . إذ كلامه القائم بنفسه سبحانه . . . نفسي ذاتي . . . لا يتوهم فيه الحروف والأصوات ومقاطعها . . . ليتصور الترتيب بالتقدم والتأخر . . . كما يتوهم في الألفاظ الصادرة عنا . . . بل يخلق سبحانه . . . بقدرته الكاملة في لساننا . . . لفظاً معجزاً . . . لا من جنس ألفاظنا . . . ليسع لنا التعبير . . . حكاية عن كلامه النفسي . . . وقت إرادة نفوذ قضائه . . . وهو لفظة كُن . . . وعن حصول المقتضى . . . بلفظ . . .

« **فيكونُ** » أيضاً . . . بلا تراخ وتعقيب . . . يفهم من الفاء . . .

« ومن كان شأنه هكذا . . . من أين يكون له حاجة . . . إلى الأهل والولَد . . . والمرأة ؟ ! . . . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . . . بل هو

سبحانه . . . واحد . . . أحد . . . فرد . . . وتر . . . صمد . . . لم يتخذ صاحبة . . . ولا ولداً . . .

« ثم قال سبحانه . . . حكاية عن عيسى . . . من جملة ما أوحى إليه . . .

« و » بعدما بالغ عيسى . . . في بيان طهارته . . . وعصمة أمّه . . . وتكلمه في غير أوان التكلم . . . بكلام عجيب ... غريب . . . قد علم بنور النبوة . . . ونجابة الفطرة والفطنة . . . أن بعضهم قد يغلون في شأنه . . . وشأن أمّه . . . ويتخذونهما إلهين . . . أورد كلاماً نافياً لظنونهم وجهالاتهم .. دافعاً لهم . . . رادعاً إياها . . . فقال . . .

« إنّ اللهَ » القادر المقتدر . . . الذي قد أوجدني . . . وأبدعني بلا أب . . . هو . . .

« ربّي » الذي رباني . . . وأمّي . . . بأنواع الكرامة . . . وأظهرني من كتم العدم . . . بمقتضى قدرته . . .

« و » هو سبحانه . . .

« ربُّكم » أيضاً . . . قد أوجدكم وأظهركم مثلي . . . إيجاداً إبداعياً ...

« فاعبدوه » روحدوه . . . ولا تشركوا معه شيئاً من مخلوقاته . . . وتوجهوا نحوه بالتذلل التام . . . والانكسار المفرط . . . إذ هو المستحق للعبادة . . . لا معبود سواه . . . ولا إله إلاّ هو . . .

« هذا » الذي قد بينت لكم . . .

« صراط مستقيم » وطريق واضح سويّ . . . موصل إلى معرفة الحق وتوحيده . . . فاتبعوه إن كنتم مؤمنين . . . موقنين بتوحيده . . .

« وبعد ما نبههم . . . عليه السلام . . . بالطريق الأبين الأوضح . . .

« **فاختَلفَ الأحزابُ** » أي فِرَق . . . النصارى . . . واليهود . . . في شأنه . . . وشأن أمّه . . . اختلافاً ناشئاً . . .

« **مِن بينِهم** » بلا سند شرعي . . . أو عقلي . . . فأفرطت النصارى باتخاذه إلهاً . . . أو ابن إله . . . وأفرطت اليهود بنسبته وأمّه . . . إلى ما لا يليق بشأنهما . . . » ! ! !

وأخيراً . . . ماذا عند أهل الكتاب ؟ ! !

ليس عندهم . . . من شيء . . . نحو هذا الأمر . . . أمر نُطق المسيح ... في المهد . . .

وإنما هو أمر . . . انفرد بذكره . . . كتاب الله العظيم . . . القرآن العظيم . . .

وأشار إليه . . . رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . في أحاديثه . . .

فأثبت القرآن . . . للمسيح . . . عليه السلام . . . بذلك . . . مشهداً خالداً . . .

ومعجزة أخلد . . . وأبقى . . .

حين سجّل نُطقه رضيعاً . . .

ومنطوق . . . نُطقه . . . كلمة كلمة . . .

فأقام الدليل القاطع . . . الساطع . . . على أن المسيح . . . أوّل من أعلن للعالم . . . عبوديته لله . . . وأوّل من أعلن إليهم . . . أن يعبدوا الله . . . ولا يعبدوه . . . هو . . . لأنه . . . عبد . . . لله . . . مربوب لله ! ! !

فازددنا بذلك . . . يقيناً على يقين . . .

أن القرآن العظيم . . .

كتاب الله . . . حقّاً . . . وصِدْقاً ! ! !



حتى

سن

الثلاثين



عند أهل الكتاب :

« عاش يسوع في الناصرة حياة خفية مطمئنة ينمو ويطيع ويشتغل .

« كان يسوع ينمو بجسده الصغير فتقوى أعضاؤه وتتشدد شيئاً فشيئاً ثم ابتدأ كسائر الأطفال يخطو خطواته الأولى تساعده أمه عليها ويتلفّظ بألفاظه الأولى مردداً ما يسمعه منها . . .

« نشأ يسوع وترعرع فصار أولاً يشارك أمه في بعض أشغال البيت ثم أباه في حانوت نجارته. ان يدي يسوع هما يدا عامل مارستا المنشار والمنجر قبل أن تمتدا إلى شفاء البشرية المتألمة بصنع العجائب وأن تلمسا عاهاتنا لتبرئها . . .

« وكان يوسف ومريم يعاينان صامتين سعيدين هذا النمو العجيب في يسوع ويحفظان في أعمق قلبهما سرهما ولم يكن مَن حولهما يفهم قيمة الكنز الذي أودع إليهما » ! ! !

* * *

« لما بلغ يسوع السنة الثانية عشرة من العمر صعد مع يوسف ومريم إلى أورشليم لعيد الفصح. كان يوسف وحده حسب الشريعة ملتزماً بالذهاب إلى المدينة المقدسة لحضور هذا العيد فأرادت مريم تلك السنة أن ترافقه رغبة في الاشتراك بالحفلات الدينية وبنيّة الاعتناء بيسوع في سفرته هذه الأولى إلى أورشليم .

« انقضت أيام العيد وأكل اليهود الحمل الفصحي كعادتهم كل سنة في

الرابع عشر من نيسان ثم في الخامس عشر احتفلوا بيوم العيد العظيم وفي اليوم التالي تمت تقدمة بواكير الحصاد. كان العيد يدوم ثمانية أيام كاملة وهي أيام الفطير لكن لم يكن الغرباء ملتزمين بالبقاء كل أيام العيد فكانوا يستطيعون أن يعودوا إلى بلادهم منذ صباح اليوم الرابع .

« لما عزمت العائلة المقدسة على الرحيل ترك يسوع يوسف ومريم يذهبان ومكث هو في الهيكل وهما لا يعلمان فسارا اليوم الأول كله وهو غائب عنهما وهما يظنانه مع الرفقة فلما جاء المساء فتشا عليه وطلباه عند الأصدقاء والمعارف فلما لم يجداه رجعا حالاً إلى أورشليم وفتشا عليه ليلتهما كلها باهتمام عظيم ثم قضيا اليوم الثاني كله يطلبانه لكن دون جدوى. أخيراً في اليوم الثالث وجداه في الهيكل جالساً بين معلمي الناموس يسمعهم ويسألهم وكانوا جميعهم منذهلين من فهمه وأجوبته فلما رآه يوسف ومريم بهتا ولو أنهما ما كانا يجهلان مصدر هذه الحكمة المتكلمة فيه .

« لما انتهى الاجتماع وانفرط عقد المجتمعين اقتربت أم يسوع منه وقالت له بكل هدوء : **يا ابني لماذا صنعت بنا هكذا ها إن أباك وأنا كنا نطلبك متوجعَين** : هذه شكوى قلب أم . شكوى التألم والحب والحنان .

« فأجاب يسوع : **لماذا تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما هو لأبي . . .**

« أما مريم أمه فكانت تحفظ في قلبها ما تراه وما تسمعه وتتأمل فيه » ! ! !

* * *

أما في الرواية التي أوردها صاحب كتاب « قصص الأنبياء » ولعلها عن إنجيل برنابا :

« **فأجاب** يسوع **ألا تعلمين أن خدمة الله يجب أن تقدم على الأب والأم .**

« ثم نزل يسوع مع أمه ويوسف إلى الناصرة .

« وكان مطيعاً لهما بتواضع واحترام » .

ثم يقول صاحب الكتاب :

من مجموع ذلك نفهم أن المسيح عليه السلام نشأ نشأة محمودة . . . وأنه كان غيوراً على الدين منذ صغره حريصاً على تفهم حكمه وأسراره . . . وأنه . . . كان يجالس العلماء ويناقشهم ويسائلهم ويجيبهم فالبيئة التي مرّ بها في صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين .

ثم يقول :

« سكتت الأناجيل عن المسيح من عهد أن كانت سنه اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ تسعاً وعشرين .

« فأين كان يسوع في هذه المدة وهي سبع عشرة سنة ؟

« أما الأناجيل فساكتة عن ذلك وإن كان في بعضها ما يشير إلى أن أباه وأمه سكنا في الناصرة .

« أما الذي أعول عليه في هذا فهو تفويض علم شأنه في السبعة عشر عاماً إلى الله تعالى » ! ! !

وجاء في أحد المراجع :

« وأمضى الثلاثين سنة الأولى من حياته في حانوت النجارة الذي كان يملكه يوسف النجار » ! ! !

وفي إنجيل لوقا :

« **ولمّا ابتدأَ يسوعُ كانَ لهُ نحو ثلاثين سنةً . . .** »

وقالوا :

« وجرى على ذلك المؤرخون . . . ومفسرو القرآن الكريم » ! ! !



يحيى

بين يدي

المسيح



يسأل العقل :

لماذا يُبعث يحيى . . . وعيسى . . . في وقت واحد . . . أليس في بعثة عيسى . . . الكفاية ؟ ! !

والجواب . . . أن يحيى . . . كان لإعداد النفوس . . . لتستطيع أن تنتقل من الجمود الذي تجمدت عليه . . . إلى آفاق المسيح الروحية السماوية . . .

جاء يحيى . . . ثورة عنيفة . . . تهز أباطيل القوم . . . وتسخر من رجال الكهنوت . . .

ليخلخل أوضاعاً فاسدة . . . ويكشف من ألاعيب رجال الدين . . .

حتى إذا ما تم ذلك . . . استلم المسيح منه اللواء . . .

وبدأ الغرس . . . ووضع البذور . . . في أرض قام يحيى بتقليبها . . . وإعدادها لتكون صالحة للزرع الجديد . . .

قالت المراجع :

« كان كلام يوحنا إلى الذاهبين إليه عنيفاً جافياً . . . وهو لا يعظ إلاّ بالتوبة . . . يبشر بملك المسيح القادم . . . ويُعِدّ النفوس خير إعداد لنعم الارتجاع إلى الله بالندامة وإصلاح الحياة . . . وكان يعمّد قاصديه بعمودية التوبة .

« وكان يوحنا قبل أن يكرز بالتوبة قد مارسها ممارسة فائقة . . . فصار مثاله عظة أبلغ من كلامه . . . فإنه كان يعيش في المغاور وفجوات الصخور ...

وعليه لباس من وبر الإبل . . . ومنطقته من جلد . . . وطعامه الجراد وعسل البر . . . فكان لكلامه تأثير عظيم في سامعيه . . . وصارت الجموع تخرج إليه أفواجاً من المدينة المقدسة . . . ومن كل اليهودية . . . وجميع بقعة الأردن . . . فيعتمدون منه في الأردن معترفين بخطاياهم .

« وهكذا كان يوحنا يسهل الطرق أمام الملك الآتي . . . داعياً إلى التوبة مبشراً باقتراب ملكوت الله . . . منذراً بمجيء المسيح . . . وهو يؤنب الخطاة مجاهراً إياهم بما تتطلبه التوبة الصادقة للغفران . . . وكان لعدم ثقته بالفريسيين والصدوقين يكلمهم بخشونة قائلاً لهم : يا أولاد الأفاعي . . . مَن دلّكم على الهرب من السخط الآتي . . . اثمروا ثمراً يليق بالتوبة . . . ولا يخطر بكم أن تقولوا في نفوسكم أن أبانا إبراهيم . . . لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة ابناء لإبراهيم .

« أما ذوو القلوب الساذجة المستقيمة فكان يعاملهم بكل شفقة ورقة » !!!

إن يحيى يعلن بنفسه إلى الشعب . . . أنه مجرد مقدمة للمسيح . . . ومبشر بالمسيح . . .

« وإذْ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي مَن هو أقوى مني الذي لستُ أهلاً أن أحُلّ سُيورَ حذائه .

« هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » ! ! !

كان لا بد أن يكون يحيى . . . عنيفاً . . . كالعاصفة . . . التي تسبق نزول المطر ! ! !

التجربة
في
البرية



من إنجيل لوقا :

« ولما اعتمدَ جميع الشعبِ اعتمد يسوع أيضاً . . .

« ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة . . .

* * *

« أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدُس وكان يُقتادُ بالروح في البرّيّة أربعين يوماً يجرَّبُ من إبليس .

« ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام ولما تمّتْ جاع أخيراً .

« وقال له إبليس إن كنتَ ابن اللهِ فقل لهذا الحجر أن يصير خبُزاً .

« فأجابه يسوع قائلاً مكتوبٌ أن ليس بالخُبزِ وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من الله .

« ثم أصعده إبليس إلى جبل عالٍ وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان .

« وقال له إبليس لكَ أعطي هذا السلطان كلّه ومجدهن لأنه إليّ قد دُفِعَ وأنا أعطيه لمن أريد .

« فإن سجدتَ أمامي يكون لك الجميع .

« فأجابه يسوع وقال اذهَبْ يا شيطان إنه مكتوب للرب إلهكَ تسجد وإياه وحده تعبُد .

« ثم جاء به إلى أورشليم وأقامه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل .

« لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك .

« وأنهم على أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك .

« فأجاب يسوع وقال له إنه قيل لا تجرّب الربّ إلهك .

« ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين » ! ! !

* * *

عظمة جديدة . . . من شمائل المسيح . . . عليه السلام . . .

أربعين يوماً . . . بلياليها . . . لم يأكل شيئاً فيها . . .

قوة روحية خارقة . . .

وإعداد . . . وتربية . . . والله يصنع أنبياءه . . . صناعة عليا . . . لأنهم سيحملون . . . كلمته العليا . . .

وتشبه تلك التجربة . . . في حياة المسيح . . . عليه السلام . . .

تلك التجربة . . . في حياة . . . رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

« فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . فقال : يا ابن أخي . . . إنك منا حيثُ قد علمت . . . من المنزلة الرفيعة في العشيرة . . . والمكان في النسب . . . وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم . . . فرّقت به جماعتهم . . . وسفهت به أحلامهم . . . وعبت به آلهتهم ودينهم . . . وكفّرت به من مضى من آبائهم . . . فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

« فقال له رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . « قل يا أبا الوليد أستمع » .

« قال : يا ابن أخي . . . إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً . . . جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً . . . وإن كنت إنما تريد به شرفاً سوّدناك علينا . . . حتى لا نقطعَ أمراً د نك . . . وإن كنت تريد به مُلْكاً ملّكناك علينا ... وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْياً تراه . . . لا تستطيع ردّه عن نفسك . . . طلبنا لك الطبّ . . . وبذلنا لنا فيه أموالنا حتى نُبْرِئك منه . . . فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ...» إلى آخر الخبر . . .

لقد عرضوا على رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . هنا . . . المال . . . الشرف . . . المُلك . . .

وفي تجربة المسيح . . . عليه السلام . . . الخبز . . . السلطان . . . الإلقاء بنفسه من علو والله يحفظه . . .

والتجربة تكاد تتشابه . . .

وقد كان الذي يعرض تلك العروض على رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . هو المتحدث باسم الشيطان ! ! !

ألا إن أنبياء الله . . . يمرون على ألوان من التربية الإلهية . . . قد يبدو للذين لا يفقهون أنها تختلف . . . ولكنها في الحقيقة تأتلف ولا تختلف ! ! !

وكانت تجربة . . . بعد صيام أربعين يوماً . . . لا يأكل ولا يشرب . . .

طبق الأصل . . . كما فُعِل بموسى . . . عليه السلام . . .

« وواعَدْنا موسى . . .

« ثلاثينَ ليلةً . . .

«وأتممناها بعَشْرٍ ...

«فتَمَّ ميقاتُ ربِّهِ ...

«أربعينَ ليلةً ...» !!!

انظر ... أربعين ليلة ... متواصلة بلا طعام وبلا شراب ...

لإعداد موسى ... ليُكلّمه ... ربه ...

«ولما جاء موسى لميقاتِنا ...

«وكَلّمَهُ ربّهُ ...» !!!

ما صُنع بموسى ... صُنعَ بعيسى ...

نفس الأسلوب ... ونفس مدة الصيام ...

ليتأهل موسى ... للتكليم ... والتلقي ...

ويتأهل عيسى ... للتلقي ... والإلقاء إلى الناس !!!

ذلك أن الذي أرسل ... موسى ... رسولاً ...

هو الذي أرسل ... عيسى ... رسولاً ...

ولن تجد لسنة الله تبديلاً !!!

ورسولا
الى
بني اسرائيل



قال تعالى :

« ويُعَلِّمُهُ الكتابَ والحِكْمَةَ والتوراةَ والإنجيلَ .

« ورسُولاً إلى بني إسرائيلَ أنّي قدْ جئتُكم بآيةٍ من ربّكم. . . » !!!

قال صاحب كتاب « قصص الأنبياء » :

« وهناك رواية برنابا . . . أوردها بنصها من الفصل العاشر . . . دون تلخيص . . . وهي :

يسوع وهو ابن ثلاثين يتلقى على جبل الزيتون الإنجيل من الملاك جبريل

(١) ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه . . . صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً .

(٢) وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات « يا رب برحمة.. » وإذا بنور باهر قد أحاط به . . . وجوق لا يحصى من الملائكة . . . كانوا يقولون « ليتمجّد الله » .

(٣) فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة .

(٤) فنزل إلى قلب يسوع . . . الذي عرف به ما فعل الله . . . وما قال الله . . . وما يريد الله . . . حتى أن كل شيء كان عرياناً . . . ومكشوفاً له.

(٥) ولقد قال لي : « صدق يا برنابا . . . أني أعرف كل نبي . . . وكل نبوة . . . وكل ما أقوله إنما قد جاء في ذلك الكتاب .

(٦) ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع . . . وعلم أنه نبي مرسل . . . إلى بيت إسرائيل . . . كاشف مريم أمّه . . . بكل ذلك قائلاً لها : إنه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله . . . وأنه لا يقدر فيما بعد . . . أن يقيم معها ويخدمها .

(٧) فلما سمعت مريم هذا أجابت . . . « يا بنيّ . . . إني نبئت بكل ذلك . . . قبل أن تولد . . . فليتمجد اسم الله القدوس » .

(٨) ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمّه ليمارس وظيفته النبوية » .

« والذي أفهمه من كل ذلك الكتاب . . . الخ . . . أن العلم — الذي قذف الله به في روعه . . . أول ما بدأه الوحي على يد جبريل — مُثل له كتاباً . . . ومُثل له أن يأكله . . . فاستضاءت به بصيرته . . . كما مُثل لرسول الله محمد . . . صلى الله عليه وسلم . . . أن جبريل جاء بنمط من ديباج فيه كتاب . . . فقال له (اقرأ باسم ربك الذي خلَق) » .

ثم يقول :

« معنى الإنجيل « البشارة » . . .

« والشواهد متضافرة على أن الله تعالى أعطى المسيح الإنجيل . . .

« وأنه كتاب تضمن الهدى والنور . . . » ! ! !

* * *

قلت : يكفي في إثبات إنزال الإنجيل . . . على عيسى . . . عليه السلام . . . صريح القرآن . . . مثل قوله تعالى :

« وقفّينا على آثارِهِم بعيسى ابنِ مريمَ مُصدّقاً لما بينَ يديهِ مِن

التوراةِ وآتيناهُ الإنجيلَ فيهِ هُدًى ونورٌ ومُصدِّقاً لِما بين يديهِ مِن التوراةِ وهُدًى وموعظةً للمتّقينَ » .

ومثل قوله تعالى :

« ثمّ قفّينا على آثارِهم برُسُلِنا وقفّينا بعيسى ابنِ مريمَ وآتيناهُ الإنجيلَ . . . »

وغيرها من الآيات ! ! !

والله أعلم ! ! !



ايات
أو معجزات



وقالوا :

« كان فصح اليهود قد قرب فصعد يسوع إلى أورشليم . . .

« اجتاز يسوع فناء الأمم الذي هو أرض مقدسة إذ إنه جزء من هيكل الله حيث ينبغي أن يسود السكوت الذي يهيء النفوس للخشوع والصلاة فشاهد هناك متجراً بل سوقاً رائجة وجلبة وضوضاء ... فملأه هذا المشهد غيرةً وسخطاً حملاه على العمل كما يحق لذي سلطة في بيت الله . . . فلم يكتف بأن ينكر على البائعين تجارتهم ... بل أخذ سوطاً صنعه من حبال . . . وطرد الباعة والصيارفة من الهيكل قائلاً : ارفعوا هذه من هاهنا . . . ولا تجعلوا بيت أبي [1] بيت تجارة .

« وكان تلاميذه واقفين ينظرون إليه بشيء من التخوف . . .

« تفرق الباعة بأمر المسيح دون كلمة معارضة أو مقاومة . . . أما الكهنة فلم يتمالكوا عن الاعتراض . . . لكنهم لم يؤنبوا المسيح على عمله . . . بل طلبوا منه بأي سلطة قام به وبأي آية يثبت هذه السلطة . . . فأجابهم : انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه . . .

« ومع هذا فقد صنع يسوع في أورشليم في أيام الفصح آيات عديدة جعلت كثيرين من الذين عاينوها يؤمنون به » .

* * *

---

(١) أي بيت ربي .

« بعد أن اجتاز يسوع السامرة وصل إلى الجليل حيث كان يقدر على التبشير بملكوت الله بعيداً عما لاقاه في اليهودية من قبل رؤساء الكهنة والفريسيين من معاداة ومراقبة . . . فضلاً عن حسن إستعداد الجليليين لقبول تعاليمه . . . فسوف نراهم يلتحقون به بالمئات والألوف لسماع كلامه . . .

* * *

وفي إنجيل لوقا :

« وانحدر إلى كفرناحوم مدينة من الجليل .

« وكان يعلمهم في السُبُوت .

« فبُهتوا من تعليمه لأن كلامه كان بسُلطان .

«وكان في المجمع رجل به روحُ شيطانٍ نجس فصرخ بصوتٍ عظيم قائلاً : آهِ ما لنا ولكَ يا يسوعُ الناصريّ .

« أتيتَ لتُهلكنا .

« أنا أعرفكَ من أنتَ قُدّوس الله .

« فانتهره يسوع قائلاً : اخرَسْ واخرُج منه فصرَعه الشيطان في الوسْطِ وخرج منه ولم يضرّه شيئاً .

« فوقعتْ دهشةٌ على الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين ما هذه الكلمة .

« لأنه بسُلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج .

« وخرج صيت عنه إلى كل موضع في الكورَة المحيطة » ! ! !

وآية أخرى . . . أو معجزة أخرى . . .

« ولما قام من المجمع دخل بيت سِمعان .

« وكانت حماةُ سمعان قد أخذتها حُمّى شديدة .

« فسألوه من أجلها .

«فوقف فوقها وانتهرَ الحُمى فتركتها وفي الحال قامت وصارت تخدمهم»!

هذا نموذج من شفائه . . . عليه السلام . . . للمرضى ! ! !

ومعجزة أخرى . . .

« وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سُقَماء بأمراض مختلفة قدّموهم إليه فوضع يديهِ على كل واحد منهم وشفاهم » ! ! !

معجزة عجيبة . . . الشفاء لجميع المرضى . . . ولجميع الأمراض ! ! !

وأخرى . . . أعجب . . .

« وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنتالمسيح..

« فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح .

« ولما صار النهار خرج وذهب إلى موضع خلاء وكان الجموع يفتشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلاّ يذهب عنهم .

« فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا قد أُرسلت .

« فكان يكرز [1] في مجامع الجليل » ! ! !

هذه نماذج قليلة . . . وسيأتي غيرها أكبر منها . . . من معجزات المسيح عليه السلام . . .

---

(1) اي يعظ .

وهاهنا يسأل سائل : لم يرد ذكر هذه المعجزات في القرآن . . . فلماذا؟ ! !

قلت : القرآن أشار إلى إبراء الأكمه والأبرص . . . باعتبارهما لا شفاء لهما . . .

أي أشار إلى قمة الأمراض المستعصية . . . فمن المفهوم بداهة أن ما دون ذلك من الأمراض يكون هيناً بالنسبة للمسيح أن يشفيها ! ! !

فإن من يردُّ البصر ... إلى ممسوح العينين . . . ويبرىء الأبرص الذي لا بُرء لمرضه . . . هو عليه هين . . . شفاء أي مرض دون ذلك ! ! !

ولهذا سجّل القرآن الأصعب . . . لنفهم أن ما دون ذلك فهو أيسر ! ! !

« . . . وتُبْرِىءُ الأكمَهَ والأبْرَصَ بإذْني . . .

« وإذْ تُخْرِجُ الموْتى بإذْني . . .

« وإذْ كفَفْتُ بني إسرائيلَ عنكَ إذْ جئتَهُم بالبيّناتِ فقال الذين كفروا منهم إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مبينٌ » ! ! !

سجّل إبراء الأكمه والأبرص . . . كنموذجين للمستحيلات . . .

ثم سجّل له جميع المعجزات التي كانت منه بقوله « إذ جئتهم بالبيّنات » بالمعجزات الكثيرة . . . التي تبين وتكشف لهم أنك رسول الله إليهم ! ! !

وتبرئ

الاكمه

والابرص

باذني



وهاهنا ثلاث معجزات . . .

أو ثلاث بيِّنات . . .

« وإذْ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله كان واقفاً عند بحيرة جنيِّسارَتَ .

« فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منهما وغسلوا الشباك .

« فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسِمعان وسأله أن يُبعد قليلاً عن البر .

« ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة .

« ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعُد إلى العمق وألقوا شباككم للصيد .

« فأجاب سِمعان وقال له يا مُعلـم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً ولكن على كلمتك ألقي الشبكة .

« ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمَكاً كثيراً جداً فصارت شبكتهم تتخرّق .

« فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا ويُساعدوهم .

« فأتَوْا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق .

« فلما رأى سمعان بطرسُ ذلك خرَّ عند ركبتي يسوع قائلاً أخرج من سفينتي يا رب [1] لأني رجل خاطىء .

---

(1) اي يا سيدي .

« إذ اعترته وجميع الذين معه دهشة على صيد السمك الذي أخذوه .

« وكذلك أيضاً يعقوب ويوحنا ابنا زبَدي اللذان كانا شريكي سِمعان .

« فقال يسوع لسِمعان لا تخف .

« من الآن تكون تصطاد الناس .

« ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه » ! ! !

هذه معجزة أخرى . . . أو آية من آيات المسيح ! ! !

والثانية . . .

« وكان في إحدى المدن فإذا رجل مملوءٌ بَرَصاً .

« فلما رأى يسوع خرَّ على وجهه وطلب إليه قائلاً يا سيِّدُ إن أردتَ تقدِرْ أن تُطهرني .

« فمدَّ يده ولمسَه قائلاً أريدُ فاطْهُرْ .

« وللوقتِ ذهب عنه البَرَص .

« فأوصاه أن لا يقول لأحد بل امضِ وأرِ نفسك للكاهن وقدّم عن تطهيرك كما أمر موسى شهادة لهم .

« فذاع الخبر عنه أكثر » ! ! !

وثالثة أخرى . . .

« فاجتمع جموع كثيرة لكي يسمعوا ويشْفَوْا به من أمراضهم .

« وأما هو فكان يعتزل في البراري ويُصلي » ! ! !

هذه ثلاث معجزات . . . بل عشرات المعجزات . . . لأن الأخيرة . . .

اجتمع فيها جموع ... فهي آيات في آية ! ! !

ولا مانع من حدوث هذا كله ... فإن الله قد أذن له في ذلك ...

« **بإذْني** » ! ! !



أيها الانسان

مغفورة لك

خطاياك



ومن إنجيل لوقا :

« وفي أحد الأيام كان يعلّم وكان فرّيسيون ومُعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم .

« وكانت قوة الرب لشفائهم .

« وإذا برجال يحملون على فراش إنساناً مفلوجاً وكانوا يطلبون أن يدخلوا به ويضعوه أمامه .

« ولما لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمْع صعدوا على السطح ودَلَّوه مع الفراش من بين الاجُرّ إلى الوسْط قدّام يسوع .

« فلما رأى إيمانهم قال له أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك .

« فابتدأ الكتبة والفريسيون يفكرون قائلين مَن هذا الذي يتكلم بتجاديف .
« مَن يقدر أن يغفر خطايا إلاّ الله وحده .

« فشعر يسوع بأفكارهم وأجاب وقال لهم ماذا تفكرون في قلوبكم .
« أيما أيسرُ أن يُقال مغفورة لك خطاياك .

« أم أن يقال قمْ وامشِ .

« ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سُلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج لكَ أقول قُمْ واحمِلْ فراشَكَ واذهب إلى بيتك .

« ففي الحال قام أمامهم وحمل ما كان مُضطجعاً عليه ومضى إلى بيته وهو يمجّد الله .

« فأخذت الجميع حيرة ومجّدوا الله وامتلأوا خوفاً قائلين إنا قد رأينا اليوم عجائبَ » ! ! !

نعم . . . إنها عجائب . . .

ولكن العجب يزول . . . إذا علمنا أنها قدرة الله . . . تظهر على يدي المسيح ! ! !

ولاحل لكم

بعض الذي

حرم عليكم



في إنجيل لوقا :

« وفي السبت الثاني بعد الأول اجتاز بين الزروع .

« وكان تلاميذه يقطفون السنابل ويأكلون وهم يفركونها بأيديهم .

« فقال لهم قوم من الفريسيين لماذا تفعلون ما لا يحلّ فعله في السبوت .

« فأجاب يسوع وقال لهم أما قرأتم ولا هذا الذي فعله داود حين جاع هو والذين كانوا معه .

« كيف دخل بيت الله وأخذ خُبْز التقدمة وأكل وأعطى الذين معه أيضاً .

« الذي لا يحل أكله إلاّ للكهنة فقط .

« وقال لهم إن ابن الإنسان هو ربّ السبتِ أيضاً » . ! ! !

* * *

وفي كتاب « مع المسيح . . . في الأناجيل الأربعة » . . .

« وأثيرت مسألة السبت في وجه المسيح . . . أثارها الطقوسيون المتزمتون

« السبت لأجل الإنسان . . . لا الإنسان لأجل السبت . . .

« حقيقة كبرى هي حقيقة الأديان كلها ! . . فالعبرة بالجوهر . . . والعبادات وسائل لترقية الإنسان وتهذيبه . . . لا لاعناته وإشقائه . . . فما جعل الله في الدين من حرج . . .

« لكن الذين حصروا أنفسهم في الأشكال هم أبعد عن تذوق الروح . . .

إنهم يختنقون خارج مراسمهم اليابسة ! . .

« وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه: هل يشفي في السبت ــ لكي يجدوا عليه شكاية ، أما هو فعلم أفكارهم . . . ثم قال لهم يسوع : أسألكم شيئاً ــ هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر ، تخليص نفس أو إهلاكها !؟ . .

« وأعجب العجائب أن يكون جزاء من يشفي الناس . . . القتل ما دام يشفيهم يوم سبت ! . . فهذه شرعة الإنصاف والطاعة كما يفهمها اليهود :

« ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه ، لأنه عمل هذا في سبت ! . . فأجابهم يسوع : أبي يعمل حتى الآن ، وأنا أعمل . . .

« ففي السبت تختنون الإنسان . . . فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلاّ ينقض ناموس موسى ، أفتسخطون عليّ لأني شفيت إنساناً كله في سبت ! . . لا تحكموا حسب الظاهر . . . بل احكموا حكماً عادلاً .

« ولكن كيف يأتي العدل ممن بدد اعمة العقل : « **فأتوا إلى الفريسيين بالذي كان قبلاً أعمى ، وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه ، فسأله الفريسيون أيضاً : كيف أبصر ؟ فقال لهم : وضع طيناً على عيني ، واغتسلت فأنا أبصر ! فقال قوم من الفريسيين : هذا الإنسان ليس من الله ــ لأنه لا يحفظ السبت ! آخرون قالوا : كيف يقدر إنسان خاطيء أن يعمل مثل هذه الآيات ، وكان بينهم انشقاق » ! !**

* * *

وهكذا . . . تم نسخ . . . يوم السبت . . . عملياً . . .

حين أبرأ . . . المسيحُ . . . الذي كان قبل أعمى . . . يوم السبت . . .

وحين أكل تلاميذه . . . من سنابل القمح . . . بين يديه . . . يوم

السبت . . . وهم يقطفونها ويفركونها بأيديهم . . .

« **ولأُحِلَّ لكُمْ . . .**

« **بعضَ الذي حُرِّمَ عليْكُم » . . . ! ! !**

وفي إنجيل لوقا :

« **وفي سبت آخر دخل المجمع وصار يُعلِّم .**

« **وكان هناك رجل يده اليمنى يابسة .**

« **وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه هل يشفي في السبت لكي يجدوا عليه شكاية .**

« **أما هو فعلم أفكارهم وقال للرجل الذي يده يابسة قمْ وقِفْ في الوسْط .**

« **فقام ووقف .**

« **ثم قال لهم يسوع أسألكم شيئاً .**

« **هل يحلّ في السبت فعلُ الخير أو فعل الشر .**

« **تخليص نفس أو إهلاكها .**

« **ثم نظر حوله إلى جمعيهم وقال للرجل مُدَّ يدَكَ .**

« **ففعل هكذا .**

« **فعادت يده صحيحة كالأخرى .**

« **فامتلأوا حُمقاً وصاروا يتكالمون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع » !!!**

سؤال جميل . . . جليل . . .

« هل يحلّ في السبت فِعل الخير أو فِعل الشر ؟

« تخليص نفس أو إهلاكها ؟ » ! ! !

النبوة . . . تتلألأ . . . ومَن كالأنبياء . . . إذا نطقوا ؟ ! !



قال عيسى ابن مريم

للحواريين

من أنصاري الى الله ؟



قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارَ الله . . .
« كما قال عيسى ابنُ مريمَ للحوَاريّين . . .
« مَنْ أنصاري إلى اللهِ . . .
« قال الحَواريّونَ نحنُ أنصارُ اللهِ . . .
« فآمنَتْ طائفةٌ مِن بني إسرائيلَ . . .
« وكفرَت طائفةٌ . . .
« فأيّدْنا الذين آمنوا على عدُوّهم فأصبحوا ظاهرينَ » ! ! !

وقال :

« وإذْ أوحَيْتُ إلى الحَواريّينَ أنْ آمِنُوا بي وبرسُولي . . .
« قالوا آمنّا واشهَدْ بأنّنا مُسلِمونَ » ! ! !

وقال :

« فلمّا أحَسَّ عيسى منهمُ الكُفْرَ . . .
« قالَ مَنْ أنصاري إلى اللهِ . . .
« قالَ الحواريّونَ نحنُ أنصارُ اللهِ آمنّا باللهِ واشهَدْ بأنّا مُسلمونَ .
« ربّنا آمنّا بما أنزَلْتَ واتّبعْنا الرسولَ فاكتبْنا مع الشاهدينَ » ! ! !

مَن هم الحواريون ! ؟ !

قال صاحب قصص الأنبياء :

« هم أصحاب عيسى وخاصته ...

الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه ... وبادروا إلى الإيمان به ... وتتلمذوا له ... وتعلموا منه ...

وكانوا اثني عشر رجلاً ...

ويظهر أن لفظ « الأنصار » في جانب رسول الله ... بمنزلة « الحواريين » في جانب المسيح ...

والأناجيل تعبر عنهم بلفظ « التلاميذ » ...

وهذه أسماء التلاميذ الاثني عشر :

١ — (سِمعان) الذي يقال له بطرس .

٢ — (اندراوس) أخو سمعان بطرس .

٣ — (يعقوب) بن زبدى .

٤ — (يوحنا) أخو يعقوب .

٥ — (فيلبس) .

٦ — (برثولماوس) .

٧ — (توما) .

٨ — (متّى العشار) .

٩ — (يعقوب) بن حلفى .

١٠ — (لباوس) الملقب تداوس .

١١ — (سمعان القانومي) .

١٢ — (يهوذا الإسخريوطي) .

أما عند برنابا . . . فهذه أسماء التلاميذ الاثني عشر :

١ — (اندراوس) .

٢ — (بطرس الصياد = سمعان) .

٣ — (برنابا) .

٤ — (متّى العشار) .

٥ — (يوحنا) بن زبدى .

٦ — (يعقوب) بن زبدى .

٧ — (تداوس) .

٨ — (يهوذا) .

٩ — (برثولماوس) .

١٠ — (فيلبس) .

١١ — (يعقوب) بن حلفى .

١٢ — (يهوذا الإسخريوطي) .

ومن ذلك نرى أن برنابا نقص من الحواريين وهما « توما » و « سمعان » القانومي . . . ووضع مكانهما اسمه واسم « تداوس » .

* * *

وفي إنجيل لوقا :

« وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليُصلّي .

« وقضى الليل كله في الصلاة لله .

« ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنيْ عشَرَ الذين سماهم أيضاً رُسُلاً .

« سِمعان الذي سمّاه أيضاً بطرُس وأندراوس أخاه .

« يعقوب ويوحنّا .

« فيلبّس وبَرْثولماوُس .

« متّى وتُوما .

« يعقوب بن حَلْفى وسِمعان الذي يُدعى الغيور .

« يهُوذا أخا يعقوب ويهُوذا الإسخرْيوطي الذي صار مُسلِّماً أيضاً .

« ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صُور وصَيْداء الذين جاءوا ليسمعوه ويُشْفَوْا من أمراضهم .

« والمعذبون من أرواح نجسة .

« وكانوا يَبْرَأون .

« وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرجُ منه وتشفي الجميع »!

واختار المسيح . . . عليه السلام . . . حوارييه . . . أو تلاميذه . . . أو رُسُله . . . إلى الناس . . .

اختار الأعمدة . . . الاثني عشر . . . الذين سوف يكونون من بعده . . . حملة الشعلة المقدسة إلى الناس . . .

وبدأ . . . يملؤهم . . . من روحه . . .

« ورَفَعَ عينيه إلى تلاميذه وقال . . . »

فماذا قال ؟ ! !



طوباكم

أيها المساكين

لأن لكم ملكوت الله



« ورَفَعَ عينيه إلى تلاميذه وقال طُوباكم أيها المساكينُ لأن لكم ملكوتَ اللهِ .

« طوباكم أيها الجياعُ الآن لأنكم تُشبَعون .

« طوباكُم أيها الباكونَ الآنَ لأنكم ستضحكونَ .

« طُوباكم إذا أبغضكُم الناس وإذا أفرزُوكم وعيّروكم وأخرجوا اسمكم كشريرٍ من أجل ابن الإنسان .

« افرحوا في ذلك اليوم وتهلّلوا .

« فهُوذا أجرُكم عظيم في السماء .

« لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء » ! ! !

ما هذا ؟ ! !

إنّه من نفس المشكاة . . . مشكاة « **وما ينطِقُ عنِ الهَوَى . إن هو إلاّ وحيٌ يُوحَى** » **! ! !**

كلام رفيع . . . بل أعلى من رفيع . . .

إنه نبيّ الله . . . ورسول الله . . . عيسى ابن مريم . . . يتكلم ! ! !

كلام . . . يدخل إلى القلب رأساً . . .

لأن فيه أسرار النبوة . . . وأنوار الرسالة ! ! !

إنه يبشر . . . ثم هاهو يُنذر :

« ولكن ويلٌ لكم أيها الأغنياء .

« لأنكم قد نلتُم عزاءكم .

« ويلٌ لكم أيها الشباعَى لأنكم ستجوعون .

« ويلٌ لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون .

« ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حَسَنا .

« لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكَذَبة » ! ! !

نذير . . . بعد بشير . . .

ترهيب . . . بعد ترغيب . . .

إنه أسلوب الكتب السماوية كلها . . . أسلوب المثاني . . . يبَشّر الذين أحسنوا . . . وينذر الذين أساءوا ! ! !

وهذا وحده آية الصدق منه . . . وآية على أنه رسول الله ! ! !

« إنّا أرسَلْناك بالحقّ بشيراً ونذيراً وإن مِّنْ أمّةٍ إلاّ خلا فيها نذيرٌ » !

سبحان الله ! ! !

ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ! ! !

ثم ماذا ؟ ! ! . . .

ثم يوجّه . . . كلامه الشريف . . . إلى الناس جميعاً . . .

ويذيع إلى العالم كله . . . الخطوط العريضة . . . من رسالته السامية . . .

« لكني أقول لكم أيها السامعون أحبّوا أعداءكم .

« أحسنُوا إلى مُبغضيكم .

« باركوا لاعنيكم .

« وصلّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم » ! ! !

نفس المشكاة . . .

« اللهم . . . اهدِ . . . قومي . . . فإنهم لا يعلمون » ؟ ! !

ثم ماذا ؟ ! . . . ثم مستوى من الأخلاق لا عهد للبشرية به آنذاك ! ! !

« مَن ضربَكَ على خدّكَ فاعرضْ له الآخرَ أيضاً » ! ! !

عجب . . .إنه يريد من الإنسان . . . أن يرتفع فوق آلامه ! ! !

إنها من مشكاة « فاصْفِحِ الصفْحَ الجميلَ » ! ! !

ثم ماذا . . . يا نبي الله ؟ ! !

« ومَن أخذَ رداءكَ فلا تمنَعْه ثوبَك أيضاً .

« وكلُّ مَن سألَكَ فأعْطِهِ » ! ! !

تدخل . . . تحت ظلال :

« وأمّا السائلَ فلا تنهرْ » ! ! !

ثم يقول . . . عيسى بن مريم . . . عليه السلام . . .

« ومَن أخذَ الذي لكَ فلا تُطالبْه .

« وكما تريدون أن يفعلَ الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا » ! ! !

نفس الأمواج . . . أمواج :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ! ! !

ثم يرفع . . . عليه السلام . . . مستوى الحبّ . . . فيقول :

« وإن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم .

« فإن الخُطاة أيضاً يحبون الذين يحبونهم .

« وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسنون إليكم فأي فضل لكم .

« فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا .

« وإن أقرضتُم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأي فضل لكم .

« فإن الخطاة أيضاً يُقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المثل .

« بل أحِبّوا أعداءكم وأحسِنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجرُكم عظيماً وتكونوا بني العليّ فإنه مُنعمٌ على غير الشاكرين والأشرار .

« فكونوا رُحماء كما أنّ أباكم أيضاً رحيمٌ » ! ! !

جمالها . . . شعشعاني . . . عجيب ! ! !

مَن أراد الفضل . . . مَن أراد الأجر العظيم . . . يُعطي . . . ولا ينتظر رد ما أُعطي إليه . . .

يتخلق بأخلاق الله . . . والله يعطي الكافر والشاكر ! ! !

وهذه المثاليات كلها . . . تهتز تحت ظلال :

« كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء . . .

« من عطاءِ ربِّكَ . . .

« وما كانَ عطاءُ ربِّكَ محظوراً » ! ! !

بل يعطي هؤلاء وهؤلاء ! ! !

وتحت ظلال قوله تعالى :

«... وارزُقْ أهلَهُ من الثمراتِ مَنْ آمَنَ مِنهم باللهِ واليومِ الآخِرِ ...

«قالَ ومَن كَفَرَ ...» ! ! !

بل وأرزُقُ مَن كفر كذلك يا إبراهيم ! ! !

هذه أخلاق الله .. فتخلقوا بأخلاق الله ! ! !

ثم يقول ... عليه السلام ... والحكمة تتتابع ... من فمه الشريف ... فتأتي إحكاماً وإعجازاً ... وهذا لن يكون إلاّ من الأنبياء ! ! !

«ولا تدينوا فلا تُدانوا .

«لا تَقْضوا على أحَدٍ فلا يُقضى عليكم .

«اغْفِرُوا يُغْفَرْ لكمْ» ! ! !

جمالها ... ليس كمثله جمال ! ! !

مَن أراد أن يغفر الله له ... فليغفر للناس ...

تتلاقى ... في بحر واحد ... مع أمواج قوله سبحانه :

«... وليَعْفوا وليَصْفَحوا ...

«ألا تحِبّونَ أن يَغْفِرَ اللهُ لكُمْ .

«واللهُ غَفُورٌ رحيمٌ» ؟ ! !

إذا أحببتم أن يغفر الله لكم ... فاعفوا ... واصفحوا ... واغفروا ... لغيركم ... نغفر لكم ! ! !

سبحان الله ! ! !

نفس الموجة « اغفروا يُغفر لكم » ! ! !

ثم يقول . . عليه السلام . . .

« أعطوا تُعْطَوْا .

« كيلاً جيّداً مُلبَّداً مهزوزاً فائضاً يُعطون في أحضانكم .

« لأنه بنفس الكيْل الذي به تكيلون يُكالُ لكم ! ! !

ألا تدخل هذه . . . تحت ظلال قوله تعالى :

« إنْ أحسنتُمْ أحسنتم لأنفسكم . . .

« وإن أسأتم فلها . . . » ؟ ! !

وقوله سبحانه :

« هل جزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسانُ » ! ! !

ثم قال . . . عليه السلام . . .

« وضربَ لهم مثلاً .

« هل يقدِر أعمى أن يقود أعمى .

« أما يسقُط الاثنانِ في حفرة .

« ليس التلميذ أفضل من معلمه

« بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلمه .

« لماذا تنظرُ القذَى الذي في عين أخيكَ .

« وأما الخشبةُ التي في عينك فلاتفطنُ لها .

« أو كيف تقدر أن تقول لأخيك يا أخي دعني أخرج القذى الذي في عينك .

« وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينك .

« يا مرائي أخرجْ أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك .

« لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً رديّاً .

« ولا شجرة رديّة تثمر ثمراً جيداً .

« لأن كل شجرة تُعرف من ثمرها .

« فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العُلَّيْق عنباً .

« الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرِج الصلاح .

« والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يُخرج الشر .

« فإنه من فضْلَة القلب يتكلم فمه .

« ولماذا تدعونني يا ربّ يا ربّ وأنتم لا تفعلون ما أقوله .

« كلٌّ من يأتي إليّ ويسمع كلامي ويعمل به أريكم مَن يُشبه .

« يُشبه إنساناً بنى بيتاً وحفَرَ وعمّقَ ووضع الأساس على الصخر .

« فلما حدث سيْل صدَم النهر ذلك البيت فلم يقدِر أن يزعزعه لأنه كان مؤسساً على الصخر

« وأما الذي يسمع ولا يعمل فيُشبه إنساناً بنى بيته على الأرض من دون أساس .

« فصدمه النهر فسقط حالاً وكان خراب ذلك البيت عظيماً » ! ! !

سبحان الله . . . إنها من أمواج . . . المعاني التي يشير إليها قوله تعالى :

« أفَمَنْ أسّسَ بُنْيانَهُ على تَقْوَى مِنَ اللهِ ورضوانٍ خيْرٌ . . .

«أمِ منْ أسّسَ بُنْيانَهُ على شَفَا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ بهِ في نارِ جَهَنّمَ ...» ؟ ! !

اللهم صلِّ ... وسلم ... على نبينا ... خاتم النبيين ...

وعلى نبيك ... عيسى ... عليه السلام ! ! !

واحي

الموتى

باذن الله



ربما كانت هذه المعجزة ...

معجزة إحياء الموتى ...

من أضخم ... وأفخم ... وأعجب معجزات المسيح ... عليه السلام ! ! !

ذلك أن إحياء الموتى ... فضلاً عن غرابته ... وأنه ليس في مقدور أحد ...

فيه دليل لا يُجحد ... على فكرة البعث يوم القيامة ...

لأن الله إذا أحيا نفساً واحدة ... يستطيع أن يحيي ملايين النفوس ...

فالفكرة واحدة ...

« ما خَلْقُكُم ... ولا بَعثُكُم ... إلاّ كنَفْسٍ واحدةٍ ... » ! ! !

والذين رفضوا من البشر ... فكرة البعث يوم القيامة... أكثرهم رفضوها لأنهم يشكون في إمكانية بعث الناس مرة أخرى ... لصعوبة إحياء الميت ... ولأنهم لم يشهدوا قط ميتاً عاد إلى الحياة مرة أخرى ! ! !

« وقالوا أإذا كُنا عظاماً ورُفاتاً أءِنّا لمبعوثونَ خلقاً جديداً » ؟ ! !

مستحيل هذا ... ومَن يستطيع أن يفعل هذا ؟ ! !

مَن يُحيي هذه الملايين ... التي تلاشت تماماً ... مرة أخرى ؟ ! !

« قُلْ كونُوا حجارَةً أوْ حَديداً .

« أوْ خلقاً ممّا يكبُرُ في صُدورِكم . . .

« فسيقولونَ من يُعيدُنا . . .

« قُلِ الذي فطرَكم أوّلَ مرّةٍ . . .

« فسيُنغِضونَ إليكَ رءوسَهُمْ . . .

« ويقولونَ متى هوَ . . .

« قُلْ عسى أن يكونَ قريباً » ! ! !

كونوا ما شئتم . . . حجارة . . . حديداً . . . تراباً . . . عدَماً . . . أي شيء . . .

فسيقولون : **مَن يُعيدُنا ؟ ! !**

مَن هذا الذي يستطيع أن يعيدنا إلى الحياة ؟ ! !

هذا شيء . . . لا معقول ! ! !

ثم لو فرضنا أن هذا سوف يكون . . . جدَلاً . . . فكيف يحدث . . . كيف ؟ ! !

هذه طبيعة العقل . . . ملحاح دائماً . . . لا يكف عن طرح الأسئلة . . .

الجواب :

« يومَ يَدْعُوكُمْ فتستجيبونَ بحمْدِهِ . . .

« وتظُنُّونَ إن لبثْتُم إلاّ قليلاً » ! !

يوم يدعوكم . . . مجرد دعوة . . . مجرد أمر . . .

قوموا . . . **« فإذا هم قيامٌ ينظرُونَ » ! ! !**

إنها القُدرة . . . أيها العقل . . .

ولكن العقل دائماً . . . لا يعقل القُدوة . . .

فسُحقاً له . . . ثم سُحقاً ! ! !

ومن هنا . . . من خطورة الأمر . . . أمر فكرة البعث . . . يوم القيامة . . .

تأتي خطورة . . . معجزة إحياء الموتى . . . من بين معجزات المسيح . . .

كأن الله . . . يريد أن يقول للناس : تستبعدون أن أحييكم مرة أخرى . . . ها فانظروا أمامكم تجربة . . . يجريها عبدٌ من عبادي . . . اسمه المسيح . . . أمام أعينكم . . . أذِنتُ له فيها . . .

« وإذْ تُخرِجُ الموْتى بإذْني » ! ! ! . . .

فإذا ما شاهدتموها بأعينكم . . . كانت لكم برهاناً . . . على أن الله يقدر أن يبعثكم مرة أخرى . . . كما بعث عيسى لكم . . . هذا الميت مرة ثانية . . .

فإذا كان عيسى . . . وهو بشر مثلكم . . . يحيي الموتى . . . أفلا يستطيع ربّ عيسى . . . وإله عيسى وإلهكم . . . أن يفعل ذلك ؟ ! !

فكيف كانت تلك المعجزة الخطيرة ؟ ! !

في إنجيل لوقا :

« وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة تُدعى نايين وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير .

« فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميْتٌ محمولٌ ابنٌ وحيدٌ لأمه .

« وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة .

« فلما رآها الربّ تحنّن عليها وقال لها لا تبكي .

« ثم تقدّم ولمَسَ النعش فوقف الحاملون .

« فقال أيها الشابّ لكَ أقولُ قُمْ .

« فجلَسَ الميْتُ وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه .

« فأخذَ الجميع خوفٌ .

« ومجّدوا الله قائلين قد قام فينا نبيٌّ عظيم وافتقد الله شعْبَه .

« وخرجَ هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكورَة المحيطة . . » !

قُمْ ؟ ! ! . . . لكَ أقولُ . . . قمْ . . .

فجلس الميت . . . وابتدأ يتكلم ! ! !

شيء عجيب حقاً . . .

ميت . . . يحيا مرة أخرى . . . بمجرد . . . كلمة من المسيح . . . **« قُمْ » ؟ ! !**

وكانت إشارة إلى الشاهدين للحادثة . . .

أن عيسى . . . نبيٌّ حقاً . . . ونبيٌّ عظيم . . .

« قد قام فينا نبيٌّ عظيم » ! ! !

وإشارة إلى جميع الناس . . . من بعدهم . . . إلى يوم القيامة . . .

هذا عبدي . . . ورسولي . . .

هذا بشرٌ . . . أذنتُ له . . . أن يُجري هذه التجربة أمامكم . . .

كي تصدقوا أن ما فعله عبد من عبادي . . . أقدر أنا أن أفعله . . . فلا تشكوا في البعث يوم القيامة ! ! !

فلما أن كان آخر كتاب أنزله الله . . . إلى الناس . . . القرآن المجيد . . .

سجّلها الله فيه . . . تصديقاً لنبيه عيسى . . .

ولكن سجّلها ... مقرونة بالتصحيح ... حتى لا يتشابه على الناس الأمر ... فيقولوا «**إنَّ اللهَ هُوَ المسيحُ ...**»

كلاَّ ... بل الله ... أذِنَ للمسيح ... أن يفعل ذلك ...

«**وإذْ تُخْرِجُ الموْتى بإذْني ...**» ؟!!

هاهنا التصحيح ... لِما التوى فهمه على المفتونين بالمسيح ...

بإذْني ؟!!..

أنا ... أعطيتك يا عيسى ... هذا الإذن ...

وبدون هذا الإذن لا تستطيع أن تُحيي ذبابة ...

بل تعود إلى عجز البشر الطبيعي ...

«**إنَّ الذينَ تدعونَ مِن دونِ اللهِ ...**

«**لَن يخلُقوا ذُباباً ...**

«**ولوِ اجتمعُوا لهُ ...**» !!!

نعم ... لو لم آذن للمسيح ... ما استطاع أن يحرك بعوضة ...

فما لكم لا تفقهون حديثاً ؟ ! !

سجّلها الله ... مع التصحيح ... بكلمة «**بإذْني**» ... ليفهم الذين قالوا اتخذَ الله ولداً ...

أن المسيح ... لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ... إلاَّ ما شاء الله له ...

فلو لم يمنحه هذا الإذن ... ما استطاع من ذلك ... من شيء ...

من أجل ذلك ... وتصحيحاً لالتواءات الذين زعموا فيه المزاعم ... كرّر ... كلمة «**بإذْني**» أربع مرات ...

ليتأكد الأمر ... في العقـــول ... التي أبت إلا المغالاة في أمر المسيح ... ويعلموا أنَّ ما كان منه من خوارق ... مصدرهُ ... الإذن ... لا المسيح نفسه ... انظر ... وتأمَّل ...

« وإذْ تخلُقُ مِنَ الطينِ كهيئةِ الطيْرِ بإذْني ...

« فتنفُخُ فيها فتكونَ طيْراً بإذْني ...

« وتُبْرِىءُ الأكمَهَ والأبْرَصَ بإذْني ...

« وإذْ تخرِجُ الموتى بإذْني ... » ! ! !

بإذني ... بإذني ... بإذني ... بإذني ...؟ ! ! !

أربع ... مرات ! ! !

لماذا ؟ ! ! ... لأن الفتنة من هاهنا ...

المغالاة من هاهنا ...

أبَشَراً ... يخلقُ طيراً من طين ؟ ! !

ويُبرىء الأكمه والأبرص ؟ ! !

ويُحيي الموتى ؟ ! !

كلاّ ... هذه أعمال لا يعملها إلاّ إله ...

إذن ... المسيح ... هو الله ! ! !

وتناقلوها ... ولقّنوها أبناءهم ! ! !

وما كان المسيح ... إلهاً ... ولن يكون ... ومستحيل أن يكون ...

ولن يرضى ... هو نفسه ... أن يكون ...

لأن العبودية ... حقيقة ... في تركيبه « **إني عبْدُ ... اللهِ** » ...

والبشرية . . . أصل عام . . . في تكوينه . . .

« ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاّ رسولٌ قدْ خلَتْ مِن قبله الرّسُلُ . . .

« وأُمهُ صِدّيقَة . . .

« كانا يأكُلانِ الطعامَ . . .

« انظُرْ كيفَ نُبيّنُ لهمُ الآياتِ ثمَّ انظُرْ أنّى يُؤفكونَ » ؟ ! !

وليس هاهنا تكرار . . . « **بإذْني** » . . . أربع مرات . . . وحدها . . .

بل في موضع آخر . . . من الكتاب الحقّ العظيم . . . تتكرر مرتين . . . تأكيداً للتصحيح . . . قال تعالى :

« أني أخلُقُ لكم مِن الطينِ كهيئةِ الطيرِ فأنفُخُ فيهِ فيكونُ طيراً بإذْنِ اللهِ . . .

« وأبْرِىءُ الأكمَه والأبرَصَ وأحْيِ الموْتى بإذْنِ اللهِ . . . » ! ! !

بإذن الله . . . بإذن الله . . . مرتين اثنتين . . . وكان يمكن مرة واحدة لجميع الخوارق . . . ولكن مرتين . . . لتُقتلع من النفوس . . . الفتنة الخطيرة التي أضلّت الكثيرين . . . فتنة تأليه المسيح ! ! !

فهل إحياء المسيح للموتى . . . بإذن الله . . . انفرد هو به . . . من بين الأنبياء . . .

أو هنالك . . . من الأنبياء . . . مَن أحيى الموتى . . . كذلك . . . بإذن الله ؟ ! !



أرني

كيف

تحيي الموتى



إبراهيم ؟ ! !

أبو الأنبياء . . . وأستاذ التوحيد . . . وخليل الله . . . وجدُّ عيسى . . . وجَدُّ محمد . . .

عليهم جميعاً . . . صلوات الله . . . وسلامه . . .

دخل . . . تلك التجربة . . . تجربة إحياء الموتى . . .

وأجراها بنفسه . . . كما أجراها عيسى بنفسه . . .

فكيف كان ذلك . . . وماذا كان ؟ ! !

« وإذْ قالَ إبراهيمُ ربِّ أرِني كيفَ تُحيي الموتى . . .

« قالَ أوَلَمْ تُؤمِنْ . . .

« قالَ بلى . . .

« ولكِن ليطمئِنَّ قلْبي . . .

« قالَ فخُذْ أربعَةً مِنَ الطيرِ فصُرْهُنَّ إليْكَ . . .

« ثمَّ اجعَلْ على كل جبَلٍ منهُنَّ جُزْءاً . . .

« ثم ادعُهُنَّ . . .

« يأتينَكَ سَعْياً . . .

« واعلمْ أنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ » ! ! !

« أرني » من الرؤية البصرية ...

« كيف تُحيي الموتى » ! ؟ . . . أي بصرني . . . كيفية إحيائك الموتى...

وإنما سأله — عليه السلام — لينتقل من مرتبة اليقين . . . إلى عين اليقين ...

ورُوي . . . أن سبب السؤال منازعة النمروذ إياه في الإحياء . . . حيث رد عليه لما زعم أن العفو إحياء . . . وتوعده بالقتل إن لم يحي الله تعالى الميت بحيث يشاهده . . . فدعا حينئذ . . .

وهذا يشير إلى أن هذا السؤال له علاقة بالتحاور . . . الذي كان بين النمروذ وإبراهيم . . .

وأن العملية . . . كانت معجزة أخرى . . . وقعت أمام أعين النمروذ وأعين الشعب . . .

« قال : أولم تؤمن » ؟ . . أي ألم تعلم . . . ولم تؤمن . . . بأني قادر على الإحياء . . . كيف أشاء . . . حتى تسألني عنه ؟ . .

« قال : بلى » قال إبراهيم : آمنت بذلك . . .

« ولكن » سألتُ . . .

« ليطمئنّ » . . . أي يسكن . . .

« قلبي » . . . بمضامة الأعيان إلى الإيمان . . . والإيقان بأنك قادر على ذلك . . .

« فخُذ » . . . أي ان أردت ذلك فخُذ . . .

« أربعة من الطير » جمع طائر . . . قيل . . . انها الغراب . . . والطاووس . . . والديك . . . والحمامة . . .

« فصُرهنّ » فقطعهن . . .

أي اجمعهن . . . وضمهن إليك لتتأملها . . . وتعرف شأنها مفصلة . . . حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءاً من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلاً . . .

« ثم اجعل » . . . أي ألق . . . أو صيّر . . .بعد ذبحهن . . . وخلط لحومهن . . . وريشهن . . . ودمائهن . . .

« على كل جبل » يمكنك الوضع عليه . . . ولم يعين له ذلك . . .

روي أن الجبال كانت أربعة . . . وقيل سبعة . . . وقيل عشرة . . .

وعندي أن قوله « على كل جبل » إشارة إلى أن الله أعطى إبراهيم . . . حرية توزيعها . . . كيف شاء . . . على ما شاء من الجبال . . .

أي وزعها كيف شئت على شتى الجبال من حولك . . .

« منهن » . . . أي من تلك الطير . . .

« جُزءاً » أي قِطعة . . .

« ثم ادعُهن » أي نادهن . . .

قيل . . . إنه – عليه الصلاة والسلام نادى : أيتها العظام المتمزقة . . . واللحوم المتفرقة . . . والعروق المتقطعة . . . اجتمعي يرد الله تعالى فيكن أرواحكن . . .

فوثب العظم إلى العظم . . . وطارت الريشة إلى الريشة . . . وجرى الدم إلى الدم . . . حتى رجع إلى كل طائر دمه ولحمه وريشه . . .

« يأتينك سعْياً » فالدعاء . . . إنما وقع بعد الإحياء . . .

أي . . . ساعيات مسرعات . . .

وفيه دليل على أن البنية ليست شرطاً في الحياة . . . لأنه تعالى جعل كل واحد من تلك الأجزاء والأبعاض . . . حياً قادراً على السعي والعدو ! ! !

« واعلمْ أن الله عزيز » غالب على أمره . . .

« حكيم » ذو حكمة بالغة في أفعاله . . . فليس بناء أفعاله على الأسباب العادية لعجز عن خرق العادات بل لكونه متضمناً للحكم والمصالح . . .

حكي أن الله سبحانه . . . لما وفي لإبراهيم — عليه الصلاة والسلام — بما سأل . . . قال له : يا إبراهيم . . . نحن أريناك كيف تحيي الموتى . . . فأرنا كيف تميت الأحياء . . . مشيراً إلى ما سيأمره به من ذبح ولده — عليه الصلاة والسلام — . . .

وهو من باب الانبساط مع الخليل . . . ودائرة الخُلة واسعة ! ! !

ورأى إبراهيم عجائب ربه . . .

رأى أجزاء الطيور التي قطعها وخلطها بيده . . . ووزعها على جبال متعددة . . . رآها تتجمع إلى بعضها البعض . . . وتتركب . . . وتعود طيوراً كما كانت ؟ ! !

إنه كان يعلم أن الله على كل شيء قدير . . .

ولكنه يريد أن يرى بعينيه تلك التجربة . . . تجربة إحياء الموتى . . .

وأذن الله له . . . أن يرى . . .

فازداد يقيناً على يقين . . .

واطمأن قلبه بما رأى ! ! !

ولو أخذنا برأي بعض المفسرين . . . أن هذه التجربة . . . حدثت أمام أعين . . . النمروذ . . . وشعبه . . . فإنها تكون أعجب . . . وأوسع . . . من تجربة عيسى . . . حين أحيا الشاب الميت . . . أمام أمه . . . وجمع من الناس . . .

فإن الجمع المحتشد هنا . . . لا يبلغ ضخامة الجمع الذي حشده الملك . . . نمروذ . . . فإنه حشد شعباً كاملاً . . . ليشهدوا التحدي القائم بينه وبين إبراهيم . . . حين قال لإبراهيم : **أنا أُحْيي وأُميتُ ؟ ! !**

فدعا . . . هنالك إبراهيم ربه . . . **أرِني كيفَ تُحيي الموتى ؟ ! !**

وكان ما كان . . . وبُهِتَ النمروذ ! ! !

وإنك لتعجب أشد العجب . . . وتكبر الله تعالى تكبيراً . . .

حين تجد . . . أن الأسلوب الذي أحيا به عيسى الموتى. . . من البشَر . . .

هو هو . . . الذي أحيا به إبراهيم الموتى . . . من الطير . . .

في إبراهيم . . . « ثمَّ . . . ادعُهُنَّ يأتينَكَ . . . سَعْياً » ! ! !

نادِهن . . . يسعين . . . فوراً . . . ويأتينك . . . جَرْياً ! ! !

أي . . . قل لهم . . . قوموا . . . يقوموا . . . فوراً ! ! !

وفي عيسى . . .

« فقال . . . أيها الشاب . . . لك أقول . . . قُمْ . . .

« فجلس الميت . . . وابتدأ يتكلم . . . فدفعه إلى أمِّه . . . » ! ! !

شيء عجيب . . .

قال المسيح . . . للميت . . . قُمْ . . . فقام . . . فوراً . . .

وقال إبراهيم للطيور الميتة . . . الممزقة كل ممزق . . . المتباعدة أجزاؤها على كل جبل . . .

قوموا . . . فقاموا ! ! !

نفس الأسلوب . . . بل حتى نفس الألفاظ ؟ ! !

فما معنى هذا التشابه العجيب ؟ ! !

معناه عميق . . . دقيق . . . سحيق ! ! !

أن إبراهيم . . . إذ ناداها . . . فاستجابت له . . . وقامت لفورها . . . تسعى . . .

إنما كان ذلك . . . بإذن من الله . . .

فهي قد استجابت . . . لربها . . . وليس لإبراهيم . . .

وإنما إبراهيم . . . هنا . . . ينطق بأمر ربه . . . وإذْنه . . .

كذلك عيسى . . . حين قال للشاب . . . قُمْ . . . فقامَ . . . إنما استجاب لربه . . . وليس لعيسى . . .

وإنما عيسى ناطق . . . « **بإذنِ اللهِ** » . . .

ولو نادى عيسى . . . الموتى . . . ألف مرة ومرة . . . بغير إذن من الله . . . ما استجابوا له . . . وما التفتوا إليه . . . وما يستطيعون ! ! !

بل أعجب من هذا كله . . . أن الأسلوب الذي . . . يُحيي به الله جميع الموتى . . . يوم القيامة . . . هو هو نفس الأسلوب . . . الذي أرشد إبراهيم . . . وعيسى من بعده . . . إليه ! ! !

« **ومِن آياتِهِ . . .**

« **أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمْرِه . . .**

« **ثمَّ إذا دعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرضِ . . .**

« **إذا أنتُمْ تخْرُجونَ** » **! ! !**

لا إله إلاّ الله ! ! !

نفس الأسلوب . . . إذا دعاكم دعوةً . . .

إذا ناداكم نداءً واحداً . . .

قوموا ؟ ! ! !

إذا أنتم تخرجون . . . فوراً . . . تقومون . . . وفوراً تخرجون من الأرض ؟ ! ! !

ما هذا العجب العجاب ؟ ! !

إن الله . . . يُرشد إبراهيم . . . « **ثمّ . . . ادعُهُنّ** » . . . نادِهم . نداء واحداً . . .

وهو سبحانه يرشدنا . . . كيف يحيي الموتى جميعاً . . . بكلمة منه . . .
« **إذا دعاكم دعْوَةً . . . إذا أنتم تخرجون** » ! ! !

تأمّل . . . ادعُهُنّ . . . دعاكم دعْوَةً . . .

ادعُهنّ . . . يأتينك سعياً . . .

كما أدعوهم جميعاً . . . دعوة . . . يوم القيامة . . . فإذا هم قيام ! ! !

فالسرّ . . . في إحياء إبراهيم للموتى . . . ليس في إبراهيم . . .

وإنما في الإذن . . . الذي منحه الله . . . لإبراهيم . . .

ولو كان السرّ . . . في إبراهيم . . . ما كان هناك وجه . . . لأن يسأل ربه : **أرني كيف تُحيي الموتى** » ؟ !

والسر . . . في إحياء عيسى للموتى . . . ليس في عيسى . . . وإنما في الإذن . . . الذي منحه الله . . . لعيسى . . .

السرّ . . . في . . . « **بإذْني** » ! ! !

السرّ . . . في . . . « بإذْنِ اللهِ » ؟ ! !

« ألا . . .

« لهُ . . . الخلْقُ . . .

« والأمْرُ . . .

« تباركَ اللهُ ربّ العالمينَ » ؟ ! !

وانظر

الى

حمارك



وأخرى . . .

من عجائب إحياء الموتى . . .

وقعت في بني إسرائيل . . . فكــانت سبباً . . . في قولهم « **عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ** » ! ! !

كما كان إحياء المسيح للموتى . . . من الأسباب . . . التي جعلت النصارى يقولون « **المسيحُ ابنُ اللهِ** » ! ! !

قال تعالى :

« **أوْ كالذي مَرَّ على قريةٍ وهيَ خاويةٌ على عروشِها . . .**

« **قالَ أنّى يُحيِي هذهِ اللهُ بعدُ موتِها . . .**

« **فأماتَهُ اللهُ مائةَ عامٍ ثمَّ بعثَهُ . . .**

« **قالَ كمْ لبثْتَ . . .**

« **قالَ لبثْتُ يوماً أو بعضَ يومٍ . . .**

« **قالَ بل لبثْتَ مائةَ عامٍ . . .**

« **فانظُرْ إلى طعامِكَ وشرابِكَ لمْ يتَسَنَّهْ . . .**

« **وانظُرْ إلى حمارِكَ . . .**

« **ولنَجْعَلَكَ آيةً للناسِ . . .**

« **وانظُرْ إلى العظامِ كيفَ نُنشِزُها . . .**

« ثمَّ نكسُوها لحْماً ...

« فلمّا تبيّنَ لهُ ...

« قالَ أعلَمُ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ » ! ! !

« أو كالذي » أي ... ألم ترَ إلى الشخص الذي قد ...

« مرَّ على قرية » هي بيت المقدس ... بعد أن خربها بختنصر فرآها ...

« وهي خاوية » ساقطة حيطانها ...

« على عروشها قال » محاجاً ... مجادلاً ... منكراً للحشر والنشر ...

« أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » أي ... كيف يقدر على إحياء أهلها ... وهم قد انقرضوا واندرسوا ... إلى حيث لم يبق منهم أثر ...

« فأماته الله » فجأة ... إظهاراً لقدرته ... وتبييناً لحجته ... وألبثه ...

« مائة عام » ميتاً ... كالأموات الأخر ...

« ثم بعثه » وأحياه بعد تلك المدة ... ثم سأله هاتف بأن ...

« قال كم لبثت » في هذا المكان أيها اللابث ...

« قال لبثتُ يوماً » فالتفت إلى الشمس فرآها باقية ... قال ...

« أو بعض يوم قال » له السائل ... أنت ما تعرف مدة لبثك في هذا الموضع ... فكيف تنكر الحشر ؟ ! ...

« بل » قد ...

« لبثت » أنت فيه ...

« مائة عام فانظر » أيها المكابر ... المنكر للحشر الجسماني بنظر العبرة ..

« إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه » ولم يتغير ... من كمال قدرة الله.

على حفظه . . . مع سرعة تغيره . . .

« وانظر إلى حمارك » كيف تفرقت عظامه . . . وتفتتت أوصاله وأجزاؤه . . . مع بطء تغيره وتفتته . . .

« و » بعدما نظرت إليهما معتبراً . . . تذكر قولك حين مرورك على القرية . . . أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ ! . . . فالزم . . .

ثم قيل له من قبل الحق . . . وإنما فعلنا ذلك معك . . . أيها المنكر للحشر والنشر . . .

« لنجعلك آية » حجة ودليلاً . . .

« للناس » القائلين بالحشر الجسماني . . . على المنكرين المعاندين له . . .

« و » بعدما تحققت حالك . . .

« انظر » بنظر العبرة . . .

« إلى العظام » الرفات . . . التي تعجبت من كيفية إحيائها . . . بل أنكرت عليها . . .

« كيف ننشزها » نركب بعضها مع بعض . . .

« ثم نكسوها لحماً » بعد تتميم تركيب العظام على وجهها . . .

« فلما تبين له » أمر الحشر . . . أسلم حيث . . .

« قال أعلم » يقيناً . . .

« أن الله » القادر المقتدر . . .

« على » إحياء . . .

« كل شيء » مبدئاً مبدعاً . . .

« قدير » على إحيائه . . . موجداً . . . معيداً . . . مرة بعد أخرى . . . وكرة بعد أولى » ! ! !

هذا ما ذهب إليه هذا المفسر . . .

إلاّ أن هناك من قال أن صاحب هذه القصة . . . هو « عُزَيْر » . . . وقالوا :

« دخل حديقته . . .

« ثم ملأ سلة من العنب . . . وأخرى من التين . . . واصطحب مقداراً من الخبز . . . وامتطى حماره . . . وأخذ طريقه إلى المنزل . . .

« . . . وإذا هو في قرية خربة . . . وعظام نخرة . . . وأجساد بالية . . .

« فنزل عن حماره . . . وألقى بالسلّتين إلى جواره . . . وربط الحمار . . . وأسند ظهره إلى جدار . . .

« وأطلق العنان لعقله يفكر في هذه الأموات وكيف تُنشر . . . وتلك الأجساد وأنّى تبعث ؟ ! . . .

« ثم استحال هذا التفكير إلى سهوم ووجوم . . . ثم أغمضت عيناه . . . ودخل في نوم عميق . . . وكأنه لحق بمن في القبور . . .

« ومرت مائة عام . . . وهرمت أطفال . . . وفنيت أعمار . . . وعُزَير مُلقى في مكانه جسداً بلا روح . . . وعظامه ممزقة الأوصال . . . مهشمة المفاصل . . .

« ثم جمع عظامه . . . ونفخ فيه من روحه . . . فإذا هو قائم مكتمل الخَلْق . . .

« وإذا هو عُزَيْر . . . يقوم كأنه منتبه من نومه . . . يبحث عن

حماره . . . ويفتش عن طعامه وشرابه ! . .

« وجاء المَلَك يسأله : أتظن كم لبثت في رقدتك يا عُزَيْر ؟ . .

« قال ولم يفكر : لبثتُ يوماً أو بعض يوم ! . . .

« قال : بل لبثت مائة عام تسكن هذه الأجداث . . . ومع هذه السنين الطويلة . . . فإن طعامك ما زال سليماً . . . وشرابك لم يتغير . . .

« ولكن انظر إلى حمارك تراه مفرّق العظام . . . والله — جل شأنه — سيُريك هذه العظام كيف يجمعها ويحييها . . . لتطمئن نفسك بالبعث . . . وليجعلك آية للناس تخرجهم من ظلمات الشك

« وتلفّت عزير . . . فإذا حماره بأشراطه وعلاماته . . . قائم على أربع . . . فقال : أعلمُ أن الله على كل شيء قدير ! . . .

« وأخذ حماره . . . وشرع يتعرف الطريق إلى بيته . . . وقد تبدلت المعالم . . . كأنه يتذكر في حُلم بعيد . . . حتى انتهى إلى منزله . . .

« فإذا عجوز ذوَى عودُها . . . ولكنها لا تزال باقية . . . وقد عَشِيَ بصرها . . . كانت هذه أَمَتَه التي خلّفها في ربيع حياتها . . .

« سألها : أهذا منزل عُزَيْر ؟ . . .

« قالت : نعم . . . هذا منزل عُزَيْر . . . وخنقتها العبرة وقالت : لقد ذهب عزير . . . ونسيه الناس . . . وما رأيت من حقبة مَن ذكر عُزَيْراً إلاّ الآن ! . . .

« قال : أنا عُزَيْر . . . أماتني الله مائة عام . . . وها قد بعثني إلى الوجود . . . وردني إلى الحياة . . .

« فاضطرب أمر العجوز . . . وأنكرت عليه دعواه . . . وقالت : إن

عُزيراً كان رجلاً صالحاً . . . مستجاب الدعوة . . . ما تطلّب أمراً إلاّ تقبل الله منه . . . ولا تشفّع له في مريض إلاّ شفاه . . . فادع الله أن يُصحّ جسمي . . . ويرد بصري . . .

« فدعا الله . . . فإذا هي ذات بصر حديد . . . ووجه وضيء ! . .

« فقبّلت يديه ورجليه .

« ثم ذهبت من ساعتها إلى القوم من بني إسرائيل . . . وفيهم أبناؤه وأحفاده . . . منهم من بلغ الثمانين . . . وفيهم أترابه . . . وقد برَى الدهر عظامهم . . .

« وصاحت : إنّ عُزَيراً الذي فقدتموه منذ مائة عام قد ردّه الله . . . رجلاً في مطارف الشباب ! . . .

« وطلع عليهم عُزير . . . رجلاً . . . مستوي الخلقة . . . فأنكروا صفته . . . وأعظموا فريته . . .

« ولكنهم أرادوا أن يمتحنوه بالرأي والبرهان . . .

« قال أحد أبنائه : إن لأبي شامة في كتفه كان يتميز بها . . . ويُعرف بصفاتها . . .

« وكشفوا عن كتفه . . . فإذا العلامة كما عرفها أبناؤه . . . وكما سمع عنها أحفاده . . .

« ولكنهم أرادوا أن تطمئن قلوبهم . . . فقال كبير منهم : لقد حدّثنا أنه منذ زحف بختنصّر على بيت المقدس . . . ومن وقت أن أحرق التوراة . . . لم يكن على الأرض مَن يحفظ التوراة إلاّ قليل . . . ومنهم عُزير . . . فإن كنت عُزيراً فاتْلُ علينا ما كنت تحفظه منها . . .

« فقرأها لهم لم يترك آية . . . ولم يخْرِم لفظاً . . .

« عند ذلك صافحوه مصدقين . . .

« وأقبلوا عليه مباركين . . .

« ولكنهم . . . ما ازدادوا إيماناً . . . بل ازدادوا كفراً . . .

« وقالوا : **(عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ)** » ! ! !

* * *

قلت . . . الأكثر أهمية هنا . . . هو التجربة نفسها . . . والمراد منها « ولنجعلك آية للناس » . . .

هذا هو الأمر الأهم . . .

أما كونه أحد الناس . . . أو عُزَيْر . . . فهذا لا يقدم ولا يؤخر . . . بالنسبة إلى حكمة الحادث . . .

رجل . . . ما . . . رأى مدينة ضخمة . . . وقد تحولت إلى أطلال . . .
فقام في نفسه السؤال الخالد : **أنّى . . . يُحيي . . . هذه . . . اللهُ . . . بعد موتها ؟ ! !**

متى . . . وكيف . . . وبعدَ كم من السنين ؟ ! . .

وفوراً . . . أماته الله . . . .

مائة عام ! ! !

لماذا مائة عام ؟ ! !

ليتم تفتت عظامه . . . وعظام حماره . . . أي ليصبح مثالاً تاماً . . . لكل الموتى . . . فلا يقال . . . لقد كان جسده باقياً على حاله . . .

ومائة عام . . . تكفي لعودة الازدهار إلى المدينة الخربة . . . فإذا شاهدها عامرة مرة أخرى . . . ازداد يقيناً بقدرة الله . . .

ومائة عام . . . فترة كافية . . . كنموذج لمليون عام . . . التي قد يمكثها أهل القبور في قبورهم . . . فإذا قاموا قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم . . . تماماً كما قال هذا الرجل : لبثتُ يوماً أو بعض يوم ! ! !

وإنما تطابق القولان . . . لأن المائة عام . . . كالمليون عام . . .

كلاهما يستويان . . . إذا فقد الإنسان الإحساس بالزمان ! ! !

ثم نظر الرجل فرأى أمرين متضادين فازداد حيرة . . .

طعامه وشرابه . . . المفروض تعفنهما بعد أيام . . . ما زالا طازجين . . . كما هما رغم مرور مائة عام ! ! !

فهل يُعقل هذا ؟ ! !

بينما حماره الذي يمكن أن يستمر بضع سنين حيّاً . . . وإذا مات تستمر عظامه مدة طويلة . . . ها هو قد تفتت وتلاشى ! ! !

ثم الأمر الأعجب . . . هل هو نفسه قد مات فعلاً . . . وصار رميماً . . . ثم بعث مرة أخرى . . . أم أمسك عليه حياته . . . وأنامه مائة عام ثم استيقظ من نومه ؟ ! !

أما هو فقد مات فعلاً . . . ثم بعث بصريح القرآن « فأماته اللهُ . . . مائة عام . . . ثم بَعَثَه » ! ! !

وأما حفظ الطعام والشراب مائة عام ولم يتغيّر . . . فهو إشارة إلى قدرة الله . . . أن يفعل ما شاء . . . وأن هذه السُّنن السارية في الأشياء الآن . . . لا تقيد قدرة الله في شيء . . . فهو الفعّال لما يريد ! ! !

وأما الدليل على انقضاء مائة عام . . . فهو ما يرى من رُفات الحمار البالية . . . فلم يبق منه إلاّ أجزاء هي والعدم سواء . . .

وأما الدليل على قدرة الله . . . على إحياء الموتى . . . فهو ما سوف يراه بعينيه . . . من إعادة خلق الحمار . . .

عظام تتكون فوراً . . .

وتتراكب فوراً . . . فتشكل هيكلاً عظمياً تاماً . . .

ثم يتكوّن اللحم . . . ويأخذ مكانه . . . من تكوين الحمار . . . « ثم نكسوها لحماً » . . .

ثم تُنفخ الروح . . . في هذا الهيكل الممدد على الأرض . . .

فيهتز فوراً . . . ويقوم حماراً . . .

هو . . . هو . . . حماره . . . بعلاماته . . . التي يعرفها جيداً ! ! !

تجربة فريدة . . . أمام عينيه . . .

كائن . . . تم إعادة خلقه . . . كما كان . . . وبعد أن مات مائة عام ! ! !

فلماذا يستبعد هو أن يموت مائة عام . . . ثم ها هو يُبعث ؟ ! !

لقد قال له « انظُرْ » مرتين . . .

« انظر إلى حمارك » تأكد أنه ميت . . . لم يبق منه إلاّ الرفات . . . هذه نظرة . . .

ثم قيل له « وانظر إلى العظام » . . . هذه العظام النخرة المبعثرة هنا وهناك . . . انظر إليها الآن . . . ونحن نجمعها « كيف نُنشزُها » ؟ . . انظر الكيفية . . . كيف تتجمع وتتراكب كما كانت . . . تجربة أمام عينيك . . .

وتمت تجربة إعادة كائن ما . . . إلى الحياة . . . مرة أخرى . . . أمام عينيه . . .

ليعلم أن هذا كذلك . . . أن إعادة إحياء الموتى من الناس . . . كإعادة إحياء الموتى من الحمير ! ! !

وشهد عزيرٌ التجربة بعينيه . . .

ورأى جواب سؤاله : أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها ؟ ! !

ولكن . . . بعد مائة عام ! ! !

وأخيراً . . . نقول . . .

أحيى عيسى . . . الشاب الميت . . . بإذن الله . . . حين قال له : قم . . . فقام . . .

وأحيى إبراهيم . . . الطير . . . بإذن الله . . . حين دعاها . . . فأتته تسعى . . .

هاتان تجربتان وقعتا . . . على يدي إبراهيم . . . وعيسى . . .

وها هما تجربتان أخريان . . . حدثتا . . . مِنَ الله رأساً . . .

إحياء عُزير . . . بعد موته مائة عام . . .

هذا من جنس الإنسان . . .

والأخرى من جنس الحيوان . . .

حمار . . . يُبعث حيّاً . . . بعد موته مائة عام ! ! !

وما بَعث الحمار . . . بأهون من بعث عُزير . . .

بل هما كدليل على قدرة الله على إحياء الموتى . . . سواء . . .

لأن التجلي في أصغر الأشياء . . .

كالتجلي في أكبر الأشياء . . .

فليس في قدرة الله . . . تفاوت . . .

وإنما التفاوت . . . هو بالنسبة إلى عقولنا المحدودة . . .

يُطربنا . . . إعادة إحياء الموتى من الإنسان . — . . لأهمية هذا النوع بالنسبة إلينا . . .

ولا يطربنا . . . إعادة إحياء الموتى من الحيوان . . . لتفاهة هذا النوع بالنسبة إلى عقولنا . . .

ولكن الحقيقة . . . أن التجلي . . . في إعادة خلْق الحمار . . .

كالتجلي في إعادة خلق الإنسان ! ! !

ولقد جمع الله . . . في تجربة واحدة . . . الأمرين معاً . . .

لعلنا . . . نفهم ! ! !



ان العمى يبصرون

والموتى يقومون



قال تعالى :

« فنادتْهُ الملائكةُ وهوَ قائمٌ يُصلّي في المحرابِ ..

« أنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بيحيى ...

« مُصدِّقاً بكلمةٍ مِنَ اللهِ ...

« وسيِّداً وحصُوراً ونبيّاً مِنَ الصالحينَ » ! ! !

وجاء يحيى ... مصدقاً ... بكلمة من الله ...

مصدقاً ... بالمسيح ... الذي هو كلمة من الله ...

قالوا :

« مرت أشهر على يوحنا وهو في السجن ... ولما أقبل عليه تلاميذه يخبرونه بأعمال يسوع العجيبة ... أرسل إليه اثنين منهم يسألونه : **أأنت الآتي ... أم ننتظر آخر ؟ ..**

« أراد يوحنا بذلك أن يقرب تلاميذه من المسيح ليتعرفوا وينجذبوا إليه .

« أما يوحنا فكان إيمانه به تاماً لا يحتاج إلى إثبات .

« لما جاء رسولا يوحنا إلى يسوع كان يشفي كثيرين من أمراض وأوجاع وأرواح شريرة ويهب البصر لعميان كثيرين .

« فأجابهما : اذهبا واعلما يوحنا بما سمعتما ورأيتما ... فالعميان

يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبَشَّرون . . . وطوبى لمن لا يشك فيَّ .

« ثم لما انطلق هذان المرسلان جعل يسوع يشهد ليوحنا أجمل شهادة . . . قائلاً : ماذا خرجتم إلى البرية تنظرون أقصبة تحركها الريح . أم ماذا خرجتم تنظرون أإنساناً لابساً لباساً ناعماً هوذا الذين عليهم اللباس الناعم في بيوت الملوك . أم ماذا خرجتم تنظرون أنبيّاً نعم أقول لكم وأفضل من نبي لأن هذا هو الذي كُتب عنه : هاءنذا مرسل ملاكي أمام وجهك يهيء طريقك قدامك . . .

« ثم زاد يسوع على هذا المديح قائلاً بأن يوحنا هو أشرف ثمار الديانة اليهودية لأنه خاتمة أنبيائها وأعظمهم بما أنه شهد للمسيح ودل عليه حاضراً بين الناس وبه أنبأ جميع الأنبياء والناس . . .

« وبعد ذلك ذكر انقسام اليهود بصدد يوحنا إلى فرقتين . . . فبعضهم وهم الشعب والعشارون سمعوا منه واعتمدوا بمعموديته . . . وأما الفريسيون ومعلمو الناموس فرفضوا مشيئة الله فيهم ولم يعتمدوا منه . . . لذلك فالعشارون والخطاة يسبقون الفريسيين إلى ملكوت الله .

« فإن هؤلاء رفضوا يوحنا الذي جاء لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فادّعوا أن به شيطاناً . . . وها هم يرفضون يسوع الذي جاء يأكل ويشرب فقالوا فيه انه إنسان أكول شريب للخمر محب للعشارين والخطاة . . . فقد تبرأت الحكمة منهم وهم يفتخرون بأنهم من بنيها وبأنهم هم الحكماء » ! ! !

* * *

وفي إنجيل لوقا :

« فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلاً أنت هو الآتي أم ننتظر آخر .

« فلما جاء إليه الرجلان قالا يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلاً أنت هو الآتي أم ننتظر آخر .

« وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر لعُميان كثيرين .

« فأجاب يسوع وقال لهما إذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما .

« أن العُمي يُبصرون والعُرْج يمشون والبُرْصَ يُطهرون والصُمّ يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبَشَّرون .

« وطوبى لمن لا يعثُر فيَّ .

« فلما مضى رسولا يوحنا ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا .

« ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا .

« أقصبة تحركها الريح .

« بل ماذا خرجتم لتنظروا أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة .

« هوذا الذين في اللباس الفاخر والتنعم هم في قصور الملوك .

« بل ماذا خرجتم لتنظروا .

« أنبيّاً .

« نعم أقول لكم وأفضل من نبيّ .

« هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أُرسل أمام وجهك ملاكي الذي يُهيء طريقك قدامك .

« لأني أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمَدان .

« ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه .

«وجميع الشعب إذ سمعوا والعشارون برّروا الله معتمدين بعمودية يوحنا.

« وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه » . . . ! ! ! !

ثم ماذا ؟ ! . . . ثم نركز . . . على عموم الشفاء . . . لعموم الأمراض ... العضوية أو غير العضوية . . .

« وفي تلك الساعة . . .

« شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة . . .

« ووهب البصر لعميان كثيرين » ! ! !

« إنّ العُمي يُبصرون . . .

« والعُرْج يمشون . . .

« والبُرْص يُطهّرون . . .

« والصُمّ يسمعون . . .

« والموتى يقومون . . .

« والمساكين يبَشّرون » ! ! !

كل الأمراض . . . مهما كانت . . . ظاهرة أم باطنة . . .

كل العاهات . . . مهما كانت . . .

كان المسيح . . . عليه السلام . . . يشفيها . . . بإذن الله . . .

بل وليس الأمر يقف عند شفاء الأمراض . . .

بل . . . والموتى يقومون . . .

وهذا كله شيء عجيب . . . لم يصنعه نبيّ قط . . .

لأنه لم يؤذن لنبيّ في ذلك . . . وإنما خصّه الله بذلك . . . « **بإذني** » **!!!**

ورُبّ قائل يقول : بل هناك من الأنبياء . . . مَن شفى . . . وصنع مثل ذلك . . .

ونقول : نعم . . . ولكن كانت حالات محدودة . . .

أما أن يكون شفاء جميع الأمراض . . . ظاهرة عامة . . . كما كانت للمسيح . . . فإن ذلك شيء انفرد به المسيح . . . عليه السلام ! ! !



المرأة
التي غسلت رجليه
بالدموع



المسيح ... عليه السلام ...

هاهنا ... تتشعشع أنواره . . إلى ما لا نهاية ! ! !

قصة ... يا لها من قصة ! ! !

انفجرت فيها الدموع ... واختلطت الدموع بالقُبَل ... واختلطت القُبَل بالطّيب ...

وتعرّض فيها المسيح ... للغمز واللمز ... من الجاهلين ...

ثم بقيت القصة ... مثالاً خالداً ... إلى يوم القيامة ...

للحُبّ ... وماذا يصنع ؟ ! !

والتوبة ... وماذا تحدث من انقلاب في النفوس ... مهما كانت خطاياها ! ! !

فما هي تلكم الأقصوصة ؟ ! !

من إنجيل لوقا :

« وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ .

« وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكيء في بيت الفريسي جاءتْ بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبُلّ قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشَعْر رأسها وتقَبّلُ قدميه وتدهنهما بالطيب » ! ! !

مشهد . . . خالد . . . من مشاهد المسيح العُلى ! ! !

ما هذا ؟ ! . . . لقد تحولت المرأة المنحرفة . . . إلى قديسة . . . بل إلى أغرودة روحية . . . تزفزف في السماء ! ! !

كانت قد انقلبت على نفسها . . . وخلصت من رجسها . . . وجاءت ترتمي على قدميه الشريفتين . . . تغسلهما بدموعها . . . وتمسحهما بشعرها . . . وتطيبهما بطيبها العاطر . . .

ما هذا ؟ ! ! . . . هذه روح بشرية . . . جاءت تموج إلى الروح القدسية . . . لتغتسل في أمواجها . . .

أمّا ما كان منها . . . فقد تلاشى بعيداً . . . إنها الآن شيء آخر . . .

شيء . . . يحبّ . . . وأقوى الحب . . . الحُبّ في الله . . .

فيا أيها الذين لم يفهموا المسيح . . . تعالوا . . . وافهموا ! ! !

« فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلّم في نفسه قائلاً لو كان هذا نبيّاً لعلم مَن هذه المرأة التي تلمسه وما هي .

« إنها خاطئة .

« فأجاب يسوع وقال له يا سِمعان عندي شيء أقوله لك .

« فقال قُل يا معلم .

« كان لمُداين مديونان . .

« على الواحد خمسمئة دينار وعلى الآخر خمسون .

« وإذ لم يكن لهما ما يُوفيان سامحهما جميعاً .

« فقُل .

« أيهما يكون أكثر حُبّاً له .

« فأجاب سمعان وقال أظن الذي سامحه بالأكثر .

« فقال له بالصواب حكمْتَ .

« ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أتنظرُ هذه المرأة .

« إني دخلتُ بيتك وماءً لأجل رجْليّ لم تُعطِ .

« وأما هي فقد غسلَتْ رجْليّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها .

« قُبلَةً لم تُقبّلني .

« وأما هي فمنذ دخلتُ لم تَكُفّ عن تقبيل رجْليّ .

« بزيتٍ لم تدهُن رأسي .

« وأما هي فقد دهنَتْ بالطيب رجْليّ .

« من أجل ذلك أقولُ لكَ قد غُفِرَتْ خطاياها الكثيرة لأنها أحبّتْ كثيراً.

« والذي يُغفرُ له قليلٌ يحبّ قليلاً .

« ثم قال لها مغفورةٌ لكِ خطاياكِ .

« فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم مَن هذا الذي يغفِرُ خطايا أيضاً .

« فقال للمرأة إيمانكِ قد خلّصكِ .

« اذهبي بسلامٍ » ! ! !

وخرجت المرأة . . . قديسة . . . صدّيقة . . . مغفورة خطاياها . . .

وصدى كلماته الحلوة . . . يزفزف في أعماقها . . . اذهبي . . . بسلام !

وهذه الأقصوصة المقدسة . . . من حياة المسيح . . . عليه السلام . . .

هناك أقصوصة مقدسة . . . تتوازى معها . . . في حياة رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

فماذا كانت تلك الأقصوصة ؟ ! !

« **عن عمران بن حصين . . .**

« **أن امرأة من جهينة . . .**

« **اعترفت عند النبي صلى الله عليه وسلم بالزنا .**

« **فقالت : إني حبلى .**

« **فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وليّها . . .**

« **فقال : أحسن إليها فإن وضعت حملها فأخبرني .**

« **ففعل .**

« **فأمر بها فشدت عليها ثيابها .**

« **ثم أمر برجمها ، فرجمت .**

« **ثم صلى عليها .**

« **فقال له عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، رجمتها ، ثم تصلي عليها ؟!**

« **فقال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم . . .**

« **وهل وجدت شيئاً أفضل من أن جادت بنفسها لله » ؟**

(أخرجه الترمذي)

تلكم هي الأقصوصة الخالدة . . . في حياة رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

وخرجت المرأة الشهيدة ... من الدنيا ... صدّيقة ...

كما خرجت المرأة ... من عند المسيح ... صدّيقة ...

وشهد المسيح ... للتي غسلت رجليه بدموعها ... أنها صدّيقة ...

« قد غُفرتْ خطاياها الكثيرة لأنها أحبتْ كثيراً » ! ! !

وشهد محمد ... صلى الله عليه وسلم ... للتي اعترفت بين يديه ... أنها صدّيقة ...

« لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ... وهل وجدت شيئاً أفضل من أن جادت بنفسها لله » ! ! !

وقال المسيح ... لها ... **« اذهبي بسلامٍ »** ...

وكأن رسول الله ... صلى الله عليه وسلم ... قال لها ... بلسان الحال ... حين صلّى عليها ... هو وأصحابه ... اذهبي بسلام ! ! !

كأنه قد شهد لها بذلك ... بصلاته عليها ... وشهادته لها ! ! !

تشابه عجيب ... وتطابق غريب ! ! !

وهذا لا يكون أبداً محض صدفة ...

وإنما هو تدبير وترتيب وتقدير ... من العزيز الحكيم ! ! !

إن دلّ على شيء ... إنما يدل ... على أن رسُل الله ... يبلغون جميعاً ... عن إله واحد ! ! !



يأمر الرياح

والماء

فتطيعه



في إنجيل لوقا :

« وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشّر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كنّ قد شُفين من أرواح شريرة وأمراض » ...

* * *

« فلما اجتمع جمع كثير أيضاً من الذين جاءوا إليه من كل مدينة قال بمَثَل . . . »

أي حدثهم بضرب الأمثالِ . . . ليستطيعوا الفهم . . .

* * *

« وفي أحد الأيام دخل سفينة هو وتلاميذه .

« فقال لهم لنعبُرْ إلى عبْرِ البحيرة .

« فأقلعوا .

« وفيما هم سائرون نام .

« فنزل نوْءُ ريح في البحيرة .

« وكانوا يمتلئون ماءً وصاروا في خطر .

« فتقدموا وأيقظوه قائلين يا مُعلم يا معلم .

« إننا نَهلك .

« فقام وانتهر الريحَ وتموُّج الماء فانتهيَا وصار هُدُوٌّ .

« ثم قال لهم أين إيمانُكُم .

« فخافوا وتعجبوا قائلين فيما بينهم من هو هذا .

« فإنه يأمرُ الرياح أيضاً والماء فتُطيعه » ! ! !

هذه معجزة من معجزات المسيح . . . عليه السلام . . .

يأمر الرياح . . .

ويأمر الماء . . .

فتُطيعه ! ! !

ويشفي

المجنون



من إنجيل لوقا :

« وساروا إلى كورة الجدَريّين التي هي مقابل الجليل .

« ولما خرج إلى الأرض استقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل في القبور .

« فلما رأى يسوع صرخ وخرَّ له وقال بصوت عظيم مالي ولك يا يسوع ابن الله العليّ .

« أطلبُ منك أن لا تعذبني .

« لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الإنسان .

« لأنه منذ زمان كثير كان يطفه .

« وقد رُبط بسلاسل وقيود محروساً .

« وكان يقطع الرّبُط ويساق من الشيطان إلى البراري .

« فسأله يسوع قائلاً ما اسمك .

« فقال : لجِئُونَ .

« لأن شياطين كثيرة دخلَتْ فيه .

« وطلب إليه أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية .

« وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى في الجبل .

« فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها .

« فأذن لهم .

« فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت في الخنازير .

« فاندفع القطيع من على الجُرُف إلى البحيرة واختنق .

« فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع .

« فخرجوا ليرَوْا ما جرى .

« وجاءوا إلى يسوع فوجدوا الإنسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلاً جالساً عند قدمي يسوع .

« فخافوا .

« فأخبرهم أيضاً الذين رأوا كيف خلص المجنون .

« فطلب إليه كل جمهور كورة الجَدَرِيّين أن يذهب عنهم .

« لأنه اعتراهم خوف عظيم .

« فدخل السفينة ورجَع .

« أما الرجل الذي خرجت منه الشياطين فطلب إليه أن يكون معه .

« ولكن يسوع صرفه قائلاً ارجع إلى بيتك وحدّث بكم صنع الله بك .

« فمضى وهو ينادي في المدينة كلها بكم صنَع به يسُوع » ! ! !

ما هذا ؟ ! ! . . .

إنه سلطان خارق . . . على الأرواح النجسة . . . أرواح الشياطين . . .

ثم انظر إلى جمال المعجزة . . .

أخرج الشياطين من الرجل . . . فكان رحمة له . . .

وأذن لهم بالدخول في الخنازير . . .

فاندفعت الخنازير إلى البحيرة واختنقت . .

فقضى على الخنازير ونجاستها ! ! !

وكل ذلك . . . يدخل في صفته التي وصف نفسه بها :

«وجَعَلَني . . . مُبَارَكاً . . . أينَ ما كُنتُ . . » ! ! !

هو خير خالص . . . يصدر عنه الخير . . . أين ما كان ! ! !



من

الذي

لمسني ؟



« ولما رجع يسوع قَبِلَه الجميع لأنهم كانوا جميعهم ينتظرونه .

« وإذا رجل اسمه يايرُس قد جاء .

« وكان رئيس المجمع .

« فوقع عند قدمي يسوع وطلب إليه أن يدخل بيته .

« لأنه كان له بنت وحيدة لها نحو اثنتي عشرة سنة وكانت في حال الموت .

« ففيما هو منطلق زحمته الجموع .

« وامرأة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنة وقد أنفقت كل معيشتها للأطباء ولم تقدر أن تُشفى من أحد .

« جاءت من ورائه ولمَسَت هُدْبَ ثوبه .

« ففي الحال وقف نزف دمها .

« فقال يسوع مَن الذي لمسَني .

« وإذ كان الجميع ينكرون قال بطرس والذين معه يا معلم الجموع يضيقون عليك ويزحمونك وتقول مَن الذي لمسَني .

« فقال يسوع قد لمسني واحدٌ لأني علمتُ أن قوةً قد خرجتْ مني .

« فلما رأت المرأة أنها لم تختف جاءت مرتعدة وخرّت له وأخبرته قُدّام جميع الشعب لأي سبب لمسته وكيف برئت في الحال .

« فقال لها ثقي يا ابنةُ .

« إيمانُكِ قد شفاكِ .

« اذهبي بسَلامٍ .

« وبينما هو يتكلم جاء واحدٌ من دار رئيس المجمع قائلاً له قد ماتت ابنتك .

« لا تُتعب المعلم .

« فسمع يسوع وأجابه قائلاً لا تخَفْ .

« آمِن فقط فهي تُشْفى .

« فلما جاء إلى البيت لم يدَعْ أحداً يدخل إلاّ بطرس ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وأمها .

« وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون .

« فقال لا تبكوا .

« لم تمُت لكنها نائمة .

« فضحكوا عليه عارفين أنها ماتَتْ .

« فأخرج الجميع خارجاً وأمسَكَ بيدها ونادى قائلاً يا صبيةُ قومي

« فرجعت روحها وقامت في الحال .

« فأمر أن تُعطى لتأكل .

« فبُهِت والداها .

« فأوصاهما أن لا يقولا لأحد عما كان » ! ! !

معجزتان . . . عجيبتان ! ! !

امرأة تلمس هُدْب ثوبه . . . فتشفى فوراً . . . وينقطع نزفها المستمر فيها اثنتي عشرة سنة ! ! !

وفتاة ماتت . . . وبكى عليها أهلها . . .

يقول لها : قومي . . .

فتقوم في الحال . . .

« وأُحْيِ الموتى بإذنِ اللهِ » ! ! !

بل أضف إليهما . . . معجزة ثالثة :

« وعندما خرج يسوع من عند يائير تبعه أعميان يصيحان ويقولان : ارحمنا يا ابن داود .

« وكان يسوع يتابع السير كمن لا يسمع فلحقا به إلى البيت الذي كان منطلقاً إليه فلما دخل اقتربا منه فسألهما هل تؤمنان انني أقدر أن أفعل ذلك .

« فأجابا : نعم يا رب .

« حينئذ لمس أعينهما بأصابعه قائلاً : كإيمانكما فليكن لكما . فانفتحت أعينهما حالاً .

« ثم طلب منهما يسوع أن لا يعلما أحداً .

« أما هما فلم يتمالكا من إشهار ما جرى لهما أينما توجها » ! ! !

وهذه المعجزة . . . ومثيلاتها . . . تدخل تحت قوله تعالى :

« وأُبْرِىءُ الأكمهَ والأبْرَصَ وأُحْيِ الموتى بإذنِ اللهِ » . . .



الناصرة

ترفض

المسيح



قالوا :

« ترك يسوع كفرناحوم . . . ومضى إلى الناصرة . . . ليكرز هناك أيضاً بملكوت الله .

« ولما كان السبت ذهب إلى المجمع . . . فحدّقت إليه حالاً أنظار مواطنيه إذ قد انقضت سنة مذ خروجه من مدينتهم .

« بعد ذلك دعاه الرئيس ليقرأ قطعة من الكتاب المقدس ويفسرها . . . حسب عادة اليهود في اجتماعاتهم . . . فدفع إليه سفر إشعيا النبي حيث كتب . . . أن روح الرب عليّ ولأجل ذلك مسحني وأرسلني لأبشر المساكين . . . وأشفي منكسري القلوب . . . وأنادي للمأسورين بالتخلية . . . وللعميان بالبصر . . . وأطلق المهشّمين إلى الخلاص . . . واكرز بسنة الرب المقبولة ويوم الجزاء .

« ثم طوى السفر . . . ودفعه إلى الخادم . . . وجلس .

« فجعل يقول لهم : اليوم تمت هذه الكتابة التي تليت على مسامعكم .

« وكان جميعهم يشهدون له . . . متعجبين من كلام النعمة البارز من فيه . . . خصوصاً وكانت قد بلغتهم أخبار المعجزات العديدة التي صنعها .

« لكن استحسانهم هذا وإعجابهم لم يلبثا أن تحولا إلى تريُّب وشك وتحرز . . . فصاروا يقولون : أليس [1] هذا النجار . . . ابن مريم . . .

---

(١) نلاحظ بأنهم وحده يسمونه ابن مريم ... فهو ابنها الوحيد ... اما الباقون فهم من أقربائه .

أخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان .

« على هذه الأسئلة الصادرة من سوء النية . . . يجيب يسوع بمثل يؤكد فيه رسالته الإلهية . . . **ليس نبي . . . بلا كرامة . . . إلاّ في وطنه . . . وبين أقاربه وفي بيته .**

« ثم أتى على ذكر إيليا . . . وإليشع . . . النبيين . . . فإنهما لم يصنعا العجائب لفائدة مواطنيهما لكن لفائدة غرباء . . . ولما حدث جوع عظيم لم يُرسل إيليا إلاّ إلى امرأة أرملة من صيدا . . . وأن إليشع لم يشف من البرص إلاّ نعمان السوري .

« عندئذ امتلأ السامعون غضباً . . . فقاموا وأخرجوا يسوع من المجمع إلى خارج المدينة . . . واقتادوه إلى قمة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه . . . ليطرحوه منها .

« أما هو . . . فجاز في وسطهم . . . ومضى .

« وهكذا هذه المدينة الصغيرة التي يسميها الإنجيل وطن يسوع . . . حيث نما وترعرع . . . وحيث بقيت العذراء بعد ذهابه إلى رسالته . . . والتي له فيها أقارب ومعارف عديدون . . . نراها تخذله . . . وتبعده عنها دون رجوع .

« فانطلق يسوع . . . من الناصرة . . . وأخذ يتجول من جديد . . . في الجليل . . . يعلم في مدنها وقراها . . . وكفرناحوم مركزه . . . ومنها سوف يبعث رسله للتبشير بملكوت الله » ! ! !

* * *

قلت : هو قانون طبيعي . . . وسُنّة من سُنن الله . . .

أن وطن النبي ... وأهله ... يرفضونه في البداية ...

لأنهم ينظرون إليه على أنه ... فلان ابن فلان ... الذي صفته كيت وكيت ...

أي يحقرونه ... لأنه لا يعدو كونه الطفل التافه ... ابن فلان الذي لا وزن له عندهم ! ! !

إنهم ينظرون إلى الجثة ... ومقاييس الجثث ... أما الصفات العليا ... كالنبوة ... والرسالة ... فإنهم لا يرونها ! ! !

وإنك لتضحك ... وتستطيع أن تُغرق في الضحك ... من غباء هؤلاء ! ! !

فالمسيح ... عند ... أهل الناصرة ... مجرد ... « ابن مريم » ... الطفل ابن مريم ! ! !

« أليس هذا ... النجار ... ابن مريم » ؟ ! !

والرسول ... صلى الله عليه وسلم ... في نظر أهل مكة ... مجرد ... يتيم أبي طالب ! ! !

وهكذا ... الموضوع عندهم ... مجرد جُثث ! ! !

وليس الأنبياء وحدهم ... يعانون من غباء بني وطنهم ...

بل وكل صاحب فكرة جديدة ... تسبق عصرها ...

وقصص اضطهاد المجددين ... من الفلاسفة ... والعلماء ... والفنانين ... من بني وطنهم أشهر من أن تذكر ...

وقد كان القرآن معجزاً ... حين صوّر هذا الأمر فقال :

« ما هذا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُم ...

« يأكُلُ ممّا تأكُلونَ منهُ . . .

« ويشرَبُ ممّا تشربونَ » ! ! !

هذا هو الأمر عندهم . . . إنه بشَر . . . يأكل مما يأكلون . . . ويشرب مما يشربون . . .

وبقية منطقهم الغبيّ . . . ويبول كما تبولون . . . ويتغوّط كما تتغوّطون ! ! !

المسألة عندهم مسألة جُثث ! ! !

وهذا دليل على منتهى الغباء ! ! !

المسيح

يدرب

التلاميذ



كما كان أصحاب ...

رسول الله ... صلى الله عليه وسلم ...

يحفون من حوله ... وينهلون من سلسبيله ...

ليحملوا الأمر من بعده ! ! !

« محمّدٌ رسولُ اللهِ ...

« والذين معهُ ...

« أشِدّاءُ على الكفارِ ...

« رُحَماءُ بينهم ...

« تراهُمْ رُكّعاً سُجّداً ...

« يبتغونَ فضْلاً مِن اللهِ ورضواناً ...

« سيماهُمْ في وجوهِهِم مِن أثرِ السجُودِ ...

« ذلك مَثَلهم في التوراةِ ...

« ومثَلُهُم في الإنجيلِ كزَرْعٍ أخرَجَ شطْئَهُ فآزرَهُ ...

« فاستغْلَظَ فاستوى على سُوقهِ ...

« يُعْجِبُ الزّراعَ ليغيظَ بهِمُ الكُفّارَ ...

« وعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجْراً عظيماً » !

أجمل . . . وأشمل . . . وأكمل . . . وصف . . . لأصحاب رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

وصفهم سبحانه أولاً . . .

ثم جاء بوصفهم في التوراة . . .

ثم جاء بوصفهم في الإنجيل ! ! !

ولقد كان أصحابه . . . صلى الله عليه وسلم . . . رجالاً . . . ليس كمثلهم رجال . . .

الرجل منهم . . . أمّة وحده ! ! !

وها نحن أمام . . . صفوة أصحاب عيسى . . . عليه السلام . . .

أو . . . قادة أصحابه . . . الحواريين . . .

وهم . . . عند أهل الكتاب . . . يسمون بالرسُل . . . أي رسُل المسيح . . . إلى الامم . . .

إلاّ أن أصحاب عيسى . . . لم يكونوا كأصحاب محمد . . . رهبان بالليل فرسان بالنهار . . .

وإنما كانوا . . . دعاة فكر جديد . . . وروح جديدة . . . أما العسكرية والنضال . . . فلا شأن لهم بها . . .

وهذا طبيعي . . . أن يكون أصحاب كل نبي . . . على نهج نبيهم ! ! !

قالوا :

« جهد يسوع في تهذيب الاثني عشر . . . ليعدهم للعمل الرسولي . . . ويعطيهم أفكاره وروحه . . . فقد علم وكرز بحضورهم . . . وأمامهم صنع

المعجزات العديدة . . . مصطحباً إياهم حيثما ذهب . . . وهاهو الآن يرسلهم في الجليل . . . ليتمرنوا على أعمال رسالتهم المقبلة .

« لما اختارهم اثني عشر . . . مميزاً إياهم عن بقية التلاميذ . . . سماهم رسُلاً . . . واليوم يحقق فيهم اسمهم إذ يرسلهم للكرازة .

« أرسلهم اثنين اثنين للتعاضد . . حتى يستند كل واحد إلى صاحبه في العمل المشترك . . . في مهمة هي جديدة في حياتهم » ! ! !

قلت : مسألة . . . اثنين اثنين . . . هذه . . . من دلائل نبوة عيسى . . . عليه السلام . . .

فإنها تشبه تمام التشابه . . . نظام التآخي . . . الذي صنعه رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . حين هبط المدينة . . . فآخى بين المسلمين . . . اثنين اثنين ! ! !

نفس الأسلوب . . . ونفس التنظيم ! ! !

ولا عجب . . . فعيسى نبي الله . . . ومحمد نبي الله ! ! !

وسبحان الله ! ! !

« وحدد مدى عملهم . . . إذ أمرهم أن لا يتجهوا إلى طريق الأمم . . . ولا يدخلوا مدن السامريين . . . بل أن ينطلقوا إلى الخرفان الضالة من آل إسرائيل . . . وقال لهم : وإذا ذهبتم فاكرزوا قائلين قد اقترب ملكوت السموات .

« اشفوا المرضى . . . أقيموا الموتى . . . طهروا البرص . . . أخرجوا الشياطين . . .

« مجاناً أخذتم . . . فمجاناً أعطوا ؟ ! ! !

مبدأ جميل . . . جليل . . .

هو الخُلُق الأسمى ... من جميع الدعوات الإلهية ! ! !

وما فسدت الديانات السماوية ... بين أهلها ...

إلاّ يوم حاد الدعاة عن هذا المبدأ ... وأخذوا الأجور المادية ... على أعمالهم ... فتحولت الدعوة إلى الله ... إلى حرفـــة ... ففسد الأمر كله ! ! !

وهل ضاد الفريسيون والكتبة ... المسيح ... إلاّ من هنا ؟ ! !

هوَ ... **مجاناً أخذتم ... فمجاناً أعطوا ...**

هُم ... طيلسان ... وكهّان ... واحتيال على الجماهير ... ليأكلوا أموالهم بالأباطيل ! ! !

فأنّى يلتقيان ؟ ! ! ...

بل هما ... ضِدّان ! ! !

ومن هنا ... كانت العقدة ... حتى وصل الأمر بهم ... أن لفّقوا له التُهم ... وتنادوا بصلبه ! ! !

الدين ... روح ...

والروح ... لا تباع ولا تشترى ...

فإن جعلوها ... مادة ... تباع وتشترى ...

فإنما هم أهل دنيا ... وليسوا من الدين في شيء ! ! !

وكان المسيح ... رُوحاً ...

وأراد أن يجعل تلاميذه ... رُوحاً ... على صفات الروح ...

فكان المبدأ الخالد ... « **مجاناً أخذتم ... فمجاناً أعطوا** » **! ! !**

وهذا دليل عظيم . . . من دلائل نبوة المسيح . . . عليه السلام . . .
لأن الأنبياء جميعاً . . . كانوا على هذا المبدأ . . .

«أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً . . .

«فَهُم مِن مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ» ؟ ! !

محرم على الأنبياء . . . جميعاً أن يأخذوا أجراً . . .

لأنهم يبثون . . . الروح . . .

والروح . . . لا تباع ولا تشترى ! ! !

وإنما الشرف . . . كل الشرف . . . أنهم يعملون لله ! ! !



راقصة

تطلب رأس

يحيى



دمه . . . المقدّس . . .

ترشش . . . على جدران السجن . . . استجابة . . . لعبث راقصة ! ! !

يحيى ؟ ! ! !

« وسلامٌ عليهِ يومَ وُلِدَ . . .

« ويومَ يموتُ . . . » ! ! !

فكيف كانت القصة باختصار ؟ ! !

قالوا :

« وسمع هيرودس . . . بخبر يسوع . . . لأن اسمه كان قد اشتهر . . . وكان إذ ذاك مقيماً في ماكيرونت وهي له قصر وقلعة معاً . . . حيث كان قد وضع يوحنا في السجن . . . من أجل هيروديا . . . امرأة أخيه فيلبس . . . لأنه كان قد تزوجها . . .

« فكان يوحنا يقول له . . . انه لا يحل له أن تكون له امرأة . . . طالما زوجها في الحياة .

« فكانت هيروديا . . . تترصده تريد قتله .

« أما هيرودس فكان رجلاً متردداً . . . خليعاً قاسياً حذراً . . . وكان يخاف من يوحنا . . . لعلمه بأنه رجل بار وقديس . . . لذلك كان يستشيره ويسمع له في أمور كثيرة .

« فحدث أن صنع هيرودس ... في ذكرى مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف وأعيان الجليل ...

« فدخلت ابنة هيروديا ... ورقصت فأعجبت هيرودس ... والمتكئين معه ...

« فقال لها : سليني ما أردت ... فأعطيك ... وحلف لها أن مهما سألتِ مني أعطيكِ ولو نصف مملكتي .

« فخرجت الصبية ... وقالت لأمها : ماذا أسأله ؟

« قالت : اسأليه ... رأس يوحنا المعمدان .

« فدخلت للوقت ... على هيرودس مسرعة .

« وقالت له : أريد أن تعطيني على الفور ... رأس يوحنا المعمدان ... في طبق .

« فحزن هيرودس لهذا الطلب حزناً شديداً ... ولكنه من أجل اليمين ... وحياء من المتكئين معه ... لم يرد أن يرفض عليها ما طلبت ...

« وحالاً أرسل سيافاً إلى السجن ...

« فأتى برأس يوحنا ... ودفعه إلى الصبية ...

« وهذه دفعته إلى أمها .

« ولما سمع تلاميذه ... جاؤوا وأخذوا جثته ... ووضعوها في قبر » !

هذه هي الأقصوصة الخالدة ...

التي تتناقلها الأجيال ... ويلقنها الآباء للأبناء ...

وذهب ... يحيى ... عليه السلام ... إلى ربه ...

وقد أتمّ تبشيره بالمسيح ... وتصديقه به ...

«مُصَدِّقاً بكلمة من الله ...

«وسيِّداً ...

« وحصوراً ...

« ونبيّاً من الصالحين » !!!

« وسلامٌ عليهِ ... يومَ وُلِدَ ... ويومَ يموتُ ... ويومَ يُبعَثُ حيّاً » !!!



خمسة آلاف

يأكلون من

خمسة أرغفة



هذه المعجزة . . .

لا ينفرد بها المسيح . . . عليه السلام . . . من دون النبيين . . . عليهم السلام . . .

فقد تكررت كثيراً . . . في حياة النبيين . . .

وهي مسألة . . . البركة في الطعام . . . بحيث يكفي القليل منه . . . العدد الوفير . . . من الناس ! ! !

فكيف كانت تلك المعجزة ؟ ! !

« ولما رجع الرسُل أخبروه بجميع ما فعلوا .

« فأخذهم وانصرف منفرداً إلى موضع خلاء لمدينة تسمى بيت صيدا .

« فالجموع إذ علموا تبعوه .

« فقبلهم وكلمهم عن ملكوت الله .

« والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم .

« فابتدأ النهار يميل .

« فتقدّم الاثنا عشر وقالوا له اصرف الجمع ليذهبوا إلى القرى والضياع حوالينا فيبيتوا ويجدوا طعاماً لأننا ههنا في موضع خلاء .

« فقال لهم أعطوهم أنتم ليأكلوا .

« فقالوا ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين إلاّ أن نذهب

ونبتاع طعاماً لهذا الشعب كله .

« لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف رجل .

« فقال لتلاميذه أتكئوهم فِرَقاً خمسين خمسين .

« ففعلوا هكذا وأتكأوا الجميع .

« فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وباركهن ثم كسرَ وأعطى التلاميذ ليُقدّموا للجمْع .

« فأكلوا وشبعوا جميعاً .

« ثم رفع ما فضل عنهم من الكِسَر اثنتا عشرة قفة .

« وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه .

« فسألهم قائلاً مَن تقولُ الجموع أني أنا ؟

« فأجابوا وقالوا يوحنا المعمدان .

« وآخرون إيليّا .

« وآخرون إن نبيّاً من القدماء قام .

« فقال لهم وأنتم من تقولون أني أنا ؟

« فأجاب بطرس وقال مسيحُ الله .

« فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد قائلاً إنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم كثيراً ويُرفضُ من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتلُ وفي اليوم الثالث يقوم » ! ! !

والذي نُركز عليه . . . هو موضوع إطعام نحو خمسة آلاف رجل . . . سوى النساء والصبيان . . .

من خمسة أرغفة ... وسمكتين ...

ثم يبقى بعد إطعامهم جميعاً ... اثنتا عشرة قُفّة ! ! !

وهي معجزة من معجزاته ... عليه السلام ...

وإن كان لا ينفرد بها ... عن غيره من الأنبياء ! ! !



يمشي

على

الماء



وهذه معجزة أخرى ...

من معجزات المسيح ... عليه السلام ...

وإن كانت تقع ... من بعض الأولياء ... الذين ليسوا بأنبياء ...

ودليل ذلك ... أن المسيح نفسه ... دعا بطرس ... أن يلحق به ماشياً على الماء ... ونجح بطرس فيما دعاه إليه ... لولا خوفه بعد ذلك ... فكاد يغرق ! ! !

فكيف كان ذلك ؟ ! !

قالوا :

« كان المساء ... لما نزل التلاميذ إلى البحر ... وأبطأ يسوع بالالتحاق بهم ... وكان البحر هائجاً ... تهب عليه ريح شديدة ...

« وعند الهجعة الرابعة من الليل ... أي ثلاث ساعات بعد نصف الليل ... لم يكونوا قد تقدموا إلاّ نحو خمس وعشرين غلوة أو ثلاثين ... وهي عبارة عن خمسة آلاف متر تقريباً ... وكان قد أعياهم الجذف ... لكنهم ثابروا عليه ... رغماً عن الزوبعة ... وذهاب أتعابهم سدى ...

« لذلك أراد يسوع أن يبارك ثباتهم هذا بأعجوبة ...

« فيما هم يجذفون ... رأوه ماشياً على البحر ... وقد اقترب من سفينتهم ...

« ففزعوا ... وظنوه خيالاً ...

« ومن فزعهم صرخوا . . . فتقرب منهم حتى يروه ويعرفوه . . .

« لكنه لم يقف عندهم . . . بل أظهر نفسه . . . كأنه يريد أن يتقدمهم . . . وقال لهم : **ثقوا . . . أنا هو . . . لا تخافوا . . .**

« لكن سمعان بطرس لم يقدر أن يتمالك عن الالتحاق به فقال له : يا رب . . . إن كنت أنت هو . . . فمرني أن آتي إليك على المياه .

« فأجابه : هلم .

« فنزل بطرس من السفينة . . . وأخذ يمشي على المياه . . . نحو يسوع لكنه لما أحس بشدة الريح خاف . . . وبدأ يغرق . . . فصاح إلى يسوع أن ينجيه . . .

« وللوقت مد يسوع يده . . . وأخذه وقال له : يا قليل الإيمان . . . لماذا شككت ؟

« فركبا السفينة معاً . . . وحالاً سكنت الريح . . . وللوقت وصلت السفينة إلى الأرض . . . التي كانوا منطلقين إليها .

« ومن هنالك انتقل يسوع إلى كفرناحوم . . . حيث قضى ما تبقى من الليل . . .

تلك هي الواقعة . . . وهي معجزة جميلة . . .

عيسى . . . عليه السلام . . . يمشي على مياه البحيرة . . . أكثر من خمسة آلاف متر . . . في ظلمة الليل . . . في السّحَر . . .

ثم هاهو ينادي . . . بطرس . . . هلُم . . .

وينجح بطرس . . . ويمشي على الماء . . .

إلاّ أنه . . . عندما خاف . . . كاد يغرق ! ! !

إلا أن ما كان من بطرس . . . وهو حواريّ جليل . . . ووليّ كبير ...

يبقى إشارة إلى أن هذا يمكن أن يكون . . . لمن أذن الله له من أوليائه المقربين ! ! !

وقد أعطى الله هذه الكرامة . . . وهي المشي على الماء . . . في هذه الأمة المحمدية . . .

أعطاها لآلاف . . . وليس لواحد . . . أعطاهموها مرة واحدة . . . وفي مشهد واحد . . .

فكيف كان ذلك ؟ ! !

جيش يسير على الماء ؟ !

« ورأى سعد بن أبي وقاص تحكم أصحابه في ثغور المدائن .

« فأمر فرسانه فاندفعوا جميعاً . . . ألوفاً مؤلفة إلى لجة النهر . . . من حيث اقتحمه عاصم .

« وامتلأ النهر بالخيل . . . فلم يكن ماؤه في هذه الساعة ليُرى .

« وأمر عاصم أصحاب الزوارق والسفن من الفرس فدفعوها إلى الجانب الذي فيه المسلمون ، فنقلت من جيش المسلمين من لم يعبر على جواده .

« فلما عبر سعد بالجيش كان أهل المدائن جميعاً قد فرّوا ! ! !

« يقول ابن كثير : « وكان يوماً عظيماً ، وأمراً هائلاً ، وخطباً جليلاً ، وخارقاً . وباهراً . . . ومعجزة لرسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . خلقها الله لأصحابه . . . لم يرَ مثلها في تلك البلاد . . . ولا في بقعة من البقاع ».

« أين الأمبراطورية الفارسية ؟

« فرّت أمام هؤلاء . . . الذين جاءوا إليها ، ليزيلوها فزالت !

« وكان الذي يساير سعد بن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي .

« فجعل سعد يقول « حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه. وليظهرن الله دينه . وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات » .

« فقال له سلمان : « ذلّلت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر . أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً » .

« فخرجوا منه كما قال سلمان ، لم يغرق أحد ولم يفقدوا شيئاً » ! ! !

تلك هي الأقصوصة . . . أو تلك هي الكرامة التي وقعت لألوف مرة واحدة . . . من أصحاب رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . ومن معهم ! ! !

وإنما أوردناها . . . لمجرد الاستئناس . . . لا للفخر . . . أو عقد مقارنات بين أصحاب عيسى . . . وأصحاب محمد . . .

كلا . . . وإنما لنعلم أن المعجزة لأي نبي حقّ . . . كما أن الكرامة لأي وليّ حق . . .

والقُدرة . . . حقّ . . .

وأنّ الله على كل شيء قدير ! ! !

معجزة

التجلي



ندخل الآن . . .

إلى معجزة خطيرة . . . من معجزات المسيح . . . عليه السلام . . .

معجزة قد تكون مفتاحاً خطيراً لشخصية المسيح . . . التي حار فيها الكثير ! ! !

من إنجيل لوقا :

« وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويُوحنا ويعقوب وصعد إلى جبل ليصلي .

« وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مُبيَضّاً لامعاً .

« وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليّا .

« اللذان ظهرا بمجدٍ وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم .

« وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقّلوا بالنوم .

« فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه .

« وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع يا معلم جيدٌ أن نكون ههنا .

« فلنصنع ثلاث مظال .

« لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة .

« وهو لا يعلم ما يقول .

« وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظلّلتهم .

« فخافوا عندما دخلوا في السحابة .

« وصار صوتٌ من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب .

« له اسمعوا .

« ولما كان الصوت وُجدَ يسوع وحده .

« وأما هم فسكتوا ولم يخبروا أحداً في تلك الأيام بشيء مما أبصروه .

« وفي اليوم التالي إذ نزلوا من الجبل استقبله جمع كثير . . . » ! ! !

* * *

وفي مراجع أهل الكتاب :

« أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا . . . وصعد معهم إلى جبـــل ليصلي . . . وبينما هو يصلي . . . **تغير منظر وجهه . . . وأضاء كالشمس... وصار لباسه أبيض بارقاً كالثلج . . . وتراءى لهم موسى وإيليا في مجد . . . وكانا يخاطبانه ويتكلمان عن خروجه الذي كان مزمعاً أن يتممه في أورشليم .**

« وكان بطرس واللذان معه قد أخذهم ثقل النوم . . . فلما أفاقوا رأوا مجده والرجلين اللذين معه . . . فاعتراهم تأثر عظيم لعظم حبهم ليسوع . . . خصوصاً بعد النبأ الهائل عن آلامه الآتية . . . الذي كان قد مزق قلوبهم . . .

« وكان بطرس يريد أن يتكلم . . . وهو لا يدري ما يقوله لشدة الرعب.. فلما رأى موسى وإيليا منصرفين عن يسوع قال له : يا معلم حسن لنا أن نكون ههنا . . . فلنصنع ثلاث مظال . . . واحدة لك . . . وواحدة لموسى وواحدة لإيليا . . .

« وفيما بطرس يتكلم ظللهم سحابة . . . فخافوا عند دخولهم فيها .

« وكان صوت منها يقول : هذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا .

« فسقطوا على أوجههم مضطربين. . . فدنا يسوع منهم . . . ولمسهم . . . وأقامهم . . . فنظروا حواليهم . . . ولم يروا أحداً إلاّ يسوع وحده .

« وأوصاهم يسوع وهم نازلون من الجبل ألاّ يخبروا أحداً بما رأوا إلاّ متى قام ابن البشر من بين الأموات .

« فصاروا يتساءلون بينهم . . . ما معنى أن يقوم ابن البشر من بين الأموات . . .

« قضى يسوع ليلته على الجبل مع بطرس ويعقوب ويوحنا . . . وفي صباح الغد فيما هم نازلون . . . استقبل يسوع جمع كثير . . . » ! ! !

* * *

هذه هي المعجزة الخطيرة . . .

معجزة . . . التجلّي . . .

أو معجزة . . . تغير شكل المسيح . . . إلى صورة نورانية . . . غير بشرية . . .

أمّا لوقا . . . فيصفها « صارت هيئة وجهه متغيرة . . . ولباسه مبيضّاً لامعاً » ! ! !

وأمّا المرجع الذي نقلنا عنه فيصفه . . . « وبينما هو يصلي . . . تغير منظر وجهه . . . وأضاء كالشمس . . . وصار لباسه أبيض . . . بارقاً كالثلج » ! ! !

فما هذا الذي حدث ؟ ! !

كونه معجزة . . . هذا شيء بديهي . . .

ولكن المهم هو الظاهرة نفسها . . .

إن الصفة الروحية . . . للمسيح هنا . . . ظهرت للعيان . . . وغلبت على الجسد المادي . . . وتلألأت لأعينهم . . .

فلما صار السلطان للصفة الروحية . . . كان ما كان . . .

« تغير منظر وجهه . . . وأضاء كالشمس . . . وصار لباسه أبيض . . . بلرقاً كالثلج » ؟ ! ! !

الوجه . . . أضاء كالشمس ! ! !

الملابس . . . تبرق كالثلج ! ! !

الروح العيسوية هنا . . . غلبت الجسد المادي . . .

فطُوي الجسد . . . وظهرت الروح . . .

إنها حقيقة المسيح . . . ظهرت لتلاميذه . . . ليفهموا حقيقته . . .

وأنه . . . **« رُوحٌ . . . منّهُ » ! ! !**

وهذه الظاهرة . . . هي ما سوف يكون عليه كل إنسان . . . بعد موته مباشرة . . . وتركه لجسده الترابي . . .

يتحول إلى كائن نوراني . . . ويأوي إلى برزخه . . . حتى تقوم الساعة . . .

ومن هنا . . . نزل إليه . . . موسى . . . وإيليا . . . من برازخهم . . . وكانا يخاطبانه ويتكلمان معه . . .

لأنه صار . . . في مثل القانون الذي يحيون فيه ! ! !

ظاهرة خطيرة جداً . . .

تكشف لنا عملياً . . . كيف الحياة بعد الموت . . . في البرزخ . . . وهو ما نسميه بالقبر ! ! !

وتكشف لنا كثيراً . . . من عجائب الروح . . . وماذا تصنع الروح . . . حين يكون لها السلطان على الجسد ! ! !

أما مسألة « **وصار صوتٌ من السحابة . . . قائلاً . . . هذا هو ابني الحبيب . له اسمعوا » ! ! !**

فإني أسجل هنا . . . ما جاء في القرآن العظيم . . . حيث قال :

« **وإذْ أوْحَيْتُ إلى الحواريّين . . .**

« **أنْ آمِنُوا بي وبرَسُولي . . .**

« **قالوا آمَنّا واشهَدْ بأنّنا مُسلِمُونَ » ! ! !**

فلو كانت هذه الآية . . . تشير ضِمناً . . . إلى مثل هذا المشهد . . . مشهد « صوت من السحابة قائلاً . . . » . . .

فإن الصوت . . . هو المراد بالوحي إلى الحواريين . . . وهم الثلاثة . . . بطرس ويعقوب ويوحنا . . .

وأن الذي قاله الصوت . . . هو« **آمِنُوا. . .بي. . . وبرَسُولي. . . »!!!**

وليس « **هذا هو ابني الحبيب . . . له اسمعوا » ! ! !**

وهذا إذا كانت الآية القرآنية تتضمن الإشارة إلى ذلك المشهد . . .

وما جاء في القرآن . . . فهو الحقّ . . . الذي لا يأتيه الباطل . . . من بين يديه ولا من خلفه ! ! !



لماذا

تطلبون

أن تقتلوني ؟



من إنجيل يوحنا :

« وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل .

« لأنه لم يُرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه .

« وكان عيد اليهود عيد المظال قريباً . . .

* * *

« ولما كان إخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو أيضاً إلى العيد لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء .

« فكان اليهود يطلبونه في العيد ويقولون أين ذاك .

« وكان في الجموع مناجاة كثيرة من نحوه .

« بعضهم يقولون إنه صالح .

« وآخرون يقولون لا بل يضل الشعب . . .

* * *

« ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلّم .

« فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكُتب وهو لم يتعلم .

« أجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني .

« إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي .

« من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه .

« وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظُلم .

« أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس .

« لماذا تطلبون أن تقتلوني .

« أجاب الجمع وقالوا بك شيطان .

« مَن يطلب أن يقتلك .

« أجاب يسوع وقال لهم عملاً واحداً عملت فتتعجبون جميعاً .

« لهذا أعطاكم موسى الختان .

« ليس أنه من موسى بل من الآباء .

« ففي السبت تختنون الإنسان .

« فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا يُنقض ناموس موسى أفتسخطون عليّ لأني شفيت إنساناً كله في السبت .

« لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حُكماً عادلاً .

« فقال قوم من أهل أورشليم أليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه .

« وها هو يتكلم جهاراً ولا يقولون له شيئاً .

« ألعَل الرؤساء عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً .

« ولكن هذا نعلم من أين هو .

« وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو .

« فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آتِ بل الذي أرسلني هو حقٌ الذي أنتم لستم تعرفونه .

« أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني .

« فطلبوا أن يمسكوه .

« ولم يُلق أحد يداً عليه لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد .

« فآمن به كثيرون من الجمع وقالوا ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا .

* * *

« سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خدّاماً ليمسكوه .

« فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعدُ ثم أمضي إلى الذي أرسلني .

« ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا .

« فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن .

« ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويُعلم اليونانيين .

« ما هذا القول الذي قال ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا .

* * *

« وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليُقبل إليّ ويشرَبْ .

« من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماءٍ حَيٍّ .

« قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه .

« لأن الروح القُدُس لم يكن قد أعطي بعد .

« لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد .

« فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي .

« آخرون قالوا هذا هو المسيح .

« وآخرون قالوا ألعل المسيح من الجليل يأتي .

« ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح .

« فحدث انشقاق في الجمع لسببه .

« وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه ولكن لم يُلْقِ أحد عليه الأيادي » !

* * *

زلزلة . . . زلزلت رجال الكهنوت . . .

وانشقاق خطير بينهم . . .

إنهم لا يفهمون شيئاً ! ! !

« ستطلبونني ولا تجدونني . . .

« وحيث أكون أنا . . . لا تقدرون أنتم أن تأتوا . . . » ! ! !

أفق . . . بعيد . . .

أنّى . . . لغلاظ الأعناق أن يفهموه ! ! !

من كان منكم

بلا خطيئة

فليرمها بحجر



هذه هي الأقصوصة الخالدة . . .

التي شاعت . . . وذاعت . . . عن المسيح . . . عليه السلام . . .

وتناقلتها الأجيال . . . وترنمت بها الألسن . . .

وابتهجت بها القلوب . . .

واستبشرت بها أفئدة الخاطئين والخاطئات . . .

وتفنن العالم في إخراجها . . . على شاشات السينما . . . والتليفزيون .

وهي بحق . . . من أجمل وأحلى . . . أقاصيص حياة المسيح ! ! !

* * *

من إنجيل يوحنا :

« ثم حضر أيضاً إلى الهيكل في الصبح وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم .

« وقدّم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا .

« ولما أقاموها في الوسط .

« قالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذاتِ الفعل .

« وموسى في الناموس أوصانا أنّ مثل هذه تُرجم .

« فماذا تقولُ أنت .

« قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه .

« وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض .

« ولما استمروا يسألونه انتصَب وقال لهم مَن كان منكم بلا خطيّةٍ فليَرْمِها أولاً بحَجَر .

« ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتُبُ على الأرض .

« وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تُبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين .

« وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط .

« فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليكِ .

« أما دانَك أحَدٌ .

« فقالت لا أحَدَ يا سيدُ .

« فقال لها يسوعُ ولا أنا أدينُكِ .

« اذهبي ولا تخطئي أيضاً » .

* * *

« ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً أنا هو نورُ العالم .

« مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة » . !؟!

* * *

هذه هي الأقصوصة الخالدة . . .

وإنها لمعلومة . . . ومشهورة . . .

وإن للناس فيها لأحاسيس تتموج بالجمال . . . كما يتموج البحر بأمواج لا تتناهى ! ! !



وأبرىء

الأكمه

بإذن الله



الأكْمَه ...

هو الذي وُلد أعمى ...

لا سبيل إلى إعادة بصره إليه ...

ولكن المسيح ... أبرأ الأكمه ... وكانت معجزة ... فكيف كانت ؟!

في إنجيل يوحنّا :

« وفيما هو مجتازٌ رأى إنساناً أعمى منذ ولادته .

« فسأله تلاميذه قائلين يا معلم مَن أخطأ هذا أم أبواهُ حتى وُلِد أعمى .

« أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواهُ لكن لتظهَرَ أعمالُ اللهِ فيهِ .

« ينبغي أن أعمل أعمالَ الذي أرسلني ما دام نهارٌ .

« يأتي ليل حين لا يستطيع أحدٌ أن يعمل .

« ما دُمتُ في العالم فأنا نور العالم .

« قال هذا وتَفَل على الأرض وصنع من التفْل طيناً وطلى بالطين عينَيْ الأعمى .

« وقال له اذهب اغتَسل في بركة سِلُوَامَ .

« الذي تفسيره مُرْسَلٌ .

« فمضى واغتَسَل وأتى بصيراً .

« فالجيران والذين كانوا يرونه قبْلا أنه كان أعمى قالوا أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي .

« آخرون قالوا هذا هو .

« وآخرون إنه يشبهه .

« وأما هو فقال إني أنا هو .

« فقالوا له كيف انفتحت عيناك .

« أجاب ذاك وقال .

« إنسان يقال له يسوع صنَع طيناً وطَلى عينيَّ وقال لي اذهب إلى بركة سِلوام واغتسل .

« فمضيتُ واغتسلتُ فأبصرتُ .

« فقالوا له أين ذاكَ .

« قال لا أعلم .

« فأتوا إلى الفريسيين بالذي كان قبْلاً أعمى .

« وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه .

« فسأله الفريسيون أيضاً كيف أبصرَ .

« فقال لهم وضع طيناً على عينيَّ واغتسلتُ فأنا أبصر .

« فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت .

« آخرون قالوا كيف يقدر إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات .

« وكان بينهم انشقاق .

« قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك .

« فقال إنه نبيّ .

« فلم يصدق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر حتى دعوْا أبوي الذي أبصر.

« فسألوهما قائلين أهذا ابنكما الذي تقولان إنه وُلد أعمى .

« فكيف يبصر الآن .

« أجابهم أبواه وقالا نعلم أن هذا ابننا وأنه وُلد أعمى .

« وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم .

« أو مَنْ فتح عينيه فلا نعلم .

« هو كامل السن .

« اسألوه فهو يتكلم عن نفسه .

« قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود .

« لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يُخرَج من المجمع .

« لذلك قال أبواه إنه كامل السن اسألوه .

« فدعوا ثانية الإنسان الذي كان أعمى وقالوا له أعطِ مجْداً لله .

« نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطىء .

« فأجاب ذاكَ وقال أخاطىء هو .

« لستُ أعلم .

« إنما أعلم شيئاً واحداً .

« أني كنتُ أعمى والآن أبصرُ .

« فقالوا له أيضاً ماذا صنعَ بكَ .

« كيف فتح عينيك .

« أجابهم قد قلت لكم ولم تسمعوا .

« لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً .

« ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ .

« فشتموه وقالوا أنت تلميذ ذاكَ .

« وأما نحن فإننا تلاميذ موسى .

« نحن نعلم أن موسى كلمة الله .

« وأما هذا فما نعلمُ مِن أين هوَ .

« أجاب الرجل وقال لهم إنّ في هذا عجباً إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتَحَ عينيَّ .

« ونعلم أن الله لا يسمعُ للخطاة .

« ولكن إن كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع .

« منذ الدهر لم يُسمع أن أحداً فتح عينيْ مولودٍ أعمى .

« لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً .

« أجابوا وقالوا له في الخطايا وُلِدْتَ أنت بجملتك وأنت تعلمنا .

« فأخرجوه خارجاً .

« فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجاً فوجده وقال له أتؤمن بابنِ الله .

« أجاب ذاكَ وقال مَن هو يا سيدُ لأومن به .

« فقال له يسوع قد رأيته والذي يتكلم معك هوَ هوَ .

« فقال أومنُ يا سيد .

« وسجد له .

« فقال يسوع لدينونةٍ أتيتُ أنا إلى هذا العالم حتّى يُبصر الذين لا يُبصرون ويَعْمَى الذين يبصرون .

« فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له ألعلنا نحن أيضاً عُميان .

« قالَ لهم يسوع لو كُنتم عُمياناً لما كانت لكم خطيّة .

« ولكن الآن تقولون إننا نُبصر فخطيّتكم باقيةٌ » ! ! !

* * *

هذه هي المعجزة العجيبة . . . التي حدثت من المسيح . . . عليه السلام . . .

ردّ البصَر . . . إلى أكمه . . . إلى إنسان وُلد أعمى . . .

ممسوح العينين . . . فاقد لآلتي البصَر أصلاً . . .

وشهد له هذا الإنسان الذي كان موضع المعجزة . . .

حين سألوه : ماذا تقول أنت عنه . . . من حيث إنه فتَحَ عينيك ؟ !

« فقال . . . إنه . . . نبيّ » ! ! !

فنطق الرجل . . . قول الحق . . . في عيسى ابن مريم . . . الذي فيه يختلفون ! ! !



تعيين

التلاميذ

السبعين



قالوا :

« لما انتهى عيد المظال . . . ذهب يسوع من جديد إلى عبر الأردن . . .

« اتخذ إذن يسوع بقعة ما وراء الأردن . . . من بعد عيد المظال . . . إلى عيد التجديد . . . مقراً له متجولاً فيه للكرازة . . . متجنباً بهذا عداوة الفريسيين ومخاصمتهم لأنهم كانوا قد عزموا على قتله .

« بعد ذلك لما تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم . . . وكان في صحبته جمع غفير فيهم رسله الاثني عشر . . . وعدد من تلاميذه ... فأرسل أمامه رسلاً . . .

« في مدة هذا السفر بعث يسوع تلاميذه السبعين . . . لكي يبشروا ويعلموا في المدن والقرى التي كان مزمعاً أن يمر بها . . . » ! ! !

وفي إنجيل لوقا :

« وبعد ذلك عيّن الرب سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي .

« فقال لهم إن الحصاد كثيرٌ ولكن الفَعَلة قليلون .

« فاطلبوا من رب الحصاد أن يُرسل فعَلَة إلى حصاده .

« اذهبوا .

« ها أنا أرسلكم مثل حُمْلان بين ذئاب .

« لا تحملوا كيساً ولا مِزْوداً ولا أحذية ولا تسلموا على أحد في الطريق .

« وأي بيت دخلتموه فقولوا أولاً سلام لهذا البيت .

« فإن كان هناك ابن السلام يحلّ سلامكم عليه وإلاّ فيرجع إليكم .

« وأقيموا في ذلك البيت آكلين وشاربين مما عندهم .

« لأن الفاعل مستحق أجرته .

« لا تنتقلوا من بيت إلى بيت .

« وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يُقدم لكم .

« واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله .

« وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم .

« ولكن اعلموا هذا إنه قد اقترب منكم ملكوت الله . . .

* * *

« فرجع السبعون بفرح قائلين يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك .

« فقال لهم رأيت الشيطان ساقطاً مِثل البرق من السماء .

« ها أنا أعطيكم سُلطاناً لتدوسوا الحيّات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء .

« ولكن لا تفرحوا بهذا أنّ الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحريّ أن أسماءكم كُتبت في السماوات . . . » ! ! !

وهكذا . . . أنشأ المسيح . . . ما يمكن أن يسمى بالصف الثاني . . . من مؤسسي الدعوة . . . بعد الصف الأول . . . وهم الاثني عشر . . .

كان المسيح ينظر بعيداً . . . بنور النبوة . . . إلى مستقبل هذا الدين

الجديد . . . وأنه لا بد من تنظيم يضمن استمرار الفكرة . . . ويدفعها إلى الأمام . . .

« ها أنا أرسلكم مثل حُمْلا ن بين ذئاب » .

مثل خراف . . . بين ذئاب ! ! !

نعم فهُم لا حول لهم ولا قوّة . . . بينما قوى الشر من حولهم لهاَ أنياب ! !



علمنا

أن

نصلي



من إنجيل لوقا :

« وإذ كان يصلي في موضع لمّا فرغ قال واحد من تلاميذه يا ربّ علمنا أن نصلي كما علّم يوحنا أيضاً تلاميذه .

« فقال لهم متى صلّيتم فقولوا أبانا الذي في السماوات .

« ليتقدّس اسمك .

« ليأتِ ملكوتكَ .

« لتكُن مشيئتُكَ كما في السماءِ كذلك على الأرض .

« خبزَنا كفافَنا أعطِنا كلّ يومٍ .

« واغفِر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفرُ لكلّ مَن يُذنِبُ إلينا .

« ولا تُدْخِلنا في تجربةٍ لكن نجّنا مِن الشرّير » ! ! !

وهكذا علمهم الصلاة . . .

وتناقلوها جيلاً بعد جيل من بعده ! ! !

« ثم قال لهم مَن منكم يكون له صديق ويمضي إليه نصفَ الليل ويقول له يا صديقُ أقرضني ثلاثة أرغفة .

« لأن صديقاً لي جاءني مِن سفر وليس لي ما أُقدم له .

« فيجيب ذلك من داخل ويقول لا تُزْعجني .

« الباب مُغلَقٌ الآن وأولادي معي في الفراش .

« لا أقدر أن أقوم وأعطيك .

« أقول لكم وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فإنه من أجلِ لجاجته يقوم ويعطيه قدْر ما يحتاج .

« وأنا أقول لكم اسألوا تـُعْطـَوْا .

« اطلـُبـُوا تجِدُوا .

« اقرعوا يـُفتَحْ لكم .

« لأنَّ كلَّ مَن يسأل يأخـُذ .

« ومَن يطلب يجد .

« ومَن يقرَع يـُفتـَح له .

« فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خـُبزاً أفيـُعطيه ِ حـَجـَراً .

« أو سمكة أفيعطيه ِ حيـّةً بدل السمكة .

« أو إذا سأله بيضة أفيعطيه عقـْرباً .

« فإن كنتم وأنتم أشرارٌ تعرفون أن تـُعطوا أولادكم عطايا جيدةً فكم بالحريّ الأبُ الذي مِن السماء يـُعطي الروحَ القـُدُس للذين يسألونه ُ » !!!!

اسألوا . . . تـُعـْطـَوْا ! ! !

اطلـُبـُوا . . . تجِدُوا ! ! !

اقرَعوا . . . يـُفـْتـَح لكم ! ! !

لا يقول مثل هذا . . . إلاّ مَن كان نبيـّاً ! ! !

وقد كان ! ! !

من

روائع

المسيح



من إنجيل لوقا :

« ويلٌ لكم أيها الفرّيسيون لأنكم تحبون المجلس الأول في المجامع والتحيات في الأسواق .

« ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون .

« فأجاب واحد من الناموسيين وقال له يا معلمُ حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً .

« فقال وويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحمّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم .

« ويلٌ لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم .

« إذاً تشهدون وترضوْن بأعمال آبائكم .

« لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم .

« لذلك أيضاً قالت حكمة الله إني أرسل إليهم أنبياء ورُسُلاً فيقتلون منهم ويطردون » ! ! !

أقف هنا . . . لأشهد أن هذا كلام نبيّ عظيم . . . ورسول كريم . . .

لأن النور المتشعشع منه . . . لا يمكن إلاّ أن يكون من نبيّ ! ! !

ولأنه يتوازى . . . تماماً . . . مع تعبير كتاب الله تعالى . . .

وإليك المقارنة العجيبة . . .

قال تعالى : « ولقدْ آتيْنا موسى الكتابَ وقفّينا من بعده بالرسُل وآتيْنا عيسى ابنَ مريمَ البيناتِ وأيدناهُ بروح القدُس أفكلما جاءكم رسولٌ بما لا تهوى أنفسُكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » ؟ ! !

وقال المسيح هنا :

« **أُرسل إليهم أنبياء ورُسُلاً . . . فيقتلون منهم ويطردون » ! ! !**

انظر إلى التطابق العجيب . . . بين « **ففريقاً كذَّبتم وفريقاً تقتلونَ » ! ! !**

وبين « فيقتلون منهم ويطردون » ! ! !

أشهد . . . أن المسيح . . . عبد الله . . . ورسوله . . . وكلمته ألقاها إلى مريم . . . وروحٌ منه ! ! !

« **ويلٌ لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة .**

« **ما دخلتُم أنتم والداخلون منعتموهم » ! ! !**

جمالها عجيب ! ! !

إنه يكشف العقدة الخالدة . . . في أصحاب المناصب الدينية . . . وكيف يحدث الانحراف فيهم . . . وكيف يتحولون إلى سدود في وجه كل إصلاح ...

ما دخلتم أنتم . . .

والداخلون منعتموهم ! ! !

مثل هذا الكلام الجامع المانع . . . لا يصدر إلاّ عن نبيّ عظيم ! ! !

لأنه أفق أعلى . . .

لا يتيسر الصعود إليه إلاّ للأنبياء ! ! !

ثم هاهو . . . يلقي إلى تلاميذه . . . أنشودة . . . ما زالت تهتز بكل معنى بهيج ! ! !

« وقال لتلاميذه .

« من أجل هذا أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون .

« الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس .

« تأملوا الغرْبان .

« إنها لا تزرَع ولا تحصدُ وليس لها مخدَعٌ ولا مخزنٌ واللهُ يـُقيتُها .

« كم أنتم بالحريّ أفضلُ مِن الطيور .

« ومَن منكم إذا اهتمَّ يقْدِرُ أن يزيدَ على قامته ذراعاً واحدة .

« فإن كنتم لا تقدرون ولا على الأصغر فلماذا تهتمون بالبواقي » ! ! !

شواهد النبوة في أعلى مراتبها . . . تتلألأ من هذا الكلام . . .

كل كلمة منه . . . عبارة عن حقيقة . . . ساطعة . . . قاطعة . . .

تسطع كالشمس . . . فلا ظلمة تبقى معها ! ! !

وكلام الأنبياء . . . له نور علويّ . . . قدسيّ . . . لا يدركه إلاّ مَن كان على بصيرة ! ! !

ثم ماذا من روائع . . . المسيح . . . الباقيات ؟ ! !

« تأملوا الزنابق كيف تنمو .

« لا تتعبُ ولا تغزلُ .

« ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها .

« فإن كان العُشْب الذي يُوجد اليوم في الحقل ويُطرَح غداً في التنور يُلبسهُ الله هكذا فكم بالحريّ يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان .

« فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا .

« فإن هذه كلها تطلبُها أممُ العالم .

« وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه .

« بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تُزادُ لكمْ » ! ! !

قمم . . . علْيا . . . في أعلى عِلّيين ! ! !

إنه يرفع مستوى تلاميذه . . .

إلى مقام . . . حقّ التوكل . . .

ليكونوا من بعده . . . أئمة للناس . . . بهم يهتدون . . .

فإن اشتد بكَ العجب . . . من سمو كلمات المسيح . . .

فإنك سوف تعجب . . . أكثر وأكثر . . .

حين تتذكر . . . أن خاتم النبيين . . . الذي أوتي جوامع الكلم . . .

نجمّع هذا كله . . . وزاد عليه . . . في حديثه الجامع . . .

« قال رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

« لو أنكم كنتم . . . توكلون على الله . . .

« حق توكله . . .

« لرزقكم كما يرزق الطير . . .

« تغدو خماصاً . . . وتروح بطاناً » . ! ! !

(أخرجه الترمذي)

ومقام . . . حق التوكل . . . هذا . . . هو ما كان المسيح . . . هنا . . .
يحاول أن يرفع إليه مفاهيم تلاميذه ! ! !

اللهم . . . صلّ . . . وسلم . . . على سيد الرسل . . .

وعلى نبيك . . . ورسولك . . . المسيح . . . عيسى بن مريم ! ! !

واذ نخرج

الموتى

بازلي



ليست هذه معجزة . . .

إحياء ميت . . . ولكن وإخراجه من قبره . . . بعد أن أنتن وتعفّن ! ! !

فهي معجزتان في معجزة . . .

معجزة إحيائه بعد موته . . . ومعجزة إخراجه من قبره ! ! !

من إنجيل يوحنا :

« وكان إنسان مريضاً وهو لِعَازَرُ من بيت عَنْيا من قرية مريم ومَرْتا أختها .

« وكانت مريم التي كان لِعازر أخوها مريضاً هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها .

« فأرسلت الأختان إليه قائلتين يا سيِّدُ هوذا الذي تحبه مريض .

« فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجّدَ ابن الله به .

« وكان يسوع يحبّ مَرْتا وأختها ولِعازَر .

« فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين .

« ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب إلى اليهودية أيضاً .

« قال له التلاميذ يا معلم الآن كل اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضاً إلى هناك .

« أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتي عشرة .
« إن كان أحد يمشي في الليل يعثر لأن النور ليس فيه .
« قال هذا وبعد ذلك قال لهم .
« لِعازَرُ حبيبنا قد نام .
« لكني اذهب لأوقظه .
« فقال تلاميذه يا سيد إن كان قد نام فهو يشفى .
« وكان يسوع يقول عن موته .
« وهم ظنّوا أنه يقول عن رقاد النوم .
« فقال لهم يسوع حينئذ علانية لِعازَر مات .
« وأنا أفرح لأجلكم إني لم أكن هناك لتُؤمنوا .
« ولكن لنذهب إليه .
« فقال تُوما الذي يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه .
« فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر .
« وكانت بيت عَنْيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غَلْوة .
« وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مَرتا ومريم ليعزوهما عن أخيهما .
« فلما سمعت مَرتا أن يسوع آتٍ لاقته .
« وأما مريم فاستمرت جالسة في البيت .
« فقالت مَرْتا ليسوع يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي .
« لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يُعطيك الله إياه .

« قال لها يسوع سيقوم أخوكِ .

« قالت له مرتا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير .

« قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة .

« مَن آمن بي ولو مات فسيحيا .

« وكل من كان حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد .

« أتؤمنين بهذا .

« قالت له نعم يا سيِّد .

« أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم .

« ولما قالت هذا مضَت ودعَت مريم أختها سرّاً قائلة المعلم قد حضر وهو يدعوك .

« أما تلك فلما سمعَت قامت سريعاً وجاءت إليه .

« ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية بل كان في المكان الذي لاقته فيه مرْتا .

« ثم إن اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها قائلين إنها تذهب إلى القبر لتبكي هناك .

« فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرّت عند رجليه قائلة له يا سيِّدُ لو كنت ههنا لم يمت أخي .

« فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب وقال أين وضعتموه .

« قالوا له يا سيد تعالَ وانظُرْ .

« بكى يسوع .

« فقال اليهود انظروا كيف كان يُحبه .

« وقال بعض منهم ألم يقدرْ هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت .

« فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر .

« وكان مغارةٌ وقد وُضع عليه حجر .

« قال يسوع ارفعوا الحجرَ .

« قالت له مرْتا أخت الميت يا سيدُ قد أنتنَ لأن له أربعة أيام .

« قال لها يسوع ألم أقل لكِ إن آمنتِ ترين مجد الله .

« فرفعوا الحجرَ حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآبُ أشكركَ لأنك سمعْتَ لي .

« وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمعُ لي .

« ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلتُ .

« ليؤمنوا أنك أرسلتني .

« ولما قال هذا صرخ بصوتٍ عظيم لعازَرُ هلُمّ خارجاً .

« فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطاتٌ بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل .

« فقال لهم يسوع حلُّوهُ ودعوه يذهب .

« فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به .

« وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع .

« فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا ماذا نصنعُ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة .

« إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا .

« فقال لهم واحد منهم .

« وهو قيَافا .

« كان رئيساً للكهنة في تلك السنة .

« أنتم لستم تعرفون شيئاً .

« ولا تفكرون أنه خيرٌ لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلِك الأمة كلها .

« ولم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة .

« وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد .

« فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه .

« فلم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورَة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها أفرَاين ومكث هناك مع تلاميذه .

« وكان فصح اليهود قريباً .

« فصعد كثيرون من الكُوَر إلى أورشليم قبل الفصح ليطهروا أنفسهم .

« فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم وهم واقفون في الهيكل ماذا تظنون .

« هل هو لا يأتي إلى العيد .

« وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً أنه إن عرف أحد أين هو فليدُلّ عليه لكي يمسكوه » ! ! !

هذه هي المعجزة العجيبة . . . « لِعازَرُ » . . . السعيد . . . الذي جعله الله آية للعالمين . . .

وصرخ المسيح بصوت عظيم . . .

« لِعازَرُ . . . هلمَّ . . . خارجاً » ! ! !

فخرج الميت ! ! !

ليست معجزة واحدة . . . بل معجزتان . . . بل معجزات ! ! !

فماذا كانت آثار تلك المعجزة ؟ ! !

انـ كوها



« ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عَنْيا حيث كان لِعازَر الميت الذي أقامه من الأموات .

« فصنعوا له هناك عَشاء .

« وكانت مَرْتا تخدم وأما لِعازر فكان أحد المتكئين معه .

« فأخذت مريم مَناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها .

« فامتلأ البيت من رائحة الطيب .

« فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الإسخريوطي المزمع أن يُسلّمه لماذا لم يُبَع هذا الطيب بثلثمئة دينار ويُعْطَ للفقراء .

« قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يُلقى فيه .

« فقال يسوع اترُكوها .

« إنها ليوم تكفيني قد حفظته .

« لأن الفقراء معكم في كل حين .

« وأما أنا فلست معكم في كل حين .

« فعلم جمع كثير من اليهود أنه هناك فجاءوا ليس لأجل يسوع فقط بل لينظروا أيضاً لِعازَر الذي أقامه من الأموات .

« فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لِعازَر أيضاً .

« لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع » ! ! !

وفي المراجع :

« لما اتكأ يسوع للطعام دخلت مريم . . . إلى قاعة الوليمة وبيدها قارورة رطل طيب من سنبل الناردين كثير الثمن . . . فكسرت القارورة . . . وأفاضت الطيب على رأسه . . . ثم دهنت به قدميه . . . ومسحتهما بشعر رأسها . . . فامتلأ البيت من رائحة الطيب .

« كسرت مريم القارورة . . . لينسكب منها الطيب . . . إلى آخر نقطة ... فلا يستعمله أحد بعد يسوع . . . فإنها رأت أن لا شيء مهما كان ثميناً . . . كثير على يسوع .

« غضب يهوذا وتذمر ومعه بعض التلاميذ قائلاً : لماذا أتلف هذا الطيب وقد يباع بأكثر من ثلاثمئة دينار تعطى للمساكين .

« ويوحنا الإنجيلي يقول لنا بأن يهوذا قال هذا لا اهتماماً منه بالمساكين لكن لأنه كان سارقاً وكان الكيس عنده وكان يحمل ما يلقى فيه .

« أراد يسوع أن يحامي هو نفسه عن مريم . . . فمدح عملها مدحاً تاماً . . . وقبل إكرامها واستحسنه . . . فقال لهم : دعوها . . . لماذا تعنفونها .. فقد صنعت بي صنيعاً حسناً . . . إن المساكين هم عندكم في كل حين . . . فتقدرون أن تحسنوا إليهم متى شئتم . . . وأما أنا فلست عندكم في كل حين .

« إنها قد سبقت . . . فطيبت جسدي للدفن .

« وما أقرب ما كان موت يسوع . . . من صنيع هذه المرأة .

« ثم قال : إنه حيثما كرز بهذا الإنجيل في العالم كله يخبر بما صنعت هذه تذكاراً لها .

« إن نبوءة يسوع هذه قد تمت . . . فإن صنيع مريم بقي لا يفارق . . .

قصة آلام يسوع وموته . . . فكل واعظ يقوم على منبر الكنيسة . . . يتكلم عن ضحية المسيح . . . يبدأ بذكر عملها . . . ويمدحه . . . وكل أحباء المسيح يباركونها لعملها بيسوع . . . ما يتمنى كل منهم أن يكون قد صنعه هو نفسه .

« استاء يهوذا مما حدث . . . فذهب إلى رؤساء الكهنة . . . ووعدهم بأن يسلم إليهم يسوع . . . ففرحوا جداً لما سمعوه منه . . . إذ إن مداخلة أحد التلاميذ . . . هي لهم خير الوسائل للقبض على يسوع . . . في أول فرصة .. ودون حدوث بلبلة في الشعب .

« لذلك رحبوا به . . . ووعدوه ثمناً لخيانته . . . ثلاثين من الفضة . . . وتركوا له تدبير الأمر .

« ومن ذلك الوقت صار يطلب الفرصة ليسلمه » ! ! !

* * *

قلت : إنما خلدت مريم . . . حين أفرغت كل ما في القارورة من طيب وطيبت المسيح . . . وجعلت تمسح قدميه بشعر رأسها . . .

إنما خلدت . . . لأنها أحبت كثيراً . . .

أحبّت . . . المسيح . . .

وأخلصت . . . في حبها . . .

فتموجت أمواج إخلاصها . . . إلى ما لا نهاية . . .

فما سمع أحد . . . بصنيعها . . . إلاّ بكى ! ! !

سلامٌ على مريم ! ! !

إنها كانت من المخلصين ! ! !



دخول

المسيح

اورشليم



من إنجيل يوحنّا :

« وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آتٍ إلى أورشليم .

« فأخذوا سعُوف النخل وخرجوا للقائه وكانوا يصرخون أوصنّا مباركٌ الآتي باسم الرب ملِكُ إسرائيل .

« ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون .

« هوَذا ملكك يأتي جالساً على جحش أتانٍ .

« وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولاً .

« ولكن لما تمجّد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له .

« وكان الجمع الذي معه يشهد أنه دعا لعازر من القبر وأقامه من الأموات .

« لهذا أيضاً لاقاه الجمع لأنهم سمعوا أنه كان قد صنع هذه الآية .

« فقال الفريسيون بعضهم لبعض انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً .

« هوَذا العالم قد ذهب وراءه .

« وكان أناس يونانيون من الذين صعدوا ليسجدوا في العيد .

« فتقدم هؤلاء إلى فيلبُّس الذي من بيت صيْدا الجليل وسألوه قائلين يا سيد نريد أن نرى يسوع .

« فأتى فيلبس وقال لأندراوس ثم قال أندراوس وفيلبس ليسوع .

« وأما يسوع فأجابهما قائلاً قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان .

« الحقّ الحقّ أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمُت فهي تبقى وحدها .

« ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير .

« مَن يُحب نفسه يُهلكها ومن يُبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية .

« إن كان أحد يخدمني فليتبعني .

« وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي .

« وإن كان أحد يخدمني يُكرمه الآب .

« الآن نفسي قد اضطربت .

« وماذا أقول .

« أيها الآبُ نجِّني من هذه الساعة .

« ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة . . . » ! ! !

* * *

« ومع أنه كان قد صنع أمامهم آياتٍ هذا عددها لم يؤمنوا به . . .

« فنادى يسوع وقال .

« الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني .

« والذي يراني يرى الذي أرسلني .

« أنا قد جئتُ نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة » ! !

ومن المراجع :

« عندما أقبل المساء . . . بعد أن تفقد يسوع الأشياء كلها خرج مع تلاميذه . . . وانطلق إلى بيت عنيا . . . حيث قضوا ليلتهم . . . وسيفعل كذلك في الأيام التابعة » ! ! !

* * *

« يوم الاثنين صباحاً . . . ترك يسوع بيت عنيا . . . وانطلق مع تلاميذه إلى أورشليم . . . وإذ هم سائرون جاع فرأى عن بعد شجرة تين عليها ورق . . . فدنا منها لعله يجد فيها ثمرة فلم يجد . . . فقال لها : لا يأكل أحد ثمرة منك أبداً .

« وفي المساء لما مرّ يسوع والتلاميذ من هناك رأوا التينة قد يبست من أصلها .

« أراد يسوع بالتينة اليابسة أن يعطي تلاميذه أمثولة تؤثر فيهم . . . بها يفهمون مصير أورشليم وشعب الله . . . والديانة اليهودية ... التي رفضت المسيح . . . فأنكرها الله .

« ثم دخل يسوع الهيكل . . . وشرع يخرج الذين يبيعون ويشترون فيه ... قائلاً لهم : مكتوب أن بيتي بيت صلاة وأنتم جعلتموه مغارة للصوص .

« وقضى نهاره يعلم في الهيكل . . . وكان رؤساء الكهنة والكتبة ووجوه الشعب . . . يلتمسون أن يهلكوه . . . فلم يجدوا حيلة إلى ذلك . . . لأن الشعب كله كانوا متعلقين بالاستماع له » ! ! !

* * *

« يوم الثلاثاء . . .

« بينما يسوع يعلم في الهيكل . . . أقبل إليه رؤساء الكهنة والكتبة ومعهم الشيوخ وقالوا له : بأي سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان .

« فأجابهم : وأنا أيضاً أسألكم سؤالاً واحداً أجيبوني فأقول لكم بأي سلطان افعل ما أفعله : معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس .

« ففكروا في أنفسهم ان قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به...وإن قلنا من الناس . . . يرجمنا جميع الشعب لأنهم موقنون بأن يوحنا نبي حقيقي .

« فأجابوا أنهم لا يعلمون من أين هي .

« فقال لهم يسوع : ولا أنا أقول لكم بأي سلطان افعل هذا » ! ! !

أعطوا اذاً

ما لقيصر لقيصر

وما للّه للّه



من إنجيل لوقا :

« فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حُكم الوالي وسلطانه .

« فسألوه قائلين يا معلم نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتُعلم ولا تقبل الوجوه بل بالحق تُعلم طريق الله .

« أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر أم لا .

« فشعر بمكرهم وقال لهم لماذا تجربونني .

« أروني ديناراً .

« لمَن الصورة والكتابة .

« فأجابوا وقالوا لقيصرَ .

« فقال لهم أعطوا إذاً ما لقيصرَ لقيصرَ وما لله لله .

« فلم يقدروا أن يُمسكوه بكلمة قُدّام الشعب .

« وتعجبوا من جوابه وسكتوا » ! ! !

* * *

« وحضر قوم من الصدّوقيين الذين يقاومون أمر القيامة وسألوه قائلين يا مُعلم كتب لنا موسى إن مات لأحد أخ وله امرأة ومات بغير ولد يأخذ أخوه المرأة ويقيم نسلاً لأخيه .

« فكان سبعة إخوة .

« وأخذ الأول امرأة ومات بغير ولد .

« فأخذ الثاني المرأة ومات بغير ولد .

« ثم أخذها الثالث وهكذا السبعة .

« ولم يتركوا ولداً وماتوا .

« وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً .

« ففي القيامة لمن منهم تكون زوجة .

« لأنها كانت زوجة للسبعة .

« فأجاب وقال لهم يسوع أبناء هذا الدهر يُزوِّجون ويُزَوَّجون .

« ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يُزوِّجون ولا يُزوَّجون .

إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة .

« وأما أن الموتى يقومون فقد دلّ عليه موسى أيضاً في أمْر العُليْقة كما يقول .

« الرب إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب .

« وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء .

« فأجاب قوم من الكتبة وقالوا يا معلم حسَناً قلت .

« ولم يتجاسروا أيضاً أن يسألوه عن شيء » ! ! !

هكذا كان حالهم . . . مع المسيح . . . وهكذا كان يجيبهم . . .

مجرد جدال ... يُثار في وجهه ... لعله ينطق بكلمة ... تُؤخذ عليه ! ! !

* * *

« وكان في النهار يعلِّم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبيتُ في الجبل الذي يُدْعى جبل الزيتون .

« وكان كل الشعب يبكِّرون إليه في الهيكل ليسمعوهُ » ! ! !



الساعات

الاخيرة



من إنجيل لوقا :

« وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح .

« وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه .

« لأنهم خافوا الشعب .

« فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الإسخريوطي وهو من جملة الاثني عشر .

« فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم .

« ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة .

« فواعدهم .

« وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خِلْواً من جمع » ! ! !

لقد اتفق يهوذا الإسخريوطي معهم على الجريمة المنكرة . . .

وأراحهم بذلك من عناء التدبير للقبض عليه دون إهاجة الجماهير . . .

فكيف مضت الأحداث ؟ !

« وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفِصح .

« فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً اذهبا وأعِدّا لنا الفصح لنأكل .

« فقالا له أين تريد أن نُعد .

« فقال لهما إذا دخلتما المدينة يستقبلكما إنسان حامل جرة ماء .

« اتبعاه إلى البيت حيث يدخل .

« وقولا لرب البيت يقول لك المعلم أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي .

« فذاك يريكما علية كبيرة مفروشة .

« هناك أعدّا .

« فانطلقا ووجدا كما قال لهما .

« فأعدّا الفصح .

« ولما كانت الساعة اتكأ والاثنا عشر رسولاً معه .

« وقال لهم شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم .

« لأني أقول لكم إني لا آكل منه بعد حتى يُكمَل في ملكوت الله .

« ثم تناول كأساً وشكر وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم .

« لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله .

« وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم .

« اصنعوا هذا لذكري .

« وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم .

« ولكن هوذا يد الذي يُسلمني هي معي على المائدة .

« وابن الإنسان ماضٍ كما هو محتوم .

« ولكن ويلٌ لذلك الإنسان الذي يسلّمه .

« فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم مَن ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا .

« وكانت بينهم أيضاً مشاجرة مَن منهم يُظن أنه يكون أكبر .

« فقال لهم .

« ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يُدْعون محسنين .

« وأما أنتم فليس هكذا .

« بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر .

« والمتقدم كالخادم .

« لأن من هو أكبرُ .

« الذي يتكيء أم الذي يخدمُ .

« أليس الذي يتكيء .

« ولكني أنا بينكم كالذي يخدمُ .

« أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي .

« وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً .

« لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسيّ تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر .

« وقال الرب سِمعانُ سِمعانُ هوَ ذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة .

« ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يفنى إيمانك .

« وأنت متى رجعتَ ثبِّتْ إخوتك .

« فقال له يا ربّ إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت .

« فقال أقولُ لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تُنكرَ ثلاث مراتٍ أنك تعرفني » ! ! !

ثم ماذا ؟ !

« وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون .

« وتبعه أيضاً تلاميذه .

« ولما صار إلى المكان قال لهم صلّوا لكي لا تدخلوا في تجربة .

« وانفصل عنهم نحو رمْية حجر وجثا على ركبتيه وصلّى قائلاً يا أبتاه إن شئتَ أن تُجيزَ عني هذه الكأس .

« ولكن لتكنْ لا إرادتي بل إرادتُك .

« وظهر له ملاكٌ من السماء يُقويه .

« وإذ كان في جهاد كان يُصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دمٍ نازلةً على الأرض .

« ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن .

« فقال لهم لماذا أنتم نيامٌ .

« قوموا وصلّوا لئلاّ تدخلوا في تجربة » ! ! !

ثم نأتي إلى المشهد الخالد . . . فماذا كان ؟ !

« وبينما هو يتكلم إذا جمعٌ والذي يُدعى يهوذا أحد الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليُقبِّله .

« فقال له يسوع يا يهوذا أبقُبْلةٍ تُسلِّم ابن الإنسان .

« فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يا ربّ أنضرِبُ بالسيفِ .

« وضرب واحد منهم عبْدَ رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى .

« فأجاب يسوع وقال دعوا إلى هذا .

« ولمَسَ أذنه وأبرأها .

« ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقوّاد جُند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه

« كأنه على لصٍ خرجتم بسيوف وعِصيّ .

« إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمُدّوا عليّ الأيادي .

« ولكن هذه ساعتكم وسُلطان الظّلمة .

« فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة .

« وأما بطرس فتبعه من بعيد » ! ! !

* * *

وفي إنجيل يوحنّا . . .

تفاصيل أكثر . . . لما أجمله لوقا . . .

ومن ذلك :

« فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سِمعان الإسخريوطي .

« فبعد اللقمة دخله الشيطان .

« فقال له يسوع ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة .

« وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلّمه به . . . »

* * *

« فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت .

« وكان ليلاً .

« فلما خرج قال يسوع الآن تمجّد ابن الإنسان وتمجّد الله فيه .

« إن كان الله قد تمجّد فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً .

« يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد » ! ! !

زماناً قليلاً بعد . . . انتقل بعده . . .

إنها ساعات باقية . . . وان هذا كان في الليل . . .

ثم ماذا من نبوءات المسيح ؟ !

« ستطلبونني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم أنتم الآن .

« وصية جديدة أنا أعطيكم أن تُحبوا بعضكم بعضاً .

« كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً .

« بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبٌّ بعضاً لبعض » ! ! !

ثم قال لهم المسيح :

« سلاماً أترك لكم .

« سلامي أعطيكم .

« ليس كما يُعطي العالم أعطيكم أنا .

« لا تضطرب قلوبكم ولا ترهَبْ » ! ! !

* * *

ثم قال لهم :

« هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم .

« ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه .

« أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به .

« لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده .

« لكني قد سميتكم أحبّاء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي . . . »!!

ثم أنبأهم المسيح . . . بما هو قادم عليه :

« هو ذا تأتي ساعةٌ وقد أتتِ الآن تتفرقون فيها كلّ واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي .

« وأنا لست وحدي لان الآب معي .

« قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلامٌ .

« في العالم سيكون لكم ضيقٌ .

« ولكن ثقوا !

« أنا قد غلبتُ العالم » ! ! !

ثم ماذا ؟ ! !



ورفع عينيه

نحو السماء

وقال



« تكلّم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الآبُ قد أتت الساعة .

« مجّد ابنَك ليمجّدك ابنك أيضاً .

« إذ أعطيته سلطاناً على كل جسَد ليُعطي حياة أبدية لكل من أعطيته .

« وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » ! ! !

هاهنا . . . نقف طويلاً . . . ونتأمل طويلاً . . . ونتفكر طويلاً . . .

المسيح في آخر لحظة له مع تلاميذه . . . في اللحظة التي سوف يفترق عنهم بعدها . . .

يعلن حقيقة أمره . . . إلى تلاميذه . . . وإلى العالم كله . . .

« وهذه هي الحياة الأبدية . . .

« أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك . . .

« ويسوع المسيح الذي أرسلته » . ! ! !

حقيقتان خطيرتان . . . من لسان صاحب القضية نفسه . . . في آخر لحظة له . . . مع تلاميذه . . .

أنت الإله الحقيقي وحدك ؟ ! !

ويسوع . . . المسيح . . . الذي أرسلته ؟ ! ! !

أنت الإله . . . وحدك . . .

وعيسى . . . المسيح . . . الذي أرسلته . . .

أي . . . لا إله إلاّ الله . . .

... عيسى ... رسول الله ! ! !

وإنما توقفنا هنا ... لننبه إلى هذا الإعلان الهام ... الذي أعلنه المسيح بنفسه ... ليكون مسك الختامُ ! ! !

ثم ماذا ... من تلك الصلاة المقدسة ... الأخيرة ... للمسيح ؟ ! !

« أنا مجدتُك على الأرض .

« العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتُه .

« والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كوْن العالم » ! ! !

كلام جميل ... فيه إشارات لطيفة ... إلى أن ما كتبه الله للمسيح ... هو ما سوف يجده المسيح عند رجوعه إلى الله ...

ولا داعي البتّة للأوهام التي تسيطر على بعض العقول ... فتستخرج منها ... أزلية المسيح ... وأنه موجود قبل أن يوجد في هذا العالم .

إن المسيح هنا يشير إلى القَدَر ... ومعلوم أن القَدَر ... كتب فيه ما كان وما سوف يكون ... قبل خلْق العالم وظهوره ! ! !

وهذا هو الفهم الذي ينبغي أن يكون ... حتى لا تكون هناك مغالاة في أمر المسيح ... تؤدي الى زعم إلاهيته ... وإخراجه الى طبيعة ليست له... ولا لغيره ! ! !

ثم ماذا ؟ ! !

ثم نعبُرُ ... خلال أمواج هذه الصلاة الجميلة ... إلى حيث يقول :

« أيها الآب البارّ إن العالم لم يعرفْك » ! ! !

وهذه حقيقة كبرى ... يقررها المسيح ...

فلم يعرف الله ... إلاّ الله ! ! !

لأن أحداً لا يستطيع الإحاطة بالله . . . فكلنا في الجهل بحقيقة الله سواء ! !

أو كما قالوا : العجز عن درك الإدراك إدراك ! ! !

أو كما قال صلى الله عليه وسلم :

« لا أحصي ثناءً عليك .

« أنت كما أثنيت على نفسك » ! ! !

ثم يقول المسيح :

« أما أنا فعَرفتك » ! ! !

نعم . . . عرفه . . . به . . .

ولولا ذلك ما استطاع أن يعرف شيئاً ! ! !

هوَ . . . عرَّفه . . . فعرَفَ ! ! !

« وهؤلاء عرفُوا أنك أنت أرسلتني » ! ! !

نعم . . . نعم . . . هو الذي أرسله . . . فهو رسول الله . . . هذا حقّ ! !

« وعرّفتهُم اسمَك » ! ! !

عرفتهم أسماء الله الحسنى . . . وكيف تعمل في الوجود . . . فعرفوا ما ينبغي لك من التنزيه ! ! !

« وسأعرّفهُم ليكون فيهم الحبّ الذي أحببتني بهِ وأكون أنا فيهم » ! ! !

جميلة جداً . . . ومفهومة . . . إنها . . . من أمواج قوله تعالى :

« واعلمُوا أنّ فيكمْ رسول اللهِ لو يُطيعُكم في كثير مِن الأمر . لعَنِتُّمْ ولكنّ الله حبّب إليكمُ الإيمان وزيّنَه في قلوبكم . . . » ! ! !

وهكذا . . . لو فُهمت النصوص السماوية . . . فهما مستقيماً . . . لاستقامت العقول . . . على الطريق المستقيم ! ! !

ثم ماذا من التفاصيل . . . في إنجيل يوحنا :

« قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عَبْر وادي قِدْرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه .

« فأخذ يهوذا الجُند وخُدّاما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح .

« فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون .

« أجابوه يسوع الناصريّ .

« قال لهم يسوع أنا هو .

« وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم .

« فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض .

« فسألهم أيضاً من تطلبون .

« فقالوا يسوع الناصريّ .

« أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو .

« فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون .

« ليتم القول الذي قاله ان الذين أعطيتني لم أهلِك منهم أحَداً . . .

« ثم إن الجُند والقائد وخُدّام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى حنّان أولا لأنه كان حَمَا قيّافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة .

« وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود أنه خيرٌ أن يموت إنسان واحدٌ عن الشعب » ! ! !

* * *

ومن إنجيل مَرْقُس :

نقتطف تفاصيل أخرى . . . تضيف خطوطاً جديدة للمشهد :

« وجاءوا إلى ضيعة اسمها جَثْسَيْماني فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلي .

« ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يَدْهَشُ ويكتئبُ .

« فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت .

« امكثوا هنا واسهروا .

« ثم تقدَّم قليلاً وخرَّ على الأرض وكان يصلّي لكي تعبرَ عنه الساعة إن أمكن .

« وقال يا أبا الآبُ كل شيء مستطاعٌ لك .

« فأجزْ عني هذه الكأس .

« ولكن ليكُن لا ما أريدُ أنا بل ما تريد أنت .

« ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس يا سِمعان أنت نائم .

« أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة .

« اسهروا وصلّوا لئلاّ تدخلوا في تجربة .

« أما الروح فنشيطٌ وأما الجسد فضعيف .

« ومضى أيضاً وصلّى قائلاً ذلك الكلام بعينه .

« ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه .

« ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا .

« يكفي .

« قد أتت الساعة .

« هو ذا ابن الإنسان يُسَلَّم إلى أيدي الخُطاة .

« قوموا لنذهب .

« هو ذا الذي يُسلمني قد اقترب .

« وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحدٌ من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصيٍّ من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ .

« وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبِّله هو هو .

« أمسكوه وامضوا به بحرص .

« فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً يا سيدي يا سيدي . . .

« وقبّلَهُ .

« فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه » ! ! !

هذه بعض تفاصيل من إنجيل مرقس . . . ليتكامل بها المشهد الخالد . . .

مشهد . . إلقاء القبض . . . على المسيح . . .

وحتى هنا . . . نكون قد دخلنا إلى أخطر منطقة . . . من حياة المسيح . . . عليه السلام . . .

حتى هنا تمضي أحداث حياته . . . عليه السلام . . . تكاد لا يكون فيها خلاف جوهري . . . بين النظرة الإسلامية . . . والنظرة المسيحية . . .

فالمسيح . . . وُلِد . . . وترعرع . . . وبُعث على رأس الثلاثين . . .

وبلّغ رسالة ربه . . . أحسن البلاغ . . . وبشّر بملكوت الله من آمن

به . . . وأنذر الذين رفضوه . . . وكشف ألاعيبهم . . .

مما دفعهم إلى التآمر عليه . . . حتى ألقوا القبض عليه . . . ليلفقوا له التهم الباطلة . . . يريدون بذلك . . . أن يُطفئوا نوره . . . الذي أزعجهم . . وأن يقتلوه . . . مخافة أن ينتشر أمره . . . ويذهب العالم وراءه . . .

نقول حتى هذه المرحلة . . . لا خلاف هناك . . . على حياة المسيح . . . بين النظرتين الإسلامية . . . والمسيحية . . . من حيث الوقائع . . .

ولكن من هذه اللحظة . . . لحظة إلقاء القبض عليه . . . يبدأ أخطر اختلاف بين النظرتين . . .

المسيحيون يقولون . . . أنه حوكم . . . ثم صُلِبَ . . . ثم دُفِنَ . . . ثم قام من قبره . . . ثم صعد إلى السماء ! ! !

فماذا تقول النظرة الإسلامية ؟ ! !



اني

متوفيك

ورافعك الي



قال تعالى :

« فلمّا أحسّ عيسى منهمُ الكُفْر قال مَنْ أنصاري إلى اللهِ قال الحواريُّون نحنُ أنصارُ اللهِ آمنّا باللهِ واشهدْ بأنّا مسلمون .

« ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعْنا الرسول فاكتُبْنا مع الشاهدين .

« ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين .

« إذْ قال اللهُ يا عيسى إني متوفيك ورافعُك إليّ ومُطَهِّرُك من الذين كفرُوا وجاعِلُ الذين اتبعُوك فوْق الذين كفرُوا إلى يوْمِ القيامةِ ثُمّ إليّ مرجعُكُم فأحكُمُ بينَكم فيما كنتُم فيهِ تختلفون » ! ! !

« **إذ قال الله** »إعلاماً لعيسى . . . عليه السلام . . . حين هموا بقتله . . . وعينوا من يدلهم عليه . . .

« **يا عيسى إني** » . . . بقدرتي . . .

« **متوفيك** » ومصفيك عن كادر ناسوتيتك . . . المانعة من الوصول إلى مقر عز اللاهوت . . .

« **و** » بعد تصفيتك عن شوب التعلقات الناسوتية . . .

« **رافعك** » بعد ارتفاع موانع وصولك . . .

« **إليّ** » إذ لا مرجع لك غيري . . .

« **و** » بعد رفعك . . . وجذبك إليّ . . .

« **مطهرك** » ومزكيك ... من خبائث مطلق الرذائل ... سيما ...

« **من الذين كفروا** » أي ستروا بغيوم هوياتهم الباطلة ... شمس الذات ... الظاهرة المتجلية على عموم الذرّات ...

« **و** » بعد رفعك ... وإعلاء قدرك ...

« **جاعل الذين اتبعوك** » وآمنوا بك ... في جميع ما جئت به لإصلاح حالهم ...

« **فوق الذين كفروا** »أي أعلى رتبة ... وارفع قدراً ومكاناً منهم ...

« **إلى يوم القيامة** » بحيث قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ... وباؤوا بغضب من الله ... وبعد ما ظهر عيسى ... عليه السلام ... لم يتفق غلبة اليهود أصلاً ... بل صاروا مغلوبين منكوبين دائماً ! ! !

وفي سورة النساء :

« **وبِكُفْرِهِمْ وقَوْلِهِمْ على مريم بُهْتاناً عظيماً .**

« **وقولِهِم إنّا قَتَلْنا المسيح عيسى ابن مريم رسولَ اللهِ وما قَتَلُوهُ وما صلَبُوهُ ولكن شُبِّهَ لهُمْ وإنَّ الذين اختلفوا فيهِ لفِي شَكٍّ منهُ ما لهم بهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتِّباعَ الظنِّ وما قتلوهُ يَقِيناً .**

« **بَلْ رفَعَهُ اللهُ إليْهِ وكان اللهُ عزيزاً حكيماً** » ! ! !

« **وقولهم** » رمياً ... وافتراء ...

« **على مريم** » المنزهة عن مطلق الكدورات البشرية ...

« **بهتاناً عظيماً** » حيث يبهتونها ويرمونها بالزنا ... مع كمال عصمتها وعفتها وطهارة ذيلها ... عن مطلق الجرائم والآثام ...

« **وقولهم** » **أيضاً** ... ارجافاً ... وتبجحاً ...

« **إنا** » قد . . .

« **قتلنا المسيح عيسى ابن مريم** » الذي زعمتموه . . .

« **رسول الله** » وكلمته . . . وروحاً منه . . .

« **و** » الحال أنه . . .

« **ما قتلوه وما صلبوه** » إذ هو في حماية الله . . . وفوق سمائه . .

« **ولكن** » قد . . .

« **شبِّه لهم** » رجل منهم . . . أي ألقى الله شبهه على رجل منهم . . . فرفع المشبه به . . . يعني عيسى عليه السلام . . . نحو السماء . . . وبقي المشبه . . . يعني الرجل فقُتِل وصُلِب .

ثم اختلفوا فقالوا إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا . . . وإن كان صاحبنا فأين عيسى ؟ ! !

« **و** » بالجملة . . .

« **إن الذين اختلفوا فيه** » وفي قتله . . . وصلبه . . . ورفعه إلى السماء . . .

« **لفي شك منه** » أي في تردد وارتياب في حقه . . .

« **ما لهم به** » وبشأنه . . .

« **من علم** » تصديق ويقين . . .

« **إلا اتباع الظن** » والظن لا يغني من الحق شيئاً . . .

« **و** » الحق أنه . . .

« **ما قتلوه يقيناً** » كما زعموه . . .

« **بل** » الحق أنه قد . . .

« **رفعه الله** » الرقيب عليه ... المتولي لحفظه وأمره ...

« **إليه** » أي إلى كنف حفظه ... وجواره ... إنجازاً لوعده ... في قوله « **إني متوفيك ورافعك إليّ** » الآية ...

« **وكان الله** » القادر ... المقتدر ... على كل ما أراد وشاء ...

« **عزيزاً** » غالباً ... قادراً على رفعه ...

« **حكيماً** » في قتل من شبه له ... ليرجفوا بها ! ! !

هذا ما ذهب إليه أحد المفسرين ...

وقال عبد الوهاب النجار ... في كتابه « قصص الأنبياء » ...

« أما خاتمة أمر المسيح ... بحسب قصص القرآن ... فهي عجيبة وبسيطة ... لا تعقيد فيها ...

« ذلك أن المسيح قد أحرج الكهنة والفريسيين بتعاليمه وتجريحه إياهم في طريقتهم وفضح رياءهم وخبثهم ... فأخرجهم ذلك إلى الكيد له والتدبير لقتله .

« فلما اختمر هذا الأمر في أنفسهم ... شكوا أمره إلى الوالي طبعاً !

« وزينوا شكواهم بما يستدعي اهتمام الوالي ... بأن ادعوا عليه أنه يقول إنه ملك اليهود ... وأنهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية .

« فأرسل الوالي جنداً للقبض على المسيح عيسى ابن مريم ... فلما أتوا ولم يبقَ إلاّ القبض عليه .

« والمسيح قد اهتمّ لهذا الأمر ... وخشي أن ينالوه بالأذى ..

« أنقذه الله من أيديهم ... وطهره منهم ...

« وألقى شبهه على شخص آخر . . . علم فيما بعد أنه تلميذه الخائن . . . وعرفته الأناجيل بأنه يهوذا الإسخريوطي – كما هو مشهور –

« وصار بحيث أن كل من رآه لا يشك في أنه يسوع .

« فأخِذَ وصُلِبَ وقُتِل . . .

« ونجا المسيح من شرهم .

« وقد أعلم الله تعالى المسيح بما سيتم .

« وشاع في الناس أن يسوع الناصري قُتل بعد أن صُلب (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم) » .

ثم قال فيما قال :

« أخرج ابن جرير عن وهب أنه قال : توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه .

« والذي أختاره أن عيسى عليه الصلاة والسلام قد أنجاه الله من اليهود . . . فلم يقبضوا عليه . . . ولم يُقتل . . . ولم يُصلَب .

« وهنا يأتي سؤال هو : إذا كان عيسى قد نجا سالماً ووقع من ألقى عليه شبه المسيح في هذه الورطة فأين ذهب ؟

« والجواب : إن جمهور المسلمين على أن الله تعالى قد رفعه بروحه وجسده حيّاً إلى السماء . . . ودليلهم على ذلك قوله تعالى **(ورافعُك إليَّ)** »!

قلت : هذا ما ذهب إليه . . . ذلك العالم الجليل . . .

وإني أقف عند هذا الرأي . . . ولا أتجاوزه . . .

وربما كان هو الرأي الصحيح . . .

والله أعلم ! ! !



عيسى
عبد الله
ورسوله



أخرج البخاري ...

في صحيحه ...

« عن عُبادة رضي الله عنه ...

« عن النبيّ ... صلى الله عليه وسلم ... قال ...

« مَن شَهِد أن لا إله إلاّ اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ ...

« وأنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ...

« وأنّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُهُ ...

« وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم ...

« ورُوحٌ منهُ ...

« والجَنّةُ حقٌ ...

« والنارُ حقٌ ...

« أدخَلَهُ اللهُ الجنة على ما كان من العمَل » .

« قال القرطبي :

« المقصود من هذا الحديث التنبيه على ما وقع من النصارى ... من الضلال والفساد ... في عيسى وأمّه ... عليهما الصلاة والسلام » .

وقال البخاري :

« بابُ قولِ الله تعالى يا أهْلَ الكتابِ لا تغلُوا في دينِكم ولا تقولوا على اللهِ إلاّ الحقَّ إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريم رسولُ اللهِ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم ورُوحٌ منهُ فآمنوا باللهِ ورُسُله ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهُوا خيْراً لكم إنما الله إلهٌ واحدٌ سبحانهُ أنْ يكون لهُ ولَدٌ له ما في السماواتِ وما في الأرضِ وكفى باللهِ وكيلاً » .

« لا تَغْلُوا » من الغلو وهو الإفراط ... ومجاوزة الحد ... وغلو النصارى قول بعضهم في عيسى هو الله ... أو ابن الله ... أو ثالث ثلاثة ... وغلو اليهود فيه ... قولهم إنه ليس برشيد ...

« ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ » أي إلاّ القول الحق ... أي لا تفتروا عليه ... وتجعلوا له صاحبة وولداً ...

ثم أخبر عن عيسى ... عليه الصلاة والسلام ... فقال ...

« إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » فكيف يكون إلهاً ...

« وروحٌ منه » أي عبد من عباد الله ... وخَلْق من خَلْقه ... قال له كن فكان ... ورسول من رسله ... وأضيف الروح إليه على وجه التشريف ..

« فآمنوا بالله ورسله » أي آمنوا بهم جميعاً ... ولا تجعلوا عيسى إلهاً ... ولا ابناً ... ولا ثالث ثلاثة ...

« انتَهُوا » أي عن هذه المقالة الفاحشة ...

« خيراً لكم » أي اقصدوا خيراً لكم ...

« وكفى بالله وكيلا » أي مفوضاً إليه القيام بتدبير العالم .

« وقال مجاهد : وروحٌ منه ... أي رسول منه ...

« وقيل : محبة منه » ! ! !

ذلك

عيسى

ابن مريم



من أعظم نِعَم الله . . .

على الناس جميعاً . . .

أن أنزل إليهم . . . كتاباً من عنده . . . اسمه القرآن العظيم . . .

ومِن أعظم نِعَم هذا الكتاب . . . أنه جاء شاملاً كاملاً . . .

ما مِن شيء . . . إلاّ جاء فيه بفصل الخطاب . . .

وما مِن خلاف بين الناس . . . إلاّ وبيّن لهم الحقّ من الباطل من هذا الخلاف . . .

ولما كانت قضية . . . المسيح . . . هي من أكبر قضايا البشرية . . . كان حتماً أن يفصل فيها آخر كتاب أنزله الله إلى الناس . . .

ليضع أمام أعين الناس جميعاً . . . مرجعاً . . . مقدساً . . . يعلمون منه . . . مَن هو المسيح . . . وما حقيقته . . . وأين الحقّ وأين الباطل . . . مما زعم فريق من الناس فيه ؟ ! !

حتى إذا اختلفوا فيه . . . قالوا : تعالوا إلى كتاب الله . . . نحتكم إليه فيما نحن فيه مختلفون ! ! !

ولقد كانت شخصية المسيح . . . سبباً في حيرة الكثير من الناس . . .

لأنه جاء . . . من أسلوب يغاير الأسلوب الطبيعي . . . الذي جاء منه كل الناس ! ! !

لكل إنسان والد . . . فمن أبوه ؟ ! !

لكل نبيّ انتظام مع قوانين الحياة . . . إلاّ هذا . . . فلماذا هو بالذات؟!

وكل نبيّ مات ودُفِن في التراب . . . إلاّ المسيح . . . فإنه رُفِع إلى السماء . . . فلماذا هو بالذات ؟ ! !

شخصيّة محيّرة . . . حار فيها الجميع . . . حتى تلاميذه كانوا أحياناً يكلمهم فلا يفهمون مراده من كلامه ! ! !

وبلغت الحيرة منتهاها . . . فقالوا . . . كان المسيح إلهاً ! ! !

وكأن التجربة . . . بذلك الزعم . . . قد حوّلها الناس إلى غير المطلوب منها.

فقد جعل الله . . . مريم وابنها آية للعالمين . . .

ولكن الناس . . . جعلوها فتنة للعالمين ! ! !

قضية على الغاية من الخطورة . . . قضية المسيح . . .

فكان من مقتضى الرحمة الإلهية . . . أن يرحم الله الناس . . . ويبين لهم بنفسه . . . ويتحدث إليهم رأساً بكلامه . . . عن كل شيء . . . من أمور المسيح . . . التي حاروا فيها . . .

فماذا قال الله للناس ؟ ! !

« يا أيها الناسُ قدْ جاءكُمُ الرسولُ بالحقّ مِن ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفُروا فإن للهِ ما في السماواتِ والأرضِ وكان اللهُ عليماً حكيماً » !

خطاب إلى الجميع . . . يا أيها الناس . . . جميعاً . . . في كل زمان . . . وفي كل مكان . . . مهما كانت عقائدكم . . . ومهما كانت مستوياتكم . . .

قد جاءكم الرسول بالحقّ . . . بالواقع . . . بما حدث فعلاً . . . وبما سوف يحدث . . . لا خيال ولا ظنّ ولا زخرف القول . . . ولكن الحقّ . . .

من ربكم . . . جميعاً . . . ومقتضى شفقة الربوبية . . . وحنانها بالعباد . . . أن يبين لهم . . . ما حاروا فيه . . . واضطربوا في فهمه . . .

فآمنوا خيراً لكم . . . صدّقوا . . . بما أقول . . . ترحموا أنفسكم من عذاب الحيرة ! ! !

ثم يوجه الخطاب . . . إلى أهل الكتاب . . . إلى المسيحيين خاصة . . . لأن القضية قضيتهم . . . والحيرة حيرتهم . . .

« يا أهل الكتابِ لا تَغْلوا في دينِكم ولا تقولوا على اللهِ إلاّ الحقّ إنما المسيحُ عيسى ابنُ مريم رسولُ الله وكلمَتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منْهُ فآمنوا بالله ورسُله ولا تقُولوا ثلاثَةٌ انتَهُوا خيراً لكم إنما اللهُ إله واحدٌ سبحانَهُ أن يكون لهُ ولَدٌ لهُ ما في السماواتِ وما في الأرضِ وكَفَى باللهِ وكيلاً » ! ! !

سبحانك . . . ما أعظم كلامك ! ! !

الله . . . بنفسه . . . يتحدث إلى المسيحيين . . .

حديثاً كله رحمة . . . وكله حنان . . . وكله إرادة الخير لهم . . .

يا أهل الكتاب . . . يا أهل التوراة . . . يا أهل الإنجيل . . . يا أهل العلم والعلماء . . . واللاهوت والناسوت . . . يا أهل المجامع المقدسة . . . والبحوث المستفيضة . . . فيكم قسيسون ورهبان . . . وعظماء وفلاسفة . . . كم اختلفتم وكم بحثتم في أمر المسيح . . . هاكمو اسمعوا حديثي . . . حديث الرب إلى عباده . . .

لا تغلُوا في دينكم . . . لا تتجاوزوا المعقول إلى اللامعقول . . . لا تسرفوا في اطراء المسيح . . . وتخرجوه عن حقيقته . . . إن دينكم دين عظيم . . . لأنه من عندي . . . فلماذا هذه الإضافات التي أضفتموها إليه . . . لماذا ؟ ؟ !

ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ . . . وما أكثر ما قلتم . . . وما أوسع ما تفلسفتم . . . إنّ لكم كليات ومعاهد منتشرة في جميع أنحاء العالم . . . تقولون فيها عني . . . وعن رسولي عيسى . . . ما لم أقله أو يقله هو عني . . . وتؤصلون الأصول . . . وتضعون العقائد . . . ثم تقدسونها . . . وتلزمون الجماهير باعتقادها . . . ومع هذا ورغم ما قلتم . . . فإني من مقتضى رحمتي بكم . . . أعود فأصحح لكم جميع ما قلتم . . . لتتبينوا أين الصحيح من الزائل مما ذهبتم إليه . . .

إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريم . . . يسوع ... كما تسمونه ... المعروف بالمسيح . . . هو ابنُ مريم . . . فقط . . . وقفوا عند هذا . . . من أول لحظة بشّرْتُ فيها مريم به . . . قلت لها هذا . . . وبعثت إليها رسولنا جبريل بهذا . . . وقال لها هذا : « **إذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنّ الله يُبشّرُكِ بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريم . . .** » من أول لحظة أنا سميته ابن مريم . . . فلماذا المغالاة . . . وقولكم ابن الله . . . لماذا ؟ ! ! ! . . . ما حاجتي إلى هذا ؟ ! !

رسولُ اللهُ . . . هذه هي حقيقة شخصيته . . . مجرد رسول من الرسل . . وكم بعثت قبله من الرسل . . . فما وجه الغرابة عندكم . . . ألا تذكرون أنه كثيراً ما كان يؤكد أنه رسول الله لمن حوله . . فيقول لهم : « **أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني** » . . . ألم يقل ذلك لكم عيسى ألا تقرأون في إنجيل يوحنا . . . إنه ناجاني ودعاني بهذا في صلاته الأخيرة ؟ ! !

وكلمتُهُ . . . إنما أمري إذا أردت شيئاً . . . أن أقول له . . . كن فيكون . . . فما الذي فتنكم في أمره . . . أردتــه هكذا . . . أن يكون كائناً . . . بغير أب . . . إظهاراً لقدرتي . . . لتفهموا أني على كل شيء قدير . . . عجباً لكم ! . . سلوا مريم . . . تخبركم أن جبريل قال لها هذا من أول لحظة . . . حين قالت لــه : **أنى يكونُ لي ولَدٌ ولم يمسسْني**

بَشَرَ . . . » فقال لها : « كذلك اللهُ يخلقُ ما يشاءُ . . . إذا قضى أمراً فإنما يقولُ لهُ . . . كُن فيكونُ . . . »

فلماذا إذاً هذا الذي تفلسمون وتحاولون أن تثبتوا أن الكلمة أزلية . . . فالمسيح أزلي . . . فالمسيح ابن الله ؟ ! . . . مَن قال لكم هذا ؟ ! . . .

كل مخلوق من مخلوقاتي . . . كلمة من كلماتي . . . أردته . . . فقلت له . . . كُن . . . فيكون . . . هذه هي الحقيقة . . . فلماذا المغالاة في المسيح . . . وماذا يعود على المسيح مما تصفون ؟ !

ألْقاها إلى مريم . . . أردنا خلق المسيح . . . فنفخنا فيها من روحنا . . . فكان المسيح . . . شيء هيّن عندنا . . . فما الذي فتنكم . . . ولماذا المغالاة . . . فمنكم من يذهب إلى تأليه مريم . . . ويسميها أم الإله . . . ويزعم أن الإله لا يولد إلاّ عن إله ؟ ! ! . . . أرأيتم كيف أدخلتم أنفسكم في منخنق يُفضي إلى منخنق . . . يفضي إلى منخنق . . . إلى ما لا نهاية ؟ ! !

ورُوحٌ منْهُ . . . هاهنا سر المسيح كله . . . وسر عجائبه التي فتنتكم . . . إني زدته نسبة من الروح . . . تفوق سائر البشر . . . فكان السلطان في شخصيته للروح لا للجسد . . . وكان جسده مجرد غلاف رقيق يواري حقيقته الروحية . . . فكان منه ما كان . . . مما بهركم ودفعكم إلى هذه الظنون ! ! !

فآمنوا بالله . . . الإيمان الخالص عن الشرك . . . وصدّقوا بكلامي . . . فإني أصدَق مَن يحدثكم بالحقيقة . . . ومَن أصدق من الله حديثاً ؟ ! . . .

ورُسُلِه . . . وجميع رُسُلي . . . ولا يدفعنكم حبّ المسيح . . . إلى إهدار سائر الرسل . . . فإنهم جميعاً رسلي . . . ومن أنكر أحدهم . . . فقد أنكر الجميع ! ! ! . . .

ولا تقولوا ثلاثةٌ . . . من أين لكم هذه العقيدة . . . التي قد ستموها . . .

وأجمعتم عليها ... وفرضتموها على أتباعكم ... الآب ... والإبن ... والروح القُدُس ... إله واحد ... آمين ... مِن أين لكم هذا ؟ ! ! ...

انتَهُوا ... كُفُّوا ... فوراً ... عن هذا الزعم ...

خيراً لكم ... أرقى لعقولكم ... وأطهر لنفوسكم ... وأهدأ لقلوبكم ... لأن القلب لا يطمئن ... إلاّ بالتوحيد الخالص ...

إنما اللهُ إلهٌ واحدٌ ... هذه حقيقة الحقائق ... بها بعثت جميع رسلي ... إلى جميع الناس ... وهي لن تتبدل ولن تتغير ... لأنه لا يوجد حقيقة غيرها ... وعليها قامت السماوات والأرض وانتظمت الكائنات كلها ... أنا أقول لكم ... إنما أنا ... إله واحد ... ومَن أعلم بالله إلاّ الله ؟ ! ... أنتم تكذبون عليّ ... وعلى المسيح ... إني أحذركم وأنذركم من عاقبة الاستمرار في هذا الزعم الباطل ... لأني لا أعلم لي شريكاً ... فهل تعلمون حقيقتي أكثر مني ؟ ! ! ...

سبحانَهُ أن يكون لهُ ولَدٌ ... تنزهتُ ... وتعاليتُ ... عما تزعمون ... مَن قال لكم أن المسيح ابني ؟ ! ... مَن فلسف لكم هذا الزعم ؟ » ...

له ما في السماواتِ وما في الأرضِ ... فلا حاجة بي لاتخاذ المسيح ابناً ... هذا وَهْم من أوهامكم ...

وكَفَى باللهِ وكيلاً ... قائماً بتدبير الأمر وحده ... ليس في حاجة إلى أن يكل إلى المسيح مهمة محاسبة الناس ... كما تزعمون ! ! !

* * *

ذلك شيء ... مما حدّث به كتاب الله ... المسيحيين ...
ثم هاهو ينتقل بهم ... إلى عنصر هام ... من عناصر شخصية المسيح...
فماذا قال ؟ ! !

لن يستنكف
المسيح
ان يكون عبداً



إن الذين جعلوا المسيح إلهاً . . .

أساءوا إليه . . . أقبح إساءة ! ! !

ذلك أن المسيح . . . لا يصلح أن يكون إلهاً . . .

فهم يحملونه ما لا يطيق . . .

ويضعون عليه إكليلاً باطلاً . . .

وأي باطل هو أكبر من بطلان . . . تحويل بشر إلى إله ؟ ! !

وليس المسيح وحده . . . هو الذي لا يصلح أن يكون إلهاً . . .

بل مَن هو أعظم من المسيح وأكبر . . . لا يصلح كذلك ليكون إلهاً . . .

لماذا ؟ ! !

لسبب بسيط جداً . . .

لأن المسيح . . . أو أي شيء . . . إنما هو مخلوق . . .

ومن مجرد كونه مخلوق . . . فقد افتقر إلى خالق . . .

إذاً لا يصلح للألوهية . . .

سواء هو . . . أو أي شيء سواه ! ! !

فالذين ألّهوه . . . أساءوا إليه . . . من حيث لا يشعرون ! ! !

والذين جعلوه إلهاً . . . ألبسوه لباس زور . . .

وإنما المسيح يكون في وضعه الطبيعي . . . حين يوضع في مرتبته الطبيعية . . .
مرتبة العبودية . . .

شأنه في ذلك . . . شأن كل شيء كان أو يكون . . .

« إن كُلُّ مَن في السماواتِ والأرضِ إلاّ آتي الرحمنِ عبْداً » ! ! !

والمسيح يشرفه أن يكون عبْداً . . . ولا يشرفه أن يكون إلهاً . . .
لأنه أول من يعلم حقيقته . . .

وأوّل من أعلن تلك الحقيقة . . . من أول لحظة نطق فيهـــا وهو في المهد . . . فقال :

« إنّي عبدُ اللهِ . . . » ! ! !

بل وأعظم سعادة عند المسيح أن يكون عبداً لله . . .

ويحزنه أشد الحزن . . . بل ويفزعه أشد الفزع . . . أن يقول الناس عنه أنه إله ! ! !

لأنه لم يقل لهم هذا . . . وإنما هم قالوه وزعموه ! ! !

« لَن يَسْتَنكِفَ المسيحُ أن يكون عبْداً للهِ . . .

« ولا الملائكةُ المقرَّبون . . .

« ومَن يَسْتنكِفْ عن عبادتِهِ ويستكبر فسيحْشُرُهم إليهِ جميعاً » !

لن يستنكف ؟ ! !

لن يأنَف المسيح أن يكون عبداً . . . لله . . .

بل على العكس . . . يشرف بذلك أعظم الشرف . . .

ولا الملائكة المقربون . . . ولن يستنكف كبار وعظماء الملائكة . . . أن يكونوا عباداً لله . . . بل يشرفون بعبوديتهم لله ! ! !

فما الذي أتعبكم . . . فظلمتم المسيح بدعواكم ألوهيته . . . وظلمتم أنفسكم أشد الظلم باعتقادكم الباطل . . .

وإنما تبطل فكرة تأليه المسيح . . . من أساسها . . .

إذا عُلِمَ أن الحقيقة التي هي حقيقة الحقائق . . . هي أن . . . لا إله . . . إلاّ الله . . .

أي لا إله . . . قطّ . . . إلاّ الله . . .

فلا مكان للمسيح . . . ولا لغير المسيح . . . ليكون إلهاً . . . لأنه مطلوب إله واحد . . . ليس أكثر من واحد . .

فلا مكان لغيره سبحانه . . . ليتأله ! ! !

وكما أن الذين جعلوا المسيح إلهاً . . . أساءوا إليه أشد الإساءة . . .

فإنهم كذلك قد أساءوا بالنسبة لله أكبر إساءة . . .

لأنهم نزلوا بالألوهية . . . إلى مستوى البشرية . . .

وحطّوا من مرتبة الألوهية . . .

وهبطوا بها إلى هاوية البشرية ! ! !

فلا هم أرضوا المسيح . . . ولا هم أرضوا الله . . .

وإنما أغضبوا المسيح حين رفعوه إلى إله . . .

وأغضبوا الله حين أنزلوا الألوهية إلى بَشَرية ! ! !

« لقد كَفَرَ الذين قالُوا إنّ الله هو المسيحُ ابنُ مريم قُلْ فمَن يملِكُ

مِنَ اللهِ شيئاً إنْ أراد أن يُهلِكَ المسيح ابن مريم وأمَّهُ ومَن في الأرضِ جميعاً ولله مُلْكُ السماواتِ والأرضِ وما بينهما يَخْلُقُ ما يشاءُ واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

« وقالتِ اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحِبّاؤهُ قُلْ فلِمَ يعذّبُكم بذُنُوبكم بلْ أنتم بَشَرٌ ممنْ خلَق يغفِرُ لمن يشاءُ ويُعذّبُ مَن يشاءُ ولله مُلكُ السماواتِ والأرضِ وما بينهما وإليه المصيرُ » ! ! !

ما المسيح

الا رسول

وأمه صديقة



يرفض القرآن العظيم . . .

رفضاً باتاً أي مساس بقضية التوحيد . . . من قريب أو من بعيد . . .

لأن التوحيد . . . مفتاح الأمر كله . . .

فإذا فسد منه شيء . . . فسد كل شيء . . .

ولبّ التوحيد . . . وخلاصته . . .

هو . . . لا إله إلاّ الله . . .

ومن هنا أسقط القرآن . . . إسقاطاً نهائياً . . . تلك السفسطة اللاهوتية . . .

التي تنتهي إلى ألوهية المسيح . . . أو أنه أحد ثلاثة . . .

فقال في قول فصل . . . لا لبس فيه ولا تأويل :

« لقَدْ كَفَرَ الذين قالوا إنّ الله هوَ المسيحُ ابنُ مريمَ . . .

« وقالَ المسيحُ يا بني إسرائيلَ اعبُدُوا اللهَ ربّي وربّكم . . .

« إنّهُ مَن يُشْرِكْ باللهِ فقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليْهِ الجنّةَ ومأواهُ النارُ وما للظالمينَ مِنْ أنصارٍ » ! ! !

حُكم . . . قاطع . . . ساطع . . . مانع . . . جامع . . .

لقد كفر الذين قالوا إن اللهَ هو المسيحُ ! ! !

رفض تام للادعاء من أساسه ! ! !

فماذا إذاً قال المسيح لهم ؟ !

وقال المسيح . . . اعبدوا الله ربّي وربّكم . . .

إذاً ما زعموه من أن الله هو المسيح . . . لم يقله المسيح . . . وإنما هم زعموه ! ! !

بل وحذرهم من مجرد الشرك . . . إنه من يشرك بالله فقد حَرَّم الله عليه الجنّة . . .

ومستحيل أن مَن يقول لهم هذا . . . يقول لهم أنه الله ! ! !

ثم ماذا ؟ ! ! . . . ثم يرفض القرآن رفضاً حاسماً قاطعاً . . . فكرة التثليث . . . الآب والإبن والروح القدس . . . إله واحد . . . يرفضها ويُسقطها من أساسها . . . فيقول :

« لقَدْ كَفَرَ الذين قالوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ وما مِن إلهٍ إلاّ إلهٌ واحدٌ..

« وإن لمْ ينتهُوا عمّا يقولونَ ليَمَسّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم .

« أفَلا يتوبُونَ إلى اللهِ ويستغْفِرُونَهُ واللهُ غفورٌ رحيمٌ » ! ! !

رفض تام لعقيدة التثليث . . .

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثة . . . الآب والإبن والروح القُدُس . . .

وما من إله . . . إلاّ إلهٌ واحدٌ ! ! !

جميلة جداً . . . أي مجرد جعل الله أحد ثلاثة . . . يبطل ألوهيته . . . لأن هناك شركاء له . . .

وإنما ينبغي لكي يكون الإله إلهاً . . . أن يكون واحداً ! ! !

فلما أسقط ما قالوا . . . لم يكن ليدعهم في فراغ . . .

وإنما تقدّم فوراً . . . إلى التصحيح فقال :

« **ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاّ رسُولٌ . . .**

« **قَدْ خلَتْ مِنْ قبْلِهِ الرسُلُ . . .**

« **وأمهُ صِدّيقَةٌ . . .**

« **كانا يأكُلانِ الطعَامَ . . .**

« **انظُرْ كيف نُبيِّنُ لهمُ الآياتِ ثم انظُرْ أنّى يُؤفكُونَ » ؟ ! !**

أسلوب عجيب في علاج الأمر . . .

تخلية . . . ثم تحلية . . .

تفريغ . . . ثم شحن . . .

غسيل مخ . . . ثم ملء المخ بالفكرة الصحيحة ! ! !

أسقط من أفكارهم ما يعتقدون في المسيح . . .

ثم قدّم لهم الفكرة الصحيحة عن المسيح . . . حتى لا يتركهم في فراغ ! !

ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول . . .

مجرد رسول . . . ليس هو الله . . . ولا هو ثالث ثلاثة . . . وإنما رسول . . . وحسبه هذا . . . وما خلقناه إلاّ ليكون رسولاً . . .

ولم يحدث . . . ولن يحدث . . . أن أخلق مخلوقاً . . . ليكون إلهاً . . .

لأن الإله لا يُخْلَق ! ! !

قد خلت من قبله الرسل . . . ظاهرة طبيعية . . . آلاف من الأنبياء . . . وعشرات من الرسل . . . مضوا قبله . . . وكانت لهم معجزات كما كان لعيسى معجزات . . . فما وجه العجب من عيسى ؟ ! !

فليس عيسى إلهاً . . .

وليست أمه مريم . . . أم إله . . . وإنما هي . . .

« وأمّه صدّيقة » قديسة . . . تقدّست لنا . . . وأخلصت لنا . . . وصدّقت بكلمات ربها وكتبه . . .

هذه مريم . . . وهذه مرتبتها . . . فكيف تزعمون أنها أم الإله . . . كيف . . . ومتى صحّ أن يكون للإله أمّ ؟ ! !

فإن استعصى على عقولكم... أن تصدقوا أن عيسى مجرد رسول ... وأن أمه مجرد صدّيقة . . . وأصررتم على جعل المسيح إلهاً . . . ومريم أمّاً للإله ...

فانتبهوا على تلك الحقيقة . . .

كانا . . . يأكلان . . . الطعام . . .

كان المسيح . . . يأكل ويشرب . . .

وكانت مريم ... تأكل وتشرب . . .

ومَن أكَل وشرب . . . تحتّم أن يبول ويتغوّط . . .

فهل تتصورون أن الإله . . . يأكل الطعام . . . ويقضي الحاجة ؟ ! !

أين عقولكم . . . وكيف ألغيتموها ؟ ! !

انظر كيف نبين لهم الآيات . . . البراهين . . .

ثم انظر أنّى يؤفكون ؟ ! !

ثم يمضي في عملية التصحيح . . . وملء الفراغ . . . فيقول :

« قُلْ أتعبُدُونَ مِن دونِ اللهِ ما لا يملِكُ لكُم ضَرّاً ولا نَفْعاً واللهُ هو السميعُ العليمُ .

« قُلْ يا أهْلَ الكتابِ . . .

« لا تَغْلُوا في دينِكُم غيرَ الحقّ . . .

« ولا تتّبعوا أهواءَ قومٍ قدْ ضلّوا من قَبْلُ . . .

« وأضَلّوا كثيراً . . .

« وضَلّوا عن سواءِ السبيلِ » ! ! !

في هذه الآية إشارة إلى قصة الصراع الطويل . . . في تاريخ المسيحية . . . حول ما يعتقدون في شأن المسيح . . . حتى استقروا عند فكرة التثليث . . .

ضلّوا من قبل . . .

وأضلوا كثيراً . . . حين فرضوا عليهم ما استقروا عليه من عقائد. . .

وضلوا عن سواء السبيل . . . عن الرأي الصحيح ...

أي حاروا . . . وحيّروا . . . وما زالوا حائرين ! ! !



أنا

أولى الناس

بابن مريم



« عن أبي هريرة رضي الله عنه . . .

« قال سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ . . .

« أنا أوْلى الناسِ بابنِ مرْيمَ . . .

« والأنبياءُ أولادُ علاّتٍ . . .

« ليس بيني وبينَهُ نبيّ » ! ! !

(أخرجه البخاري)

« أنا أولى الناس بابن مريم » أي بعيسى بن مريم . . . أي أخص الناس به . . . وأقربهم إليه . . . لأنه بشّر بأنه يأتي من بعدي رسول اسمه أحمد . . .

« وقيل : لأنه لا نبي بينهما . . . فكأنهما كانا في زمن واحد . . .

« أولادُ علاّتٍ » وهم الإخوة لأب . . . من أمهات شتى . . . كما أن الإخوة من الأم فقط أولاد أخياف . . . والاخوة من الأبوين أولاد أعيان . .

« ومعناه أن أصولهم واحدة . . . وفروعهم مختلفة . . .

« يعني أنهم متفقون فيما يتعلق بالاعتقاديات ... المسماة بأصول الديانات.. كالتوحيد وسائر مسائل علم الكلام . . .

« مختلفون فيما يتعلق بالعمليات . . . وهي الفقهيات . . .

« ويقال سميت أولاد الرجل من نسوة شتى . . . إخوة علاّت » . . . لأنهم أولاد ضرائر . . . والعلاّت الضرائر . . .

« ليس بيني وبينه نبي » أي وبين ابن مريم . . .

« وفي رواية . . . عبد الرحمن بن آدم . . . وأنا أولى الناس بعيسى لأنه لم يكن بيني وبينه نبي » ! ! !

* * *

« وعن أبي هريرة قال . . .

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

« أنا أولى الناس بعيسى بنِ مريمَ . . .

« في الدنيا والآخرة . . .

« والأنبياءُ إخْوَةٌ لعَلاّتٍ . . .

« أمّهاتُهُم شتّى . . .

« ودينُهُم واحِدٌ » ! ! !

(أخرجه البخاري)

جمال عجيب . . . قوله . . . صلى الله عليه وسلم « الأنبياء إخوةٌ » ؟ ! !

وجمال ليس كمثله جمال . . . قوله . . . صلى الله عليه وسلم . . . « أمهاتهُم شتى . . . ودينُهُم واحدٌ » ! ! !

أسرة واحدة . . . أسرة . . . لا إله إلاّ الله . . .

الأنبياء جميعاً . . . إخوة . . . من آدم . . . إلى محمد . . .

ودينُهُم واحد . . .

دينهم . . . لا إله إلاّ الله . . .

لن يخرج نبي عنها . . .

وإذا رأيت أحداً يدعو . . . إلى شيء يخالف . . . لا إله إلاّ الله . . . فاعلم فوراً أنه كاذب . . . أو كُذِبَ عليه . . .

لأن مَن دعا . . . إلى شيء غير . . . لا إله إلاّ الله . . . فهو دعيّ . . . أي متنبي . . . وليس بنبيّ . . .

وإن قيل أنه دعا . . . إلى غير . . . لا إله إلاّ الله . . . فاعلم أن الناس كذَبوا عليه . . . ونسبوا ذلك إليه زُوراً وبهتاناً . . .

مستحيل . . . ثم مستحيل . . . ثم مستحيل . . .

أن يدعو نبيّ ما . . . الناس . . . إلاّ . . . إلى . . . لا إله إلاّ الله . . .

ولا أريد أن أحشد هنا . . . النصوص القرآنية . . . الدالة على ذلك . . .

وإنما ننظر إلى الموضوع . . . نظرة عقلية . . .

وهي النظرة التي يمكن أن يتفق عليها جميع الناس . . .

ذلك أن العقل السليم . . . يقول بأن لهذا الوجود . . . إلهاً واحداً . . .

وهذه الحقيقة البسيطة . . . هي التي تحتم . . . أن تكون دعوة جميع الرسل . . . أن يقولوا للناس . . . لا إله إلاّ الله . . .

أي ينبهوهم . . . إلى أبسط حقيقة . . . حقيقة . . . وجود إله واحد للوجود ! ! ! !

ومستحيل أن يتناقض الله مع نفسه . . . فيقول لرسله . . . قولوا للناس أن هناك إلهاً أو آلهة غيري . . .

بينما هو يعلم . . . أن لا إله إلاّ هو . . .

فكيف يدعو الناس ... إلى ما لا يعلمه عن نفسه ؟ ! !

العقل السليم ... يهتدي ... إلى ... لا إله إلاّ الله ... تلقائياً ...

وإنما كانت الرسُل ... لتأكيد تلك الحقيقة للجميع ... حتى لا تكون موضع خلاف بينهم ... وتذكيرهم إياها ... فقد ينساها الناس في زحمة الحياة ... وتطاول القرون ! ! !

دينُهُم ... واحدٌ ؟ ! !

دينهم ... لا إله إلاّ الله ...

إن منهم إلاّ دعا إليها ... ومستحيل أن يدعو نبي إلاّ إليها ! ! !

« ما كانَ لبَشَرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحُكمَ والنبوّةَ ...

« ثمَّ يقولَ للناسِ ...

« كونوا عِباداً لي ...

« من دونِ اللهِ ... ..

« ولكن كونُوا ربّانيِّين ...

« بما كُنْتُم تُعَلِّمونَ الكتابَ وبما كُنتم تدْرُسُونَ » ! ! !

ما كان لبَشَر ؟ ! !

مستحيل أن يكون هذا ...

مستحيل أن يؤتي الله بشراً ... الكتاب والحُكم والنبوة ... ثم يقول للناس ...

كونوا ... عباداً ... لي ....! ! !

مستحيل ... أيها الأغبياء ... أن يحدث هذا من نبيّ ...

مستحيل ... أن يأتي بشر ... كعيسى ابن مريم ... مثلاً ... أعطيه الإنجيل ... والحكمة ... والنبوة ... ثم يقول لكم ... كونوا عباداً لي ... كونوا عباداً للمسيح ...

مستحيل ... لو كان لكم عقل ! ! !

إن زعمكم أن المسيح ... إله ...

معناه أنكم ... عباد له ...

وأنتم عبادي ... أنا ...

واستم ... عباداً ... للمسيح ...

فكيف يكون هذا ؟ ! !

ثم ماذا ؟ ! ! ... ثم الاستحالة الثانية ... استحالة أن يأمر ... نبيّ ... ما ... أن يتخذوا ... الملائكة ... أرباباً ...

أن يتخذوا ... الروح القُدُس ... أي جبريل ... ربّاً ... أقنوماً ثالثاً ... ويقدسوه ! ! !

وما جبريل هذا ... مهما كان مقامه ... ومهما كانت قوته ... ومهما كان عظم اختصاصه ...

مَن يكون ... ليُعبد من دون الله ؟ ! !

إنه مجرد ... عبد ...

فكيف يصلح ... أن يكون إلهاً ؟ ! !

ثورة عظمى ... تُثار لتزلزل غباء العقول ... ودهاء الدهاقين ...

وفلسفة رجال الكهنوت . . .

ثورة . . . تقول :

« ولا يأمُرُكُم أن تتّخِذُوا الملائكةَ . . .

« والنبيّينَ . . .

« أرباباً . . .

« أيأمُرُكم بالكُفرِ . . .

« بعدَ إذْ أنتم مسلمونَ » ! ! !

ما كان لبشر . . . أن يؤتيه الله . . . الكتاب . . . والحُكم . . . والنبوة . .

أن يأمُرَكم . . . أن تتخذوا . . . الملائكة . . .

أن تتخذوا . . . الروح القُدُس . . . أن تتخذوا جبريل . . .

والنبيين . . . أن تتخذوا . . . عيسى ابن مريم . . .

أرباباً . . . كما تقولون ... ربنا يسوع المسيح ! ! !

وكما تقولون « الآب . . . والإبن . . . والروح القُدُس . . . إلـه واحد » . . .

أيأمركم بالكفر . . . أيأمركم بما يضاد الحقيقة . . .

بعدَ إذ أنتم مسلمون . . . بعدَ أن خلقتكم على الفطرة . . . فطرة لا إله إلاّ الله . . .

أيعقل أن يأتي بشر . . .

آتيته الإنجيل . . . والنبوة . . . فيأمركم بما يضاد فطرتكم ؟ ! !

ثم ماذا . . . بعد أن سجّل . . . هاتين الاستحالتين ؟ ! !

ثم تصحيح عام . . . للأفهام . . . في جميع الأنام . . .

« وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيِّينَ لما آتيتكم مِن كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معَكم لتؤمِنُنَّ به ولتَنْصُرُنَّهُ قال أأقررْتم وأخذْتم على ذلِكم إصْري قالوا أقرَرْنا قالَ فاشهَدُوا وأنا معكم مِن الشاهدين !!!

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين . . . وإذ فرض الله . . . على جميع النبيين . . . على آلاف النبيين . . . نبيّاً نبيّاً . . . فرضنا عليه هذا الميثاق . . .

أن يُصدِّق كل نبيّ . . . بكل نبيّ . . . بما قبله من جميع الأنبياء . . . وبما بعده من الأنبياء . . .

لأنهم جميعاً . . . إخوة . . . دعاة كلمة واحدة . . . لا إله إلاّ الله . . .

داعون إلى إله واحد . . . هو الله ! ! !

ثم ماذا ؟ ! . . . ثم تصحيح للعقول جميعها . . . وتعليم لها ماذا تقول . . . ليكون قولها صحيحاً . . . منتظماً مع الحقيقة العظمى . . . التي تنتظم الكائنات كلها عليها . . .

« أفغيْرَ دينِ الله يبغُونَ ولهُ أسْلمَ مَن في السماواتِ والأرضِ طوْعاً وكرْهاً وإليهِ يُرْجعونَ » ! ! !

هذا دين الله . . . الصحيح . . .

لهُ أسلَمَ مَن في السماوات والأرض . . .

كل شيء أسلمَ . . . لله . . .

كل شيء انتظم . . . على . . . لا إله إلاّ الله ! ! !

ثم يُعلمنا جميعاً . . . ماذا ينبغي أن نقول . . . لننتظم مع الكائنات

كلها . . . في سيمفونية واحدة . . .

«قُلْ . . .

«آمنّا باللهِ . . .

«وما أُنزِلَ علينْا . . .

«وما أُنزِلَ على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباط . . .

«وما أوتيَ موسى . . .

«وعيسى . . .

«والنبيُّونَ مِن ربِّهم . . .

«لا نفرّقُ بينَ أحَدٍ منِهم . . .

«ونحنُ لهُ مُسلمونَ» ! ! !

لا نُفرّق . . . بين أحَدٍ . . . منهم . . .

لأنهم . . . جميعاً . . . إخوة . . .

لأنهم . . . جميعاً . . . دعوا إلى . . . كلمة واحدة . . . لا إله إلاّ الله ! ! !

لا تطروني

كما أطرت النصارى

ابن مريم



تُؤْتي الأمم ...

من هاهنا ... من الإعجاب ... من الحُبّ ...

والإعجاب والحُب ... أخطر مرض ... يُصيب الأمم ... فيدفعها إلى نسج الأساطير ... واختراع التهاويل ... في شأن أبطالها ...

وشيئاً فشيئاً ... يصير هؤلاء الأبطال ... أبناء آلهة ... ثم آلهة » ! !

آفة ... مرض خطير ... يسري في كيان الشعوب ... كل الشعوب... ومصدره الحُب والأعجاب ! ! !

فالبداية حسنة ... ولكن النهاية سيئة ! ! !

والجبابرة ... من الملوك والأكاسرة والقياصرة ...

يعلمون بدهاء السياسة ... وخبث الألاعيب السياسية ...

يعلمون هذا من شعوبهم ... فتراهم يستغلون غباء الجماهير... فيسوقونهم سوق الأنعام إلى تقديسهم ...

ليسهل عليهم بعد ذلك ... التأله عليهم ... فإذا أمروهم أطاعوا ! ! !

وما قصة هذا المسمى ... فرعون ... عن الآذان ببعيدة ...

وفرعون ... نموذج لكل حاكم ديكتاتور ... لا يرضى إلاّ أن يتعالى على شعبه ... ويسجد له الشعب ...

« وإنّ فرعَوْنَ لعَالٍ في الأرضِ ... » ! ! !

وكثير من الناس . . . لضعف عقولهم . . . يخنعون لهؤلاء الآلهة من البشر . . . وهم يسبحون ! ! !

ويُنمّي هذا الديكتاتور فيهم . . . جهالتهم . . . بأجهزة الدعاية والإعلام التي تحت سلطانه . . .

ومع مرور الوقت يألف الناس . . . عبادة الحاكم . . . والثناء على الحاكم . . . وينسى الشعب الإله الحقيقي . . . والثناء على الإله الحقّ . . .

وحين أعلنها . . . القبيح . . . بلا استحياء :

« أنا ربُّكُمُ الأعلى » ! ! !

كان يعلم أن هناك من البهائم البشَر . . . من عنده استعداد . . . ليتلقاها ! ! !

آفة . . . أخطر آفة . . . تصيب الشعوب . . . وتضرب التوحيد الصحيح ضربة قاضية ! ! !

والمجرمون . . . أكابر مجرميها . . . من أهل السُلطة . . . في كل زمان . . . هم ألد أعداء . . . للأنبياء . . . على الإطلاق . . .

لسبب بسيط . . .

أن الأنبياء . . . يدعون الجماهير . . . إلى الإله الحقّ . . .

وهؤلاء يدعون الجماهير . . . إلى عبادتهم هم . . .

فهناك تضاد بين الاتجاهين . . .

فتحتم . . . أن يكون الجبابرة . . . أوّل من يضاد الأنبياء . . .

« وكذلكَ جعَلْنا لكُلّ نبيٍّ عَدُوّاً مِنَ المجرمين . . . » ! ! !

فإذا كان الحاكم . . . بطلا تاريخياً . . . حقّق انتصارات لشعبه . . .

كان الشعب بالطبيعة مستعداً لأن ينسج الأساطير . . . حول البطل . . .

وأن يحوله شيئاً فشيئاً . . . إلى إله معبود . . .

وإنما تندفع الشعوب . . . من منطلق الحُبّ والإعجاب بالبطل . . .

فتتناقل الأساطير . . . والتهاويل . . . حتى يتحول القائد المنتصر . . . إلى خرافة مقدسة . . .

هذا في الدنيا . . . وملوك الدنيا . . .

إلاّ أن الإنسان هو الإنسان . . . فكما أنه يميل إلى التهاويل في شأن أبطال الدنيا . . .

فإنه يميل كذلك ... إلى التهاويل في شأن أبطال الدين ... وعلى رأسهم طبعاً الأنبياء . . .

فترى كثيراً من النـــاس . . . يهتمون أشد الاهتمام . . . بمعجزات الأنبياء . . . وكرامات الأولياء . . .

إشباعاً لرغبتهم في التهاويل حول الأبطال . . .

أما رسالات الأنبياء . . . وشرائع الأنبياء . . . وعظمة الأنبياء الشخصية ... فليس لها في أنفسهم . . . الرنين الذي تحدثه الخوارق والمعجزات والكرامات !

أما أهل العلم . . . في كل دين . . . وهم دائماً قليل . . .

فلا يلتفتون إلاّ قليلاً . . . إلى خوارق الأنبياء . . .

وإنما اهتمامهم ينصب على الرسالة نفسها . . . وعلى الرسول نفسه . . .

وينصب على سيرة الوليّ وسلوكه . . . وسمو شخصيته . . .

وليس : كم له من كرامات ؟ ! !

ولقد حذّر . . . النبي . . . صلى الله عليه وسلم . . . الأمة كلها . . . من هذا المرض الوبيل . . .

حذّرها . . . من أن يدفعها . . . حُبّه . . . وتعظيمه . . . إلى أن تزعم فيه المزاعم . . . كما زعمت النصارى . . . في عيسى ابن مريم . . . المزاعم . .

« عن ابن عباسٍ . . .

« سمعَ عُمَرَ رضي الله عنه يقولُ على المِنبر . . .

« سمعتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقولُ . . .

« لا تُطروني . .

« كما أطْرَتِ النصارى ابنَ مريمَ . . .

« فإنّما أنا عَبْدُهُ . . .

« فقولُوا عَبْدُ اللهِ ورسُولُهُ » ! ! !

(أخرجه البخاري)

« لا تُطروني » من الإطراء . . . وهو المديح بالباطل . . . تقول أطريت فلاناً مدحته فأفرطت في مدحه . . . وقيل الإطراء . . . مجاوزة الحد في المدح والكذب . . .

« كما أطرت النصارى » أي في دعواهم في عيسى . . . بالإلهية . . . وغير ذلك . . .

« فإنما أنا عبده » إلى آخره . . . من هضمه نفسه . . . وإظهاره التواضع »

فإنما أنا عبدُه ؟ ! !

يقول محمد . . . صلى الله عليه وسلم . . . فإنما أنا عبده ! ! !

طبق الأصل ... كما قال ... عيسى ... عن نفسه ... وهو في المهد ...

«قالَ إنِّي عبْدُ اللهِ ...» !!!

سبحان الله ...

كلمة الحقّ واحدة !!!



صورة

المسيح



قال تعالى . . .

«. . . اسمُهُ المسيحُ . . .

« عيسى ابنُ مريمَ . . .

« وجيهاً في الدنْيا . . .

« والآخرةِ ومِنَ المقرّبينَ » ! ! !

وجيهاً ؟ ! !

هذه هي صورة المسيح . . . أو هيأة المسيح . . .

وجيهاً ؟ ! ! . . . ذا وجْه . . . ومنزلة عالية ! ! !

شخصية جذّابة . . . تتوجه إلى رؤيتها الوجوه . . وتنجذب إليها . . .
ولا تصبر على فراقها . . .

ولكن كيف كانت صورته ؟ ! !

« عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . . .

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ أسْري به . . .

« قالَ ولقيتُ عيسى . . .

« فنَعَتَهُ النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالَ . . .

« ربعَةٌ أحْمَرُ . . .

« كأنما خرجَ مِن ديماسٍ ...

« يعني الحَمّامَ ...

(أخرجه البخاري)

« فنعته » أي وصفه ...

« رَبْعَة » وهو المربوع ... والمراد أنه ... وسَط ... لا طويل ولا قصير ...

وأخرج البخاري كذلك :

« ذكَرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم يوْماً بين ظهرَي الناس ...

« وأراني الليلةَ عِند الكعبةِ في المنامِ ...

« فإذا رجُلٌ آدَمُ كأحسَنِ ما يُرى من أدْمِ الرجال ...

« تضْرِبُ لِمّتَهُ بين منكبيْهِ ...

« رَجِلُ الشّعَر ...

« يقْطُرُ رأسُهُ ماءً ...

« واضِعاً يديهِ على منكبيْ رجُلَيْنِ ...

« وهوَ يطوفُ بالبيتِ ...

« فقُلْتُ مَنْ هذَا ؟ ..

« فقالوا هذا المسيحُ بن مريمَ ... » ! ! !

« لِمته » وهي الشعر إذا جاوز شحم الأذنين ... سميت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين ...

« رجيلُ الشعر » بمعنى . . . منظف الشعر . . . ومسرحه . . . ومحسنه ... وهو من الترجيل . . . وهو تسريح الشعر وتنظيفه . . .

« تقطر رأسه ماء » وهو الماء الذي رجلها به . . . لقرب ترجيله . . . وهو استعارة من نضارته وجماله ! ! !

* * *

وقال عباس العقاد . . . في كتابه « حياة المسيح » . . .

« من أقدم الصور الوصفية التي حفظت للسيد المسيح . . . صورة تداولها المسيحيون في القرن الرابع ... وزعم رواتها أنها كتبت بقلم بيليوس لنتيولس ... صديق بيلاطس ... حاكم الجليل ... من قبل الدولة الرومانية . . . رفعها إلى مجلس الشيوخ الروماني . . . في عصر الميلاد . . . وجاء فيها . . .

« إنه في هذا الزمن ظهر رجل . . .

« له قوى خارقة . . .

« يسمى يسوع . . .

« ويدعوه تلاميذه بابن الله . . .

« وكان للرجل سمت نبيل . . .

« وقوام بين الاعتدال . . .

« يفيض وجهه بالحنان والهيبة معاً . . .

« فيحبه من يراه ويخشاه . . .

« شعره كلون الخمر . . .

« منسرح غير مصقول . . .

« ولكنه في جانب الأذن أجعد لمّاع . . .

« وجبينه صلت ناعم . . .

« وليس في وجهه شية . . .

« غير أنه مشرب بنضرة متوردة . . .

« وسيماه كلها صدق ورحمة . . .

« وليس في فمه ولا أنفه ما يُعاب . . .

« وعيناه زرقاوان تلمعان . . .

« مخيف إذا لام أو أنّب . . .

« وديع محبب إذا دعا وعلّم . . .

« لم يره أحد يضحك . . .

« ورآه الكثيرون يبكي . . .

« وهو طويل له يدان جميلتان مستقيمتان . . .

« وكلامه متزن رصين لا يميل إلى الإطناب . . .

« وملاحته في مرآه تفوق المعهود في أكثر الرجال » ! ! !

ثم يقول العقاد :

« إلا أن هذه الرواية مشكوك فيها . . . وفي اسنادها التاريخية . . .

« ومثلها جميع الروايات التي تداولها الناس في ذلك العصر أو بعده » . . .

* * *

قلت . . . إن أجمع وصف . . . لصورة المسيح . . . عليه السلام . . .

هو قوله تعالى : « وجيهاً » ! ! !

وجْهاً . . . شريفاً . . . ليس كمثل جماله جمال . . .

وجْهاً . . . تتشعشع منه . . . أمواج السلام . . . والرحمة . . . والتواضع.
والحنان ! ! !

وجْهاً . . . جذّاباً . . . تنجذب إليه الوجوه ! ! !

لأنه . . . أحبّها . . .

ولأنهم . . . أحبّوه ! ! !

وجْهاً . . . تتمثل فيه . . . النبوة . . . والرسالة . . . وكلمة من الله . . .
وروح منه . . .

وجْهاً . . . كان مثالاً . . . لكل القيم السماوية العليا . . .

« إنْ هوَ إلاّ عبْدٌ . . .

« أنعَمْنا عليْهِ . . .

« وجَعَلْناهُ مَثَلاً . . .

« لبني إسرائيلَ » ! ! !

مَثَلاً ؟ ! !

مثال . . . لكل مثال

يعجز عنه المقال ! ! !



لقاء

في السماء

في ليلة الإسراء ؟



أخرج البخاري :

« عن أنَس بنِ مالكٍ ...

« عن مالك بن صعْصعةَ ...

« أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ...

« حدّثهم عن ليلةَ أسْرِيَ بهِ ...

« ثم صَعِدَ حتى أتى السماءَ الثانيةَ ...

« فاستفتحَ ...

« قيلَ : مَن هذا ؟!

« قال : جبريلُ ...

« قيل : ومَن معَكَ ؟

« قال : محمدٌ ...

« قيل : وقَدْ أرسِلَ إليْهِ ؟

« قال : نعم ...

« فلمّا خلَصْتُ ... فإذا يحيى وعيسى ...

« وهُما ابْنا الخالةِ ...

« قال : هذا يحيى وعيسى ... فسَلِّمْ عليْهما ...

« فسلّمتُ . . .

« فردّا . . .

« ثم قالا : مرْحباً بالأخِ الصّالح والنبيّ الصالح » ! ! !

« فلما خلّصتُ » – أي للصعود إلى السماء الثانية. . . ووصلت إليها . . .

لقد كان لقاء جميلاً . . .

محمد . . . يسلم على يحيى . . . وعيسى . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

ويحيى . . . وعيسى . . . يردان عليه . . .

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . . .

مرْحبا بالأخِ الصالحِ . . .

والنّبيّ الصالح ! ! !

كان ذلك في السماء الثانية . . .

في ليلة الإسراء ! ! !

مائدة

من

السماء



قال تعالى :

« إذْ قالَ الحوَاريّونَ يا عيسى ابنَ مريمَ هلْ يستطيعُ ربُّكَ أن يُنَزّلَ علينا مائدةً منَ السماءِ قالَ اتّقُوا اللهَ إن كنتُم مؤمنينَ » ! ! !

سؤال عجيب . . . ليس فيه الأدب اللازم . . . من الإنسان نحو الله . . .

هل يستطيع ؟ ! !

إن الحواريين . . . ما زالوا في حاجة إلى تعليم . . .

إنهم في طريق الترقي . . .

إن المسيح يعلمهم . . . ويسمو بهم إلى ما هو أعلى . . .

اتقوا الله . . . إن كنتم مؤمنين . . .

لا ينبغي أن يكون منكم . . . مثل هذا السؤال . . . ولا مثل هذا التعبير . . . هل يستطيع ؟ ! ! . . أوَ لا تعلمون أنه على كل شيء قدير ؟ ! !

فألحوا . . . وأصرّوا . . . وكرروا المطلب . . .

« قالوا نُريدُ أن نأكل مِنها وتطمئنَّ قلوبُنا ونعْلَمَ أن قدْ صدَقْتنا ونكونَ عليْها مِنَ الشاهدينَ » ! ! !

ونعْلَمَ أن قد صدَقتنا ؟ ! !

تعبير لا ينبغي . . . إنهم يريدون دليلاً محسوساً . . . طعاماً . . . يوضع أمامهم . . . ومنه يأكلون ! ! !

« قالَ عيسى ابنُ مريمَ . . .

« اللهُمَّ ربّنا أنزلْ علينا مائدةً مِنَ السماءِ . . .

« تكونُ لنا عِيداً لأوّلِنا وآخِرنا وآيةً منكَ . . .

« وارزُقنا وأنتَ خيرُ الرازقينَ » ! ! !

فوُضعوا في تجربة مع الله . . .

وكان ينبغي أن لا يضعوا أنفسهم في تلك التجربة . . .

« قالَ اللهُ إنّي مُنزِّلُها عليكم . . .

« فمن يكفُرْ بعدُ منكم . . .

« فإنّي أعذّبُه عذاباً لا أعذّبُهُ أحداً منَ العالمينَ » ! ! !

فلمّا سمعوا التهديد والوعيد . . .

وخافوا أن يدخلوا في تجربة . . .

قالوا : لا حاجة بنا إليها ! ! !

فلم تنزل . . .

وهذا رأي . . . فريق . . . من المفسرين ! ! !

والله أعلم ! ! !

يا عيسى ابن مريم

أأنت

قلت



هذا هو الفصل الأخير ...

من قصة المسيح العظمى ...

مشهد ... سوف يكون ... على مسمع ... ومشهد ... من جميع الناس ... من آدم إلى آخر فرد يكون من البشر ! ! !

هذا هو الحُكم ... في القضية ... الكبرى ... قضية المسيح ...

« وإذْ قالَ اللهُ ...

« يا عيسى ابنَ مريمَ ...

« أأنتَ قلتَ للناسِ اتخِذُوني وأُمّيَ إلهَينِ من دونِ اللهِ ...

« قالَ سُبْحَانَكَ ...

« ما يكونُ لي أن أقولَ ما ليسَ لي بحقٍّ ...

« إن كُنتُ قُلتُهُ فقَدْ علمتَهُ ...

« تعْلَمُ ما في نفسي ولا أعلَمُ ما في نفسِكَ ...

« إنّكَ أنتَ علاّمُ الغيُوبِ » ! ! !

الله ... يسأل ...

والمسيح ... يجيب ...

ليسمع أهل القيامة جميعاً ... السؤال والجواب ...

ويعلموا . . . الحقّ . . . من قضية المسيح . . . التي فيها يختلفون ! ! !

الله – يا عيسى ابنَ مريمَ . . . أأنتَ قُلتَ للناس . . . اتخذوني . . . وأمّيَ . . . إلهيْن . . . مِن دونِ الله . . . ؟ ! ! !

سؤال رهيب . . .

أأنت قلت . . . أنك إله . . . وأنّ أمّك . . . أمّ إله ؟ ! !

عيسى – سبحانَكَ ! ! !

أنزّهك التنزيه اللائق . . . بجلال وجهك . . . وعظيم سلطانك . . .

– ما يكونُ لي أن أقولَ . . . ما ليسَ لي . . . بحقٍّ ! ! !

مستحيل أن أقول هذا . . . لأنني عبد . . . ولا يحق للعبد . . . أن يزعم أنه إله . . .

مستحيل أن يكون هذا مني ! ! !

– إن كُنتُ قُلتُهُ . . . فقَدْ علمتَهُ . . .

لم يحدث قط . . . أن قلت لهم هذا . . . وإن كنت فرضاً قلته . . . فقد علمتَهُ . . . فإنه لا يغيب عن علمك شيء في الأرض ولا في السماء . . .

– تَعلمُ ما في نفسي . . .

ولا أعلمُ ما في نفسِكَ . . .

إنّكَ أنتَ علاّمُ الغُيُوبِ ! ! !

ويواصل المسيح جوابه . . . على السؤال :

« ما قُلْتُ لهُمْ إلاّ مَا أمَرْتَني بهِ . . .

« أنِ اعبُدُوا اللهَ ربّي وربَّكُمْ . . .

« وكنتُ عليهمْ شهيداً ما دُمْتُ فيهمْ . . .

« فلمّا توَفّيتني . . .

« كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهمْ . . .

« وأنتَ على كلّ شيء شهيدٌ » ! ! !

اعبُدُوا . . . اللهَ . . .

ربّي . . . وربَّكم . . .

هذا ما قلته لهم . . . وغير هذا لم أقله قط. . . ولم يصدر عني قط !!!

ثم يفوّض المسيح . . . أمرهم جميعاً . . . إلى الله . . . فيقول :

« إن تُعذّبْهم فإنّهم عبادُك . . .

« وإنْ تغفرْ لهُمْ فإنّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ » ! ! !

فيصدر الحُكم . . .

في أكبر قضية . . . قضية المسيح . . .

« قال اللهُ . . .

« هذا يومُ ينفعُ الصادقين صِدْقُهُم . . .

« لهُمْ جنّاتٌ تجري مِن تحتِها الأنهارُ . . .

« خالدينَ فيها أبَداً . . .

« رضيَ اللهُ عنهُمْ . . .

« ورَضُوا عنهُ . . .

« ذلكَ الفوْزُ العظيمُ » ! ! !

هذا هو منطوق . . . الحُكم . . . في أكبر قضية . . . قضية المسيح . . .

« هذا يومٌ ينفعُ الصادقينَ صِدقُهُم . . . » ! ! !

أي . . . صَدَقْتَ . . . يا عيسى ابن مريم ! ! !

وكان حُكماً . . . ليس كمثله حُكم . . .

لأنه صادر . . . من الذي . . . ليس كمثله شيء ! ! !

المسيح

كما يراه

ابن العربي



ابن العربي ...

عملاق المعرفة ... ونادرة الكشف ...

يفك طلسم ... المسيح ...

ويتحدث عنه ... حديث الذوق ... والكشف ...

نثبت هنا ... ما قاله عن المسيح ... في كتابه « فصوص الحِكَم » ... مختصراً ...

وما قاله الإمام القاشاني ... شرحاً عليه ...

وننبه أن آراء ابن العربي ... ليست ملزمة لأحد ...

فمن كان يطيقها ... فهنيئاً له ...

ومن كان لا يطيقها ... فلينصرفْ عنها ...

وإنما أثبتناها ... لنضيف موجة جديدة ... عن حياة المسيح ...

لعلها تكشف لنا ... شيئاً من عجائب حياته ...

فماذا قال ؟ ! !

* * *

فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية

قال القاشاني :

« إنما اختصت الكلمة العيسوية بالحكمة النبوية ... وإن كان جميع هذه الحكم نبوية ... لأن نبوته فطرية غالبة على حاله ...

« وقد أنبأ عن الله في بطن أمه بقوله ... لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً — .

« وفي المهد بقوله — آتاني الكتاب وجعلني نبياً — .

« وختم الولاية عليه ... والله أعلم » .

يفتتح ابن العربي ... باستفهام جميل :

(عن ماء مريم أو عن نفخ جبرين ... في صورة البشر الموجود من طين تكون الروح في ذات مطهرة من الطبيعة تدعوها بسجين) ؟

« لما كانت النبوة مدرجة في الكلمة الإلهية ... التي هي حقيقة عيسى ... الملقب بروح الله ... في ذات مطهرة من عالم الطبيعة ... في حالة كونك تدعو تلك الطبيعة أو يدعوها ... الظاهرة في صورة بشرية طبيعية ... احتمل تكونه من ماء مريم لنشأته الطبيعية ... فإنها نفس طاهرة ... منبأة من عند الله ... بما يكون عنها ... في قوله تعالى — إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ...

« ومن نفخ جبريل ... فإنه الروح الأمين على أنباء الله ... التي أنبأ لها جميع الأنبياء عن الحق ... ومنهما جميعاً بحسب روحانيته وجسمانيته ... فاستفهم عن وجود نشأته ...

« أنه من أيهما تكون ؟ . . . لاحتمال الجميع في النظر العقلي . . .

« فقال : أعن ماء مريم . . . بل أعن نفخ جبرين . . . تكون هذا الروح ؟.

« وهذا الاستفهام مبني على النظر العقلي .

« وأما بحسب الكشف . . . فهو الكلمة الإلهية . . . التي أنبأ الله أمه . . .

وجبريل هو الواسطة . . . الذي وقع على لسانه إلى أمه . . . وأداه إلى قلبها كسائر الأنباء التي ألقاها إلى الأنبياء . . .

« ولا بد من توسط الروح . . . الذي هو جبريل . . . ليتعين هذا الروح .. والكلمة الإلهية . . . ويصل إلى مريم عليها السلام . . . »

ثم يقول الشيخ الأكبر :

(لأجل ذلك قد طالت إقامته فيها وزاد على ألف بتعيين)

« أي من أجل تكون هذا الروح في ذات مطهرة . . . من الطبيعة الفاسدة .. وهي الصورة المثالية . . .

« أو ذات كائنة من عالم الطبيعة . . . طهرت من الخبائث . . . وهو صورة عيسى أو أمه . . .

« طالت إقامتها في صورة البشر . . . وزاد طول إقامتها على ألف على التعيين . . .

« فإن مولد عيسى . . . كان قبل مولد النبي عليه الصلاة والسلام . . . فزاد على ألف بالتعين . . . فعلى هذا طال إقامته في صورة البشر . . . إما معللاً بطهارته ونزاهته من الطبيعة . . . وإما بطهارة أمه . . . وكونه في صورة البشر إنما هو لأجل المحل القابل وهو الطبيعة » .

ثم يتشعشع ... الشيخ الأكبر فيقول :

(روح من الله لا من غيره فلذا أحيا الموات وأنشأ الطير من طين)

« أي هو روح كامل ... مظهر لاسم الله ...

« والله هو النافخ له ... من حيث الصورة الجبريلية ... لا غيره ...

« فهو من اسم ذاتي ... لا من اسم من الأسماء الفرعية ...

« فيكون بينه وبين الله وسائط كثيرة ... كسائر أرواح الأنبياء ...

« فإنها وإن كانت من حضرة اسم الله ... لكن بتوسط تجليات كثيرة ... من سائر الحضرات الأسمائية ...

« وعيسى ... تعين ... من باطن أحدية ... جمع الحضرة الإلهية ...

« ولهذا سماه ... روحه ... وكلمته ...

« وكانت دعوته إلى الباطن ... والعالم القدسي ...

« فإن الكلمة إنما هي من باطن الله ... وهويته الغيبية من الله ... واسمه الجبريلي ...

« ولهذا هو عبد الله ومظهره ...

« وظهر عليه صفاته ... من إحياء الموتى ... والخلق ... وأنشأ الطير من الطين ... وأبرأ الأكمه ... وغيرها » .

(حتى يصح له من ربه نسب به يؤثر في العالي وفي الدون)

« أي لما صدر من الله بلا وسائط ... لا من غيره ... صح له نسب ... بظهور صفاته تعالى منه ... وصدور أفعاله الخاصة به عنه ... من إحياء الموتى ... وخلق الطير ...

« وبتأثيره في الجنس العالي –. . . من الصور الإنسانية بإحيائها . . .
وفي الجنس الدون . . . كخلق الخفاش من الطين . . . وهما من خصائص
الله . . . كما قال تعالى – قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق
عليم – » .

(الله طهره جسماً ونزهه روحاً وصيره مثلاً بتكوين)

« أي الله خاصة . . . طهر جسمه عن الأقذار الطبيعية . . .

« فإنه روح متجسد في بدن مثالي روحاني . . .

« ونزه روحه وقدسه من التأثر بالهيئات الطبيعية والصفات البدنية . . .
لتأيده بروح القدس . . . الذي هو على صورته . . . ولهذا ما قتل وما صُلب . . .
كما أخبر الله عنه . . . لتجرده عن الملابس الهيولانية . . .

« وصيره مثلاً له . . . بتكوين الطير من الطين . . . وتكوين الأعراض
من الحياة والصحة . . . في الموتى والمرضى . . . في نشأته الأولى . . .

« وبكونه خليفة الله . . . وخاتم الولاية . . . في نشأته الثانية . .

« أي مثله في الصفات . . .

« أو صيره مثل الخلق . . . في الصورة . . . بتكوينه تعالى إياه من
الطبيعة الجسمانية » .

ثم يدخل الشيخ الأكبر . . . إلى عالم الكشف فيقول :

**« اعلم أن من خصائص الأرواح . . . أنها لا تطأ شيئاً إلاّ حيي ذلك
الشيء . . . وسرت الحياة فيه . . .**

**« ولهذا قبض السامري قبضة من أثر الرسول الذي هو جبريل . . .
وهو الروح . . .**

« وكان السامري عالماً بهذا الأمر . . . فلما عرف أنه جبريل . . . عرف أن الحياة قد سرت فيما وطيء عليه . . . فقبض قبضة من أثر الرسول . . . بالضاد أو بالصاد . . . أي بملء يده . . . أو بأطراف أصابعه . . . فنبذها في العجل فخار العجل . . .

« إذ صوت البقر إنما هو خوار . . .

« ولو أقامه صورة أخرى لنسب إليه اسم الصوت الذي لتلك الصورة ... كالرغاء للإبل . . . والثؤاج للكباش . . . واليعار للشياه . . . والصوت للإنسان . . . أو النطق أو الكلام » .

« لما كانت الحياة للروح ذاتية . . . لأن الروح من نفس الرحمن . . . لم يؤثر في جسم إذ لم يباشره بالصورة المثالية . . . إلاّ ظهر فيه خاصية الحياة ... وأثر من آثارها . . . بحسب صورة ذلك الجسم . . .

« فإذا كان ذا مزاج معتدل قابل للحياة . . . ظهر فيه الحس والحركة وجميع خواص الحياة . . . بحسب المزاج المخصوص . . .

« وإن لم يكن ظهر فيه أثر من الحياة بحسب صورته كالخوار لصوت البقر . . .

« وكلما كان الروح أقوى . . . كان تأثيره أقوى وأشد وخاصيته أظهر ...

« وجبريل عند أهل العرفان . . . هو الروح الكلي . . . المسلط على السماوات السبع . . . وما تحتها من العناصر والمواليد . . . ومحل سلطنته السدرة المنتهى . . . وهي صورة نفس الفلك السابع . . .

« وكل ما في المرتبة العالية من الأرواح . . . فهو مؤثر في جميع ما في المراتب السافلة التي تحتها . . .

« فأرواح سائر الأفلاك التي تحت السابع كأعوانه وقواه . . .

« وأما روح فلك القمر الذي سماه الفلاسفة العقل الفعال . . . فالعرفاء يسمونه إسماعيل . . . وهو ليس باسماعيل النبي عليه السلام . . . بل ملك مسلط على عالم الكون والفساد . . . من أعوان جبريل وأتباعه . . . وليس له حكم فيما فوق فلك القمر . . .

« كما لا حكم لجبريل فيما فوق السدرة . . .

« فظهر جبريل في الصورة المثالية على الحيزوم الذي هو أيضاً صورة متمثلة من الروح الحيواني . . . سرى في التراب الذي وطىء عليه . . . فسرت فيه قوة الحياة المتعدية ... وكان السامري عالماً بذلك فقبض قبضة من ذلك التراب فنبذها في الصورة المفرغة على صورة العجل . . . فظهر فيه ما ناسب صورته من الحياة وهو الخوار » .

« فذلك القدر من الحياة السارية في الأشياء يسمى لاهوتاً . . .

« والناسوت هو المحل القائم به ذلك الروح . . . فيسمى الناسوت روحاً بما قام به » .

« لما كانت الحياة من خواص الحضرة الإلهية . . . بل هي عين الذات الإلهية . . . سميت الحياة السارية في الأشياء لاهوتاً . . .

« والمحل القائم به ذلك الروح الحي الذي يحيا به المحل ناسوتاً » . . .

ثم يقول الشيخ الأكبر . . . وهو المسئول عما يقول :

« فلما تمثل الروح الأمين . . . الذي هو جبريل . . . لمريم عليها السلام ــ بشراً سوياً ــ .

« تخيلت أنه بشر يريد مواقعتها . . . فاستعاذت بالله منه . . . استعاذة بجمعية منها . . . أي بكلية وجودها . . .

« ليخلصها الله منه . . . لما تعلم أن ذلك مما لا يجوز . . .

« فحصل لها حضور تام مع الله ... وهو الروح المعنوي ...

« فلو نفخ فيها في ذلك الوقت ... على هذه الحالة ... لخرج عيسى ... لا يطيقه أحد ... لشكاسة خلقه ... لحال أمّه ...

« فلما قال لها – إنما أنا رسول ربّك – جئت – لأهب لك غلاماً زكياً – انبسطت عن ذلك القبض ... وانشرح صدرها ...

« فنفخ فيها ... ذلك الحين ... عيسى ...

« فكان جبريل ناقلاً كلمة الله لمريم ... كما ينقل الرسول كلام الله لأمته ... وهو قوله – وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه –

« . . . .

« فخرج عيسى ... يحيي الموتى ... لأنه روح إلهي ...

« وكان الإحياء لله ... والنفخ لعيسى ...

« كما كان النفخ لجبريل ... والكلمة لله ... »

« كل موجود كلمة من الله ...

« إما كونية كالأجساد ...

« وإما إبداعية كالأرواح ...

« وإما أحدية جمعية من الظاهر والباطن ... واللاهوت والناسوت ... كالإنسان الكامل ...

« والغلبة في كل كامل ... إنما تكون لمرتبة من المراتب ...

« وكان الغالب على عيسى حكم اللاهوت ... فلذلك كان يحيي الموتى ..

« وكان الغالب على جسمانيته حكم الروح ... فلذلك رفع إلى الله ...

وبقي عنده . . . في الصورة الروحانية المثالية . . .

« ولقد مرّ أن الفعل والتأثير لا يكون إلاّ لله . . .

« فلهذا كان الإحياء لله . . . عند نفخ عيسى . . .

« والكلمة لله . . . عند نفخ جبريل » .

« فكان إحياء عيسى للأموات إحياء محققاً . . . من حيث ما ظهر من نفخه » . . .

« أي من حيث حصول الإحياء عند نفخه ظاهراً رأي عين » . . .

« كما ظهر هو عن صورة أمّه » . . .

« أي في المعتادة . . . من ولادة الأولاد . . . بهذا الوجه أضيف إلى أمّه . . . ونسب إليها . . . فقيل فيه . . . إنه عيسى بن مريم . . . »

« وكان إحياؤه أيضاً . . . متوهماً أنه منه . . . وإنما كان لله » . . .

« وفي نسخة : وإنما كان من الله . . . وهو أصح » .

« . . . فقيل فيه . . . من طريق التحقيق – فتحيي الموتى –

« وقيل فيه . . . من طريق التوهم – فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله – »

« واعلم أن الإذن . . . هو تمكين الله للعبد من ذلك وأمره به . . . »

« وخرج عيسى من التواضع إلى أن شرع لأمته أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . . .

« وأن أحدهم إذا لطم في خده . . . وضع الخد الآخر لمن يلطمه . . . ولا يرتفع عليه . . . ولا يطلب القصاص منه . . .

« هذا له من جهة أمّه . . .

« إذ المرأة لها السفل ... فلها التواضع ... لأنها تحت الرجل ... حُكماً وحساً ...

« وما كان فيه ... من قوة الإحياء والإبراء ... فمن جهة نفخ جبريل .. في صورة البشر ... فكان عيسى يحيي الموتى بصورة البشر ...

« ولو لم يأتِ جبريل في صورة البشر ... وأتى في صورة غيرها ... من صور الأكوان العنصرية من حيوان أو نبات أو جماد ... كان عيسى لا يحيي الموتى إلاّ حين يتلبس بتلك الصورة ويظهر فيها ...

« ولو أتى جبريل بالصور النورية ... الخارجة عن العناصر والأركان ... إذ لا يخرج عن طبيعته ... لكان عيسى لا يحيي الموتى ... إلاّ حين يظهر ... في تلك الصورة النورية لا العنصرية ... مع الصورة البشرية من جهة أمّه ...

« فكان يقال فيه عند إحيائه الموتى : هو ... لا هو ...

« وتقع الحيرة ... في النظر إليه » ...

« لما كان الإحياء والإبراء ... من خصائص الأرواح ... لأن الحياة لها ذاتية ... كانت له خاصية الإحياء من جهة جبريل ... فكان عيسى ينتسب إليه في تلك الخاصية ... على الصورة التي تمثل بها ... عند النفخ ... وإلقاء الكلمة إلى مريم ... »

« كما وقعت في العاقل ... عند النظر الفكري ... إذا رأى شخصاً بشرياً يحيي الموتى ...

« وهو من الخصائص الإلهية ... إحياء النطق لا إحياء الحيوان ...

« بقي الناظر حائراً ... إذ يرى الصورة بشراً للأثر الإلهي » ...

« أي لكانت الحيرة واقعة ... في أنه عيسى ... أو ليس عيسى ... كما وقعت ... مع كونه غير متحرك ... لا في صورته ولا في طينته ...

من العقلاء بحسب النظر الفكري . . . حين رأوا شخصاً بشرياً لا شك فيه . . . صدر عنه خاصية إلهية . . . هي إحياء الموتى . . . إحياء النطق والدعاء . . . يعني إحياء بالنطق والدعاء . . .

« فكان يقول : قم حيـّاً بإذن الله . . . أو باسم الله . . . أو بالله . . .

« فيحيا . . . ويجيبه فيما كلمه به . . .

« ويقول لبيك إذا دعاه . . .

« لا إحياء . . . الحيوان الذي يمشي ويأكل ويبقى حياً مدة . . . على ما روى في قصته أنه أحيا بنطقه سام بن نوح . . . فشهد بنبوته . . . ثم رجع إلى حالته [1] ... فبقوا حائرين فيه . . . كيف تصدر الآثار الإلهية من البشر » ؟!

ثم ينتقل الإمام الأكبر . . . إلى منطقة الخطر . . . من حياة المسيح . . . فيقول :

« فأدى بعضهم فيه . . . إلى القول بالحلول . . .

« وأنه هو الله . . . بما أحيا به من الموتى . . .

« ولذلك نسبوا إلى الكفر وهو الستر . . .

« لأنهم ستروا الله الذي أحيا الموتى بصورة بشرية عيسى . . .

« فقال تعالى — لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم — .

« فجمعوا بين الخطإ والكفر في تمام الكلام كله . . . لا بقولهم هو

---

(١) اعتقد ان مراد ابن العربي بقوله « لا احياء الحيوان »... أنه يعني... ان عيسى كان يحيي الموتى بالدعـاء ... قم فيقوم فورا ... وليس بالتدريج والتخلـق شيئا فشيئا ... وعلى هذا يكون ما ذهب اليـه الشارح ليس هو المراد . حيث قد ثبت ان المسيح احيا أفرادا وعادوا يباشرون حياتهم كالمعتاد .

الله . . . ولا بقولهم ابن مريم . . .

« . . . .

« فوقع الخلاف لذلك بين أهل الملل . . . في عيسى . . . ما هو ؟ . .

« فمن ناظر فيه . . . من حيث صورته الإنسانية البشرية . . . فيقول هو ابن مريم . . .

« ومن ناظر فيه . . . من حيث الصورة الممثلة البشرية . . . فينسبه إلى جبريل . . .

« ومن ناظر فيه . . . من حيث ما ظهر عنه من إحياء الموتى . . . فينسبه إلى الله . . . بالروحية . . . فيقول روح الله : أي به ظهرت الحياة فيمن نفخ فيه . . .

« فتارة يكون الحق فيه متوهَّماً — اسم مفعول — ...

« وتارة يكون الملَك فيه متوهَّماً ...

« وتارة تكون البشرية الإنسانية فيه متوهمة . . .

« فيكون عند كل ناظر . . . بحسب ما يغلب عليه . . .

« فهو كلمة الله . . .

« وهو روح الله . . .

« وهو عبد الله . . .

« وليس ذلك في الصورة الحسية لغيره . . .

« بل كل شخص منسوب إلى أبيه الصوري . . . لا إلى النافخ روحه في الصورة البشرية . . .

« فإن الله إذا سوى الجسم الإنساني كما قال – فإذا سويته – نفخ فيه هو تعالى من روحه . . . فنسب الروح في كونه وعينه إليه تعالى . . .

« وعيسى ليس كذلك . . . فإنه أدرجت تسوية جسمه . . . وصورته البشرية . . . بالنفخ الروحي . . . وغيره كما ذكرنا لم يكن مثله . . . »

« هذا تقرير لما ذكر . . . من أن صورة عيسى روحانية . . . غلبت عليها الصورة الممثلة المثالية . . . المنتسبة إلى النفخ بخلاف سائر البشر . . .

« لأن كل شخص إذا سوى الله جسمه الصوري نفخ فيه روحه . . . بعد تسوية جسده . . . فنسب الروح في كونه وعينه إلى الله . . . بخلاف عيسى فإنه نفخ في أمّه مادة جسده . . . فسوى جسده وصورته البشرية بعد النفخ . . . فصارت الروحانية جزء جسده . . . »

« فالموجودات كلها كلمات الله . . . التي لا تنفد . . . فإنها عن كن . . .

« وكن . . . كلمة الله . . .

« فهل تنسب الكلمة إليه بحسب ما هو عليه فلا يعلم ماهيتها . . . أو ينزل هو تعالى إلى صورة من يقول كن فيكون ؟ . .

« قول كن حقيقة لتلك الصورة التي نزل إليها . . . وظهر فيها . . .

« فبعض العارفين يذهب إلى الطرف الواحد . . .

« وبعضهم إلى الطرف الآخر . . .

« وبعضهم يحار في الأمر ولا يدري . . .

« وهذه مسألة لا يمكن أن تعرف إلاّ ذوقاً . . .

« كأبي يزيد حين نفخ في النملة التي قتلها فحييت . . . فعلم عند ذلك بمن ينفخ فنفخ . . . وكان عيسوي المشهد . . .

« وأما الإحياء المعنوي بالعلم . . . فتلك الحياة الإلهية . . . الذاتية . . . الدائمة . . . العلية . . . النورية . . . التي قال الله فيها – أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس – .

« فكل من أحيا نفساً ميتة . . . بحياة علمية . . . في مسألة خاصة متعلقة بالعلم بالله . . . فقد أحياه بها . . . وكانت له نوراً يمشي به في الناس . . . أي بين أشكاله في الصورة . . . »

قال القاشاني :

« يعني أن الإحياء الحقيقي . . . هو الإحياء المعنوي بالعلم للنفس الميتة بالجهل . . . فإن العلم هو الحياة الحقيقية الدائمة السرمدية العلية النورية . . . لنفوس العارفين العالمين بالله . . .

« ولكن لا كل علم . . . بل العلم بالله . . . وصفاته . . . وأسمائه . . . وآياته . . . وكلماته . . . وأفعاله . . .

« وقد أعطاه الله أولياءه الكمل الأصفياء . . . يحيون بنفائس أنفاسهم نفوس المستعدين . . . ويفيضون عليهم أنوار الحياة النورية العلية العلمية . . . فيحيون بها عن موت الجهل . . . ويمشون في الناس بنورهم . . . كما قال تعالى – أو من كان ميتاً فأحييناه – والمتحقق بهذا الإحياء هو المتحقق باسم الله المحيي بالحقيقة وبالحيّ . . .

« والإحياء بهذا المعنى أعز وأشرف من الإحياء بالصورة . . .

« فإنه إحياء الأرواح والنفوس . . . وهي أشرف من الأجساد والصور .

« ولا شك أن نبينا . . . صلى الله عليه وسلم . . . كان أفضل من عيسى . . . وليس له الإحياء بالصورة . . . بل بالعلم . . .

« لكن الأول أندر وأقل وجوداً . . .

« واستشراف النفوس إليه أكثر . . . ولذلك عظم وقعه في النفوس . » . .

(فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا)

« أي لا بد في الأكوان والتجليات الفعلية . . . من الحق . . . الذي هو منبع الفيض والتأثير . . . ومن الأعيان القابلة التي تقبل التأثير . . . وتتأثر وتظهر للتجليات الأسمائية . . . والأفعالية . . .

« ووجه الارتباط بما قبله . . . أن الإحياءين . . . وجميع الأفعال والأكوان . . . لا بد لها من الألوهية والعبدانية . . . ليتحقق الفعل والقبول . . . والتجلي والمجلى . . . »

(فأنا أعبد حقاً وإنّ اللهَ مولانا
وأنا عيْنه فاعلم إذ ما قلت إنسانا)

« أي أنا أعبد الحقيقة . . . لأنا نعبده بالعبادة الذاتية . . . أي الأحَدية الجمعية . . .

« وإن الله بجميع الأسماء . . . متولينا ولينا . . . ومدبر أمورنا . . . بخلاف سائر الموجودات . . . فإنهم عبيده ببعض الوجوه . . . والله مولاهم ببعض الأسماء . . .

« وأما الإنسان الكامل . . . فإنه عين الحق . . . لظهوره في صورته بالأحدية الجمعية . . .

« بخلاف سائر الأشياء . . . فإنها وإن كان الحق عين كل واحد منها . . . فليست عينه . . . لأنها مظاهر بعض أسمائه . . . فلا يتجلى الحق فيها على صورته الذاتية . . .

« وأما إذا قلت إنساناً . . . أي إنساناً كاملاً في الإنسانية . . . فهو الذي

يتجلى الحق على صورته الذاتية فهو عينه » . . .

« . . . .

« ومما يدل على ما ذكرناه . . . في أمر النفخ الروحاني . . . مع صورة البشر العنصري . . . هو أن الحق وصف نفسه بالنفس الروحاني . . .

« ولا بد لكل موصوف بصفة . . . أن يتبع الصفة جميع ما تستلزمه تلك الصفة . . .

« وقد عرفت أن النفس في المتنفس ما يستلزمه . . . فلذلك قبل النفس الإلهي . . . صور العالم . . . فهو لها كالجوهر الهيولاني . . . وليس إلاّ عين الطبيعة . . . »

« النفس الرحماني : هو فيضان وجود الممكنات . . .

« وهي ههنا الكلمات الكونية والأسمائية . . .

« فإن الوجود إنما يفيض بمقتضيات الأسماء الإلهية . . . ومقتضيات قوابلها » . . .

« فالعناصر صورة من صور الطبيعة . . .

« وما فوق العناصر . . . وما تولد عنها . . . فهو أيضاً من صور الطبيعة ...

« وهي الأرواح العلوية . . . إلى فوق السماوات السبع . . .

« وأما أرواح السماوات السبع وأعيانها فهي عنصرية . . . فإنها من دخان العناصر المتولدة عنها . . .

« وما تكون عن كل سماء من الملائكة . . .

« فهو منها . . .

« فهم عنصريون . . . وما من فوقهم طبيعيون . . .

« ولهذا وصفهم الله بالاختصام . . . أعني الملأ الأعلى . . . لأن الطبيعة متقابلة . . . »

« والاختصام بين الملأ الأعلى . . . إنما هو لاختلاف نشأتهم . . .

« لأن الغالب على بعضهم صفة القهر . . . وعلى بعضهم قوة المحبة وصفتها . . . فتختلف مقتضيات نشأتهم فيختصمون » . . .

« والتقابل الذي في الأسماء الإلهية . . . التي هي النسب . . . إنما أعطاه النفس الرحماني . . .

« ألا ترى الذات الخارجة عن هذا الحكم – كيف جاء فيها الغنى عن العالمين ؟ . .

« فلهذا خرج العالم على صورة من أوجدهم . . .

« وليس إلا النفس الإلهي . . .

« فيما فيه من الحرارة علا . . .

« وبما فيه من الرطوبة والبرودة سفل . . .

« وبما فيه من اليبوسة ثبت ولم يتزلزل . . .

« فالرسوب للبرودة والرطوبة . . .

« ألا ترى الطبيب إذا أراد سقي دواء لأحد ينظر في قارورة مائه . . . فإذا رآه رسب علم أن النضج قد كمل فيسقيه الدواء . . . ليسرع في النجح . . . وإنما يرسب لرطوبته وبرودته الطبيعية . . . »

« والمقصود أن النفس الذي هو الوجود الواحد . . . يقتضي التقابل . . .

مما يستلزمه من الجهتين المختلفتين في الأمر الواحد . . . وهو الطبيعة المقتضية للأمور المتضادة » . . .

ثم يدخل بنا . . . الشيخ الأكبر . . . إلى أسرار خلق الإنسان . . . فيقول :

« ثم إن هذا الشخص الإنساني . . . عجن طينته بيده . . . وهما متقابلتان.. وإن كانت كلتا يديه يميناً . . . فلا خفاء بما بينهما من الفرقان . . . ولم يكن إلاّ كونهما اثنتين . . . أعني يدين . . . لأنه لا يؤثر في الطبيعة إلاّ ما يناسبها .. وهي متقابلة . . . فجاء باليدين . . . »

« ولما كانت الطبيعة مقتضية للتقابل . . . كانت الأسماء الإلهية متقابلة . . . لأنه لا يؤثر في الطبيعة إلاّ ما يناسبها . . .

« فأخبر أن الله تعالى عجن طينة آدم . . . أي الشخص الإنساني بيديه . . . وهما المتقابلان من أسمائه . . .

« وهو وإن كانتا كلتاهما يميناً . . . أي متساويتين في القوة . . . فالفرق بينهما ظاهر . . .

« فإن الجلال والجمال . . . والقهر واللطف . . . لا خفاء في تقابلهما . . . فعبر عن كل متضادين باليدين » . . .

« ولما أوجده باليدين . . . سماه بشراً . . . للمباشرة اللائقة بذلك الجناب.. باليدين المضافتين إليه . . .

« وجعل ذلك من عنايته لهذا النوع الإنساني . . .

« فقال لمن أبى عن السجود له — ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ استكبرت — على من هو مثلك يعني عنصرياً — أم كنت من العالين — عن العنصر . . . ولست كذلك . . .

« ويعني بالعالين ... من علا بذاته عن أن يكون في نشأته النورية عنصرياً ... وإن كان طبيعياً ...

« فما فضل الإنسان غيره من الأنواع العنصرية ... إلاّ بكونه بشراً من طين ...

« فهو أفضل نوع ... من كل ما خلق من العناصر ... من غير مباشرة باليدين ... »

« العالون : هم الملائكة المهيمون في سبحات جمال وجه الحق ... لفناء خليقتهم ...

« فما فضل الإنسان غيره من الكائنات العنصرية ... بكونه نورياً ... بل بكونه بشراً من طين ... باشر الله خلقه باليدين ...

« فهو أفضل من كل ما خلقه لا بالمباشرة : أي باليد الواحدة ... بأن لا يجمع فيه بين المتقابلات ... بل بالصفات المتماثلة فحسب » ...

« فالإنسان ... في الرتبة ... فوق الملائكة الأرضية والسماوية ...

« والملائكة العالون — خير من هذا النوع الإنساني ... بالنص الإلهي ...

« فمن أراد أن يعرف النفس الإلهي ... فليعرف العالم ... فإنه من عرف نفسه عرف ربه ... الذي ظهر فيه ...

« أي العالم ظهر في نفس الرحمن ... الذي نفس الله تعالى به ... عن الأسماء الإلهية ... ما تجده من عدم ظهور آثارها ... بظهور آثارها ... فامتن على نفسه ... بما أوجده في نفسه ...

« فأول أثر كان للنفس ... إنما كان في ذلك الجناب ...

« ثم لم يزل الأمر يتنزل ... بتنفيس العموم ... إلى آخر ما وجد ... »

* * *

ثم يقول . . . ابن العربي . . . في نهاية كلامه :

« وأما هذه الكلمة العيسوية . . . لما قام لها الحق في مقام . . . حتى نعلم ويعلم . . . استفهمها عما نسب إليها . . . هل هو حق أم لا ؟ . .

« مع علمه الأول . . . بهل وقع ذلك الأمر أو لا ؟ . .

« فقال له – أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله – .

« فلا بد في الأدب من الجواب للمستفهم . . .

« لأنه لما تجلى له في هذا المقام . . . وفي هذه الصورة . . . اقتضت الحكمة الجواب في التفرقة بعين الجمع . . .

« فقال وقدم التنزيه – سبحانك – .

« فحدد بالكاف التي تقتضي المواجهة والخطاب . . .

« – ما يكون لي – من حيث أنا لنفسي دونك – أن أقول ما ليس لي – بحق – أي ما يقتضيه هويتي ولا ذاتي – إن كنتُ قلته فقد علمته – لأنك أنت القائل . . . ومن قال أمراً فقد علم ما قال . . . وأنت اللسان الذي أتكلم به . . .

« ثم تمم العبد الصالح الجواب بقوله – تعلم ما في نفسي – . . .

« – ولا أعلم ما – فيها . . .

« إنك أنت . . . فجاء بالفصل والعماد تأكيداً للبيان واعتماداً عليه . . . إذ لا يعلم الغيب إلاّ الله . . .

« ثم قال متمماً للجواب – ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به – . . .

« – أن اعبدوا الله – فجاء باسم الله لاختلاف العباد في العبادات . . .

واختلاف الشرائع . . . ولم يعين اسماً خاصاً دون اسم . . . بل بالاسم الجامع للكل . . . » ! ! !

* * *

هذا ما ذهب إليه . . . ابن العربي . . . في شأن المسيح . . . وقد اختصرنا منه الكثير . . . لأنه يلتوي على كثير من الناس . . .

فأردت أن أخفف عنهم . . . ما استطعت إلى ذلك سبيلاً . . .

ومرة أخرى أقول : ليس ابن العربي ملزماً لأحد . . . وإنما هي آفاق عليا . . . لمن أراد المزيد . . . من شخصية المسيح . . . عليه السلام ! ! !



المعجزة

الاعظم

للمسيح



في رأيي . . .

وبئس الرأي رأيي ! ! !

حيث لا ينبغي أن يكون لي رأي . . . في بحار الأنبياء المقدسة . . .

وإنما أستأذن فأقول . . .

ليست المعجزة الأعظم للمسيح . . . شيئاً ما من معجزاته وخوارقه . . .

ليست المعجزة الأعظم . . . أن يُولد . . . من غير والد . . .

ولا أن يتكون . . . من نفخة من الروح . . .

ولا أن يُبرىء الأعمى والأبرص . . . والمجنون والمفلوج . . .

ولا أن يُحيي الموتى . . .

ولا أن يُرفع إلى السماء حيّاً . . .

كل أولئك . . . كان أمراً خارقاً . . . نعم . . . ومعجزة كبرى . .

ولكن المعجزة الأعظم . . . من المسيح . . . عليه السلام . . .

أنّ . . . مدة رسالته . . . أقل من ثلاث سنين . . .

سنتان ونصف ؟ ! !

ثم كان منه . . . في هذه المدة الوجيزة . . . رسالة سماوية . . . ضخمة فخمة . . . خالدة باقية . . .

وهو فرد . . . أعزل . . . لا يملك من أسباب الدنيا شيئاً . . .

هاهنا . . . المعجزة الأعظم ! ! !

فرد . . . واحد . . .

وقف شامخاً . . . أعلى من السماء . . .

وأشرق بنوره . . . فجأة . . .

في ظلمات بعضها . . . فوق بعض . . .

فما استطاعوا . . . بمكرهم . . . أن يغلبوه . . . وما استطاعوا له شيئاً . . .

إلاّ أن يُدَبِّروا . . . لقتله . . .

وهذا علامة إفلاسهم ! ! !

فرد . . . واحد . . .

أضاء العالم . . . كله . . .

وما زال يضيء ! ! !

هاهنا . . . المعجزة الأعظم . . . من المسيح . . . عليه السلام . . .

وأن يحدث هذا كله . . . منه . . . في زمن قياسي . . .

أقل من ثلاث سنوات . . .

بُعثَ . . . على رأس الثلاثين . . .

ومات . . . في نحو الثلاث والثلاثين (1) ! ! !

---

(1) قالوا في مراجعهم :
« لما جاء يسوع يعتمد من يوحنا كان عمره نحو ثلاثين سنة ... لا نعرف بنوع اكيد كم من الزمان قضى يسوع في أعمال الرسالة منذ عماده الى موته ... فان الاناجيل لا تعطينا عن مداها معلومات جلية ... لذلك فللمؤرخين المسيحيين رأيان مختلفان ... الراي الاول ويظهر الاكثر صوابا هو انها لم تدم الا سنتين واشهرا معدودة .. والراي الثاني يمددها الى اكثر من ثلاث سنين » .

ولو رَكَّبْتَ عقول العالم كله . . . في عقل واحد . . . وكلفته أن يصحح عقائد الناس جميعاً . . . ويضع لهم ديناً صحيحاً عليه ينتظمون . . . وأن يكون ذلك في خلال ثلاث سنوات . . .

لكان جوابه . . . هذا مستحيل ! ! !

ولكن المسيح استطاع ذلك . . .

وفعل ذلك . . . على أعلى ما يكون من إحكام وإعجاز ! ! !

ذلك أنه . . . « كلمة منه » . . .

« إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ . . .

« رسولُ اللهِ . . .

« وكلمتُهُ . . . ألقاها إلى مريمَ . . .

« ورُوحٌ منْهُ » ! ! !

وكلمة الله . . . خالدة . . . باقية . . . غالبة أبداً . . .

« وكلمةُ اللهِ هيَ العُلْيا . . . » ! ! !

تلك هي المعجزة الأعظم . . . من شخصية المسيح . . .

ولقد أشار إليها . . . حين قال :

« ولكن ثِقُوا .

« أنا قَدْ غلبْتُ العالَم » ! ! !

* * *



الفهرس



ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه . . . عجائب . . . مَن كان خَلْقه . . . معجزة . . . وحياته معجزات . . . ورفعه إلى السماء معجزة ! ! !

فيه . . . غرائب . . . « وإذ تخلقُ مِن الطينِ كهيئةِ الطيرِ بإذني . . . فتنفخُ فيها فتكونُ طيراً بإذني . . . وتُبرىءُ الأكمهَ والأبرصَ بإذني . . . وإذ تُخرجُ الموتى بإذني » ! ! !

فيه . . . حياة المسيح ؟ ! !

وما أدراك . . . ما المسيح ؟ ! !

